

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

التَّضَادُّ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِرْهَابِ

مَجْلَدُ الْمَلَكِ يَكِينٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء التاسع والتسعون بعد المائة

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أسواق الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي اثنى على نفسه وجعل حمد وثناء الناس عليه سبحانه عبادة ، وطريقاً لرضوانه ، ومنهاجاً ملازماً لوجود الإنسان ، فأول كلمة نطق بها آدم عندما نفخ الله عز وجل فيه من روحه هي (الحمد لله) ، وليس من أمة إلا وهي تلهج بالقول (الحمد لله) ، فهذا الحمد ميراث الأنبياء ، والعروة الوثقى التي يتعاهد بها الناس ، والحمد ثناء يرضى الله عز وجل به ، وينمي ويضاعفه ، فهو سبحانه الذي يرضى بالقليل ويعطي الكثير .

وجاء الألف واللام فيه للإستغراق وإفادة الجنس ، وقد جعل الله عز وجل أول كلمة في نظم القرآن بعد البسملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) لبيان مصداق لقوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٢) من جهات :
الأولى : نطق كل مسلم ومسلمة بقول الحمد لله ، ويمكن تسمية المسلمين أمة الحمد .

الثانية : تعاهد المسلمين للحمد لله في الصلاة ، بتلاوتها سبع عشرة مرة بعدد ركعات الصلاة .

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

الثالثة : تكرار المسلم والمسلمة اليومي لقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) واقية من الإرهاب ، وفيه تأكيد لجامع مشترك بين الناس جميعاً وهو الربوبية المطلقة لله عز وجل ، وعبودية الناس له سبحانه ، وأن أمرهم بيده وحده .

الرابعة : لقد كانت الأمم السابقة تقول (الحمد لله) ، فجاء الإسلام بذات القول مع الإجهار اليومي به ، والإخبار بأن الله سبحانه (رب العالمين).

الخامسة : الحمد لله أمن في النشاطين ، وباب للرزق الكريم ، كفضل وجزاء من عند الله ، قال سبحانه ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

الحمد لله الذي جعل المسلم ينطق بالحمد لله في يومه وليله حتى إذا ما غادر الدنيا تشهد له الأرض والمساجد والناس على هذا القول ، الذي يبقى ميراثاً له يغني عن العنف ويمنع من الكراهية .
فقد أبى الله عز وجل إلا أن يجعل الحياة الدنيا دار الوثام والصلح بالحمد لله لأنه كالغيث ينفذ إلى النفوس ، فيطرد عنها الكدورة والغل والأحقاد .

و(عن الإمام علي عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه نزل عليه جبريل عليه السلام .
فقال : يا محمد ، إن شرك أن تعبد الله حق عبادته .

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة النور ٣٨.

فقل : اللهم لك الحمد حمدا خالدا مع خلودك ، ولك الحمد حمدا دائما لا منتهى له دون مشيئتك ، وعند كل طرفة عين وتنفس نفس^(١) .
الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وصلى الله على محمد وآله الطيبين ومن خصائص الحمد أنه تطهير وتزكية ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأئمة في الحمد ، وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٢) .

لقد جاء الجزء قبل السابق وهو السابع والتسعون بعد المائة من هذا التفسير في قانون التضاد بين القرآن والإرهاب ، وتضمن قوانين متعددة في ذات المنهجية منها :

- الأول : قانون الإرهاب لغة وإصطلاحاً .
- الثاني : قانون العبادة واقية من الإرهاب .
- الثالث : قانون العصمة من الإفتاء واقية من الإرهاب .
- الرابع : قانون محو موانع الخير .
- الخامس : قانون الحروف المقطعة دافع للإرهاب .
- السادس : قانون قتل الأنبياء شاهد على عدم غزوهم لغيرهم .
- السابع : قانون ذكر أيام مخصوصة في القرآن دعوة للتألف .
- الثامن : قانون تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة .
- التاسع : قانون العجز عن إحصاء النعم الإلهية رحمة عامة .
- العاشر : قانون الإستشهاد بالشعر على فصاحة القرآن .
- الحادي عشر : قانون مقتل أبي جهل درء للإرهاب .
- الثاني عشر : قانون نكد الحياة صارف عن الإرهاب .

(١) الطبراني / المعجم الأوسط ٢٧٤/١٢ .

(٢) سورة الاحزاب ٣٣ .

الثالث عشر : قانون تسمية مكة أم القرى ، قال تعالى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١) .

الرابع عشر : قانون التدبر اليومي بآيات القرآن عصمة من الإرهاب .
الخامس عشر : قانون أول وآخر كلمة أنزلت من القرآن عصمة من الإرهاب .

السادس عشر : قانون ميراث الحمل .

السابع عشر : قانون الحج تعطيل للإرهاب .

لتجلى حقيقة مناسبة أحكام التنزيل للوقائع والأحداث في كل زمان ومكان ، وبما يبعث السكينة في النفوس لعامة الناس ، وبيانه للأحكام وسبل النجاة من ضروب الإبتلاء ، وفيه ترغيب للناس بالإيمان والتسليم بالتباين بينه وبين الإرهاب مفهوماً وسلوكاً وأثراً .

وجاء هذا الجزء وهو التاسع والتسعون بعد المائة إشراقة علمية في ذات المنهجية لغزارة علوم القرآن في هذا الباب ، وبما يدفع الوهم ويقطع الشك ، ويبين للناس أن الإسلام بريء من الإرهاب ولا يصح التعدي على مبادئ الإسلام والمسلمين بسبب نفر وأفراد زاولوا الإرهاب ، إنما هو فعل شخصي مستنكر .

ومن مصاديق هذه الدعوة قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٢)

ومن اسم التفضيل ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية أعلاه التنزه عن الإرهاب .

ومن خصائص القرآن أنه جامع للناس جميعاً ، تحت خيمة المودة والرحمة والتسامح ، وسيأتي في هذا الجزء الرد على القول بأن آيات

(١) سورة الشورى ٧.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

السلم والرفق والعفو العام منسوخة ، بل هي آيات محكمة منها آية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ اٰتٰهُمُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) ، ومنها ﴿فَإِنْ اٰتٰهُمُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾^(٢) ، ومنها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣) .

ومنها ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾^(٤) ، ومنها ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥) .

ومنها ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

(١) سورة البقرة ١٩٣.

(٢) سورة البقرة ١٩٢.

(٣) سورة البقرة ٢١٧.

(٤) سورة البقرة ١٣٩.

(٥) سورة البقرة ٢٥٦.

عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾، ومنها ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾، ومنها ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يَتْلُوكُمْ بِوُكُومٍ الْادْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٣﴾، وقد صدرت عدة أجزاء من هذا التفسير بهذا الخصوص وهو من عمومات (قانون آيات السلم محكمة) ومن آيات السلم واللاعنف في القرآن :

الأولى : ﴿فَاغْنُوا وَاصْصَفُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴿٤﴾.

الثانية : ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ ﴿٥﴾.

الثالثة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴿٦﴾.

الرابعة : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴿٧﴾.

الخامسة : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴿٨﴾.

(١) سورة آل عمران ٢٠.

(٢) سورة آل عمران ٢٨.

(٣) سورة آل عمران ١١١.

(٤) سورة البقرة ١٠٩.

(٥) سورة البقرة ١٧٨.

(٦) سورة البقرة ٢٠٨.

(٧) سورة البقرة ٢١٩.

(٨) سورة البقرة ٢٧٣.

السادسة : ﴿وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

السابعة : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢).

الثامنة : ﴿فَإِنْ اعْتَزَلْتُمْكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ

سَبِيلًا﴾^(٣).

التاسعة : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

العاشرة : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٥).

الحادية عشر : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٦).

الثانية عشر : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٧).

ليبيان التباين والتضاد بين العفو والعقوبة ، وبين الحلم والغضب وبين الصبر والتهور .

(١) سورة البقرة ٢٨٤.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة النساء ٩٠.

(٤) سورة المائدة ١٣.

(٥) سورة النور ٢٢.

(٦) سورة الأعراف ١٩٩.

(٧) سورة فصلت ٣٤.

الثالثة عشر: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾

(١)

ليبان أن القرآن يعتصم بذاته عن إدعاء النسخ الذي لا أصل له ،
ولتبقى مفاهيم الرحمة بين الناس متصلة ومستمرة إلى يوم القيامة تدعو
الناس في كل زمان لإكرام الأنبياء وأتباعهم .

الحمد لله الذي جعل أول كلمة تنزل من القرآن فعل امر وخطابا للنبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بالقراءة والتحصيل مع تقييد هذه القراءة
بأنها باسم الله عز وجل وفي مرضاته وطاعته ، قال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ﴾ (٢) والتسليم بربوبيته المطلقة .

لتدل الآية على التقييد في القراءة من جهات :

الأولى : وجوب القراءة وتلاوة القرآن .

الثانية : استحضار ذكر الله عز وجل .

الثالثة : إرادة قصد القربة في القراءة .

الرابعة : التسليم بأن الله عز وجل خالق كل شئ ، ومن رشحات هذا

التسليم ، الصبر على أذى كفار قريش .

ويدل قوله تعالى (أقرأ) (٣) على أن الدنيا دار القراءة ، لتكون منافع

هذه القراءة على وجوه :

الأول : التسليم بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

(١) سورة الأنعام ١٠٨.

(٢) سورة العلق ١.

(٣) سورة العلق ١.

الثاني : دعوة الناس إلى الإيمان ، فكل تلاوة لآيات من القرآن حجة ، ومناسبة للترغيب بدخول الإسلام ، إذ تخاطب آيات القرآن العقول ، قال تعالى ، ﴿ أَفَنُيَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١) .

الثالث : بعث النفرة في النفوس من الإرهاب والإقتال ، فحينما احتجت الملائكة على جعل الإنسان ﴿ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) أجابهم الله وجل بالقول ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

لعلم الله عز وجل بما لا تعلمه الملائكة وفي كل دقيقة وفي قراءة التنزيل من المنافع والألطاف ودفع الفساد ، والمنع من الإقتال والقتل ما لا يعلمه إلا الله ، إذ تتجدد مصاديقه فتدرك الملائكة كل يوم وكل ساعة مصاديق متجددة مما لا تعلمه من الفضل والنعم والمنافع في عمارة الإنسان للأرض ، ولكن الله يعلمها من قبل أن يخلق آدم .

ترى لماذا لم تذكر الآية الشريفة ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) الملائكة ، فلم تقل (وسيرى الله والملائكة ورسوله ..) الجواب ان رؤية الملائكة لأعمال بني آدم بواسطة رؤية الله عز وجل لها ،

(١) سورة الرعد ١٩.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة التوبة ١٠٥.

كما تتحقق بآيات أخرى منها قوله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١).

فمن إعجاز القرآن تجدد خطاب واحتجاج الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) في كل ثانية ودقيقة وعلى نحو متعدد في مصاديق هذا الإحتجاج ، وفيه دلالة على أن آيات القرآن غضة طرية حتى بخصوص الخطابات بين الله عز وجل والملائكة ، وكذا في قوله تعالى ﴿اقْرَأْ﴾^(٣) إذ يشمل الأمر المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة بالإلحاق ، وتقدير الآية :

الأولى : يا أيها النبي اقرأ باسم ربك .

الثانية : يا أيها المهاجرون والأنصار اقرأ باسم ربك .

الثالثة : يا أيها الذين آمنوا اقرأوا باسم ربكم .

الرابعة : يا أيها اللاتي آمنّ اقرأن باسم ربكن .

ولم يشترط في القراءة العربية وهي لغة القرآن ، مما يدل على السعة في الأمر ، وإن كانت التلاوة في الصلاة لا تصح إلا بالعربية لبيان بعث الآية الكريمة على قراءة كتب التفسير والفقه وعلم الكلام ونحوها بحسب اللسان واللغة وترجمة كتب التفسير والشريعة إلى اللغات المختلفة .

الخامسة : يا أهل الكتاب أقرؤا باسم ربكم الذي خلق .

إذ أن القرآن مائدة السماء إلى الحاضرة في كل ساعة وتدعو الناس إليها ، وفيها النفع العام ، والأجر والثواب ، وكله مواعظ وأحكام وحكمة

(١) سورة ق ١٨ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة العلق ١

، وفيها زجر عن الإرهاب ، وتخويف من عاقبته ، ومن خصائص الحياة الدنيا تناقص عمر الإنسان كل يوم واقتربه إلى عالم الحساب فيه ، ليسئل عما فعله وما كسبه ، وفي الحلال حساب وفي الحرام عقاب ، قال تعالى ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١).

السادسة يا أيها الناس اقرؤا باسم ربكم .

فمن خصائص القرآن أنه ليس كتاباً مغلقاً على المسلمين ، وكذا بالنسبة لأحكام الشريعة ، ويملي وجوب الإجهار في القراءة في شطر من الصلوات اليومية على المسلمين الإمتناع عن الإنغلاق وحجب آيات وسور القرآن عن الناس ، وفيه منع من الإرهاب والإرهاب الموازي ، من وجوه :

الأول : إتحاد لغة القرآن قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

الثاني : فضل الله عز وجل على الناس بنعمة العقل التي يستطيع بها الناس التمييز بين الحق والباطل ، وبين الصدق والكذب ، وبين التنزيل وكلام البشر ، لذا فإن معجزة القرآن تخاطب العقول ، وتبعث الجوارح على فعل الصالحات وتحبسها عن الإرهاب والعنف والقتل .

الثالث : ميل عامة الناس بالفطرة إلى السلم وحياة الدعة وإجتنب الخصومة والنزاع ، وهو من مصاديق الخلافة في الأرض ، وعمومات ﴿وَنَفَخْ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٣) لبيان أن فيوضات هذا النفخ باقية عند الناس في كل زمان ، وتجعل صيغة الصلاح والرحمة هي الظاهرة والغالبة بين الناس

(١) سورة الصافات ٢٤.

(٢) سورة يوسف ٢.

(٣) سورة السجدة ٩.

، لذا تجد توجه اللوم العام إلى المعتدي سواء كان فرداً أو جماعة أو قبيلة ونحوها .

وقد ترى المعتدي يوري ويبحث عن أسباب لعدوانه سواء كان فرداً أو جماعة أو قبيلة ونحوها ، فلا ينطلي الأمر على عامة الناس وعصمة الناس من الغواية ومن طغيان الباطل والإرهاب ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(١) لتنمية ملكة العصمة العامة من تصديق الباطل والظالم .

الرابع : القراءة في مرضاة الله عز وجل تنشيط لملكة الجدال والإحتجاج على الذين كفروا ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيُبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾^(٢) .

الخامس : إنقطاع الناس إلى التفقه في الدين ، ومعرفة إعجاز الخلق والنشأة ، والإقرار بالعبودية لله عز وجل والإنقطاع لها واقية من العنف والإرهاب .

لقد وردت الآية الكريمة بالأمر الأهم ﴿اقْرَأْ﴾^(٣) ولا بد أن له غايات حميدة ، ومتجددة في كل يوم منها :

الأول : وجوب التلاوة والذكر .

الثاني : تنمية ملكة حب الله في القلوب .

(١) سورة العلق ١ .

(٢) سورة الأعراف ٤٥ .

(٣) سورة العلق ١ .

الثالث : التسليم بالنبوات ونزول آيات القرآن بالبرهان الإنسي بالإستدلال على العلة بالمعلول ، كما لو قيل هذه الأرض مزروعة بالحنطة ، وكل أرض مزروعة بالحنطة فهي مسقية بالماء .

لذا جعل الله عز وجل كلمات وآيات القرآن معجزة جلية في كل زمان لتدل بذاتها على نزولها من عند الله ، وهو من أسرار تلاوتها في الصلاة وباللغة التي أنزل فيها القرآن لمضامين قدسية في ذات اللغة ، وهي العربية ، إذ شاء الله أن يتعاهد هذه اللغة ووجود أمة ناطقة بها .

وسميت العربية لغة الضاد ، لأنها تنفرد بهذا الحرف من بين لغات أمم الأرض ، فليس من لغة حية أو ميتة تتضمن النطق بهذا الحرف . ومن فضل الله عز وجل على العرب واللغة العربية التي لم تكن لغة العرب وحدهم استدامتها بالقرآن وتلاوته اليومية ، إذ صارت بنزول القرآن على وجوه :

الأول : لغة القرآن الذي له نفع عظيم في حفظ اللغة العربية وقواعدها واستحدث القرآن لها ذخائر في البلاغة والنحو والصرف ونحوه ، لتصبح بحلة جديدة ومتجددة ذات جمال خاص سحر ، وبهاء وشعاع ساطع ، وحتى الذي احتلوا البلاد العربية تعلموها وعملوا على انتشارها .

الثاني : اللغة التي ينطق بها المصلون في مشارق الأرض ومغاربها ، خمس مرات في اليوم .

الثالث : العربية لغة المسلمين والمسلمين فمن رشحات تلاوة القرآن في الصلاة بالعربية مسائل :

الأولى : تعلم كل مسلم اللغة العربية ولو على نحو الموجبة الجزئية ، لقد نطقت بلقيس ملكة سبأ بالبسملة التي كتبها النبي سليمان بن داود عليه السلام في رسالة دعوتها لدخول الإسلام ، كما ورد في التنزيل

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِإِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١) ليقوم أكثر من مليار مسلم ومسلمة بتدوير وتلاوة وتدوين ذات الكلمات التي كتبها النبي سليمان ونطقت بها بلقيس .

الثانية : عربية القرآن سور الموجبة الكلية الجامع للمسلمين ، إذ يلتقون فيه وإن تباينت بلدانهم وأعراقهم .

الثالثة : عربية القرآن عنوان التأخي بين المسلمين ، وتلاوتها والتلفظ بآيات القرآن في الصلاة في مشارق الأرض ومغاربها من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢).

فمن إعجاز القرآن اليومي أن الله عز وجل أنزل الآية القرآنية ثم لتصير مصاديقها تتجدد كل يوم ، وسيأتي قانون (المصاديق اليومية لأخوة المسلمين) .

وهل يتعارض الإرهاب مع حقوق الإنسان ، الجواب نعم من جهات منها الحاجات النفسية وهذا مبحث مستحدث لبيان أضرار الإرهاب على النفوس واستقرار الخوف والفرع في الوجود الذهني ، وهو أمر لا ينحصر بذات الذين يخشون وقوع الإرهاب عليهم ، إنما يشمل الذين يقوم بالإرهاب نفسه .

ومن إعجاز القرآن ، وكونه ﴿تَبَيَّنَ لَكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ﴾^(٤) بلحاظ كبرى كلية وهي أن ذكر الله وأداء الفرائض ،

(١) سورة النمل ٣٠.

(٢) سورة الحجرات ١٠.

(٣) سورة النحل ٨٩.

(٤) سورة الرعد ٢٨.

، والإقرار بوحدة التنزيل والتآخي والتقارب بين الملل السماوية للوقاية من الإرهاب بذكر الله ومصاديقه من وجوه :

الأول : أداء الصلاة والفرائض العبادية ، ومن مصاديق تعاهد وحفظ الله قواعد ومصاديق خلافة الإنسان في الأرض إقامة الصلاة من أيام أيينا آدم ، وهي سور الموجبة الكلية لجميع الأديان والمذاهب ، وفيه دعوة للتدبر في موانع الإرهاب ووجاهة الأسباب التي تحول دونه ومنها إلتجاء الناس جميعا إلى الله عز وجل وإطمئنان القلوب بذكره سبحانه ، وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال (جاء نقر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه واله فسأله أعلمهم عن مسائل ، فكان فيما سأله أخبرني عن الله لاي شئ وقت هذه الخمس الصلوات في خمس مواقيت على امتك في ساعات

الليل والنهار ؟

قال النبي صلى الله عليه واله إن الشمس إذا طلعت عند الزوال لها حلقة تدخل فيها فإذا دخلت فيها زالت الشمس ، فيسبح كل شئ دون العرش لوجه ربي ، وهي الساعة التي يصلي علي فيها ربي ، ففرض الله عز وجل على وعلى امتي فيها الصلاة وقال "

أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل " وهي الساعة التي يؤتى فيها بجهنم يوم القيامة ، فما من مؤمن يوفق تلك الساعة أن يكون ساجدا أو راکعا أو قائما إلا حرم الله عز وجل جسده على النار. وأما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة ، فأخرجه الله من الجنة ، فأمر الله ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة ، واختارها لامتي فهي من أحب الصلوات إلى الله عز وجل ، وأوصاني أن أحفظها من بين

الصلوات. وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم، وكان بين ما أكل من الشجرة، وبين ما تاب الله عليه ثلاث مائة سنة من أيام الدنيا، وفي أيام الآخرة يوم كآلف سنة: من وقت صلاة العصر إلى العشاء، فصلى آدم ثلاث ركعات ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته، فافترض الله عز وجل هذه الثلاث الركعات على امتي، وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء، فوعدني ربي أن يستجيب لمن دعاه فيها، وهذه

الصلاة التي أمرني بها ربي عز وجل فقال: " سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون " .

وأما صلاة العشاء الآخرة، فإن للقبر ظلمة وليوم القيامة ظلمة أمرني الله وامتني بهذه الصلاة في ذلك الوقت، لتنور لهم القبور، وليعطوا النور على الصراط وما من قدم مشت إلى صلاة العتمة إلا حرم الله جسدها على النار، وهي الصلاة التي اختاره الله للمرسلين قبلي.

وأما صلاة الفجر، فإن الشمس إذا طلعت تطلع على قرني الشيطان، فأمرني الله عز وجل أن أصلي صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وقبل أن يسجد لها الكافر فتسجد امتي لله، وسرعتها أحب إلى الله، وهي الصلاة التي تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، قال: صدقت يا محمد^(١).

الثاني : تلاوة التنزيل والعمل بمضامينه القدسية ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢) .

(١) البحار ٧٩/٢٥٣.

(٢) سورة الطلاق ٢-٣.

الثالث : تمجيد أهل الملل لله عز وجل ، وتخصيص أهل كل ملة أماكن للعبادة والذكر ، وعلو شأن المساجد في الدعوة إلى الله وبيانها بالدراسة المقارنة للنقص في تلك الأماكن التي قد تكون فيها جهالة ، إذ تدعو المساجد بذاتها بوجوب عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له ، قال تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١) .

الحمد لله الذي جعل المعجزة مصاحبة للأنبياء وتفضل وخص النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة العقلية وهو القرآن لتبقى آياته أمراً خارقاً للعادة مقروناً بالتحدي ، سالماً عن المعارضة داعياً إلى الله في الصباح والمساء ، ويبعث على التنزه عن العنف والإرهاب .

وليس من بيت من بيوت المسلمين إلا ويدخله القرآن تلاوة وتدبراً وصيرورة قراءته جزءاً واجباً من الصلاة على نحو الوجوب العيني ، بل قد دخل القرآن بيوت المشركين في بداية التنزيل ، وهو من فيوضات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان قانون وهو عدم وجود حاجب وبرزخ بين القرآن ودخول البيوت مطلقاً ، لإفادة علم جديد وهو (من إعجاز القرآن دخوله بيوت المشركين سلماً) وفيه إزاحة للعنف والقتال، وسيأتي بيان شواهد لهذا لقانون .

لتكون مكة وبيوتها في الأيام الأولى للتنزيل مرآة ومثالاً لدول العالم في زمن العولمة ، فيدخلها القرآن والتدبر فيه ، وهو من مصاديق تسمية مكة أم القرى كما في قوله تعالى ﴿لَنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢) وصار المسلمون

(١) سورة الجن ١٩.

(٢) سورة الشورى ٧.

يقصدون البيت الحرام للحج والعمرة من جميع أرجاء الأرض بوسائل نقل سريعة.

وتتقدم الصناعات في اختصار وقت السفر والنقل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ليكون من مصاديق ﴿وَمَنْ حَوَّلَهَا﴾ في الآية أعلاه بيان تقارب المسافات وتسخيره في طاعة الله عز وجل لإستدامة النعم على أهل الدنيا ، ومن الشكر لله عز وجل على هذه النعم الإمتناع عن الإرهاب والقتل والظلم فالذي يعيش في بيئة محافظة متقيدة بالسنن ومنها الحجاب وعمارة المساجد ، والتنزه عن محلات الخمر ، ويسافر إلى بلدان أخرى يرى فيها الضد فيجب ألا يقوم بالإرهاب والإنتقام ، إنما يشكر الله عز وجل على نعمة التنقل بين البلدان ويتعاهد الفرائض والنسك وتلاوة القرآن وعمارة المسجد ، وهو خير حرب على مفاهيم الضلالة ، ومن إعجاز القرآن حضور قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وأختلف هل يدخل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفس الآية أعلاه وبقوله تعالى ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أم لا .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، وتدل الآية أعلاه على أنه ليس واجباً عينياً في كل حال وهيئة ومحل ، فقد يكون كفائياً أو خاصاً أو عاماً (عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم

نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ﴿١﴾.

وفي الحديث دعوة نبوية للناس على اختلاف مللهم من أجل استدامة النعم ، والإنشاع الأمثل منها بروح الأخوة الإنسانية ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيّاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

وتحرص الدول والمؤسسات العامة على تعاهد رأس المال الإجتماعي أي التعاون والتآلف بين الفرد والجماعة وزيادته ، فلا ينحصر رأس المال بالمال والشراء ، وبرأس المال الملموس والآلة كالمطرقة بالنسبة للعامل ، والمنجل للفلاح .

فحينما ينتمي الفرد إلى مؤسسات نافعة فإنه يرتقي في السلم الإجتماعي والثقافي ، ويتحول هذا الشأن والجاه إلى رأس مال مادي . ولا ينحصر الأمر به إنما تكون مشاركة الفرد للجماعات نوع طمأنينة له ، وثقة بالنفس ، أما الإرهاب فإنه يضر بالفرد والجماعة ، ويكون برزخاً دون مشاركة صاحبه وربما غيره في النشاطات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية ، وقد حارب الإسلام الكسل والعزلة بصلاة الجماعة خمس مرات في اليوم ، لتنمية الأخوة بين المؤمنين ونبذ العنف ضدهم ، وضد الناس جميعاً .

(١) تفسير القرطبي ٣٤٣/٧.

(٢) سورة الأعراف ١٨٩.

وصلاة الجماعة لغة مأخوذة من معنى الاجتماع العبادي ، ويراد منه اجتماع المصلين في مكان وزمان مخصوص لأداء الصلاة الواجبة ، وذكر أن صلاة الجماعة فرض عين على الرجال المكلفين للصلوات الخمس في الحضر والسفر مع القدرة عليها والأمن .

واستدل عليه بقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكُوعًا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَٰلِكَ الَّذِي كَفَرُوا وَلَوْ تَقفلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمَتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنْ ٱللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٢) إلى جانب السنة النبوية القولية والفعلية ، لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على أداء صلاة الجماعة كل يوم ، ويتفقد أصحابه فمن غاب ثلاثة أيام سأل عنه فإنه كان حريصاً عادة ودعا له ، وقول آخر أن صلاة الجماعة مستحبة استحباباً مؤكداً ، وأكد الإسلام على أمور في هذا الباب منها :

الأول : التعاون بين المسلمين بما فيه الخير والصلاح ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ ٱللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَائِدَ وَلَا أَيْمَانَ ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ

(١) سورة البقرة ٤٣.

(٢) سورة النساء ١٠٢.

أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

الثاني : نشر شأبيب المحبة بين الناس .

الثالث : قضاء حاجة المحتاج ، وإعانة الغريم الذي ركبته الديون .

الرابع : وجوب الزكاة والخمس والندب إلى الصدقة المستحبة سواء تعلقت الزكاة بمال المسلم أو لم يبلغ ماله النصاب ، إذ أن خطابات الصدقة المستحبة عامة ، وكل آية من آيات الزكاة وزكاة الفطر والصدقات المستحبة برزخ وزاجر عن الإرهاب ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤخر عنده الوفود التي تأتي إلى المدينة ليقوا في ضيافته أياماً فيتعلمون فيها الصلاة ، ويعتادون على الجماعة ، ويذوقون حلاوة الإيمان فالصلاة مرآته وزينته وهويته ثم يوصيهم بها ، لتكون واقية من الإرهاب والظلم .

و(عن مالك بن الحويرث قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن شبية متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحيماً رفيقاً فظن أن قد اشتقنا إلى أهلنا وسألنا عن من تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا عندهم

(١) سورة المائدة ٢.

(٢) سورة التوبة ٦٠.

وعلموهم ومروهم إذا حضر الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم^(١).

وقد همّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحرق بيوت بعض الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة ، من غير عذر ، و(عن أبي رزين ، عن ابن أم مكتوم أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني كبير ضريّر شاسع الدار ، ولا قائد لي ، فهل تجد لي رخصة ؟ قال : أسمع النداء ؟

قال : نعم قال : ما أجد لك رخصة^(٢) .

وتعتقد صلاة الجماعة باثنين أحدهما الإمام والآخر المأموم . ومن خصائص المساجد أنها محل ذكر الله عز وجل ، وتهذيب السلوك ، وتنمية ملكة العبودية والخشوع لله عز وجل ، وهي حرب على الإرهاب ومقدماته .

قال تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

الحمد لله الذي جعل القرآن ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) ، وفيه الأحكام والسنن وأصول وفروع الدين ، والقوانين التي تحكم أيام الناس في الحياة الدنيا وشأنهم وأحوال يوم القيامة .

(١) السنن الكبرى للنسائي ٥٠٠/١ .

(٢) المعجم الصغير- للطبراني ٣٥٧/٢ .

(٣) سورة الجن ١٨ .

(٤) سورة النحل ٨٩ .

وقد يقال أن قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(١) مطلق ولم تذكر مثلاً عدد ركعات كل فريضة من الصلاة ولا مقادير الزكاة وتفاصيل الحياة اليومية للناس ، والمغيبات ونشوء دول وزوال أخرى .
والجواب لقد جاء القرآن بالأصول العامة والقوانين التي تحكم الحياة ، لتجد الوقائع والأحداث تتجلى مصاديقها في القرآن ، وفيه الحل والنتيجة والعاقبة ، كما تضمن القرآن تزكية السنة النبوية والدعوة للعمل بها ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ^(٢).

ومن الإعجاز في القرآن أن السنة النبوية بيان للقرآن ومرآة له وتفاصيل لآياته ، وليس من تعارض بينها وبين القرآن مع أن القرآن معجز بذاته .
وقد صدر لنا والحمد لله الجزء الخامس والتسعون بعد المائة من تفسيرنا للقرآن في آية علمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً .

لما فيه من المسائل المقتبسة والقوانين المستنبطة من ذات الآية الكريمة التي اختص بتفسيرها ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٣) على قلة كلماتها .

وجاءت المقدمة من تسع عشرة صفحة ثم الإعراب واللغة ثم بحث في اسم الإشارة من خمس عشرة صفحة ، بعده كتبت في الأبواب الثابتة في تفسير كل آية وهي :

الأول : في سياق الآيات وعادة ما أتناول صلة الآية محل البحث بثلاث آيات قبلها وأخرى مثلها بعدها .

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة آل عمران ١٨٢.

ولكن لنحصر البحث في هذا الجزء بصلة آية البحث بالآيتين السابقتين لها ، لكثرة العلوم المستخرجة من الصلة بين الآيات .

وهناك بحث خاص في المقام وهو الصلة بين خاتمتي الآيتين.

الثاني : إعجاز الآية الذاتي .

الثالث : إعجاز الآية الغيري .

الرابع : الآية سلاح

الخامس : مفهوم الآية

السادس : إفاضات الآية

السابع : الآية لطف

الثامن : الآية بشارة .

التاسع : الآية إنذار .

العاشر : الآية رحمة .

الحادي عشر : الصلة بين أول وآخر الآية .

الثاني عشر : من غايات الآية .

الثالث عشر : التفسير .

وتضمن هذا الجزء قوانين متعددة منها ، قانون المجمل والمبين ، وقانون الخلافة وعد ، وقانون الموعدة ، وقانون دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأولاد الأنصار ودلالات هذا الدعاء ، ومن مصاديق صبغة القانون فيه بقاء منفعه ورشحاته المباركة إلى يومنا هذا وهي متجددة في كل زمان ، وغيرها من القوانين .

إلى جانب البحوث الكلامية والأصولية والبلاغية ، والحمد لله أني أقوم بالتأليف والتصحيح والمراجعة بمفردي سواء في أجزاء التفسير المتعاقبة أو كتبتي الفقهية أو الأصولية مع مواصلة إلقاء البحث الخارج على فضلاء

الحوزة العلمية ، والإجابة على الإستفتاءات ، وهو من فضل الله عز وجل . وأطبع أغلب أجزاء التفسير على نفقتي الخاصة مع أنه من أفضل موارد الخمس والزكاة ومبرئ للذمة بفضل من الله عز وجل .

حرر في ٢٩ جمادي الآخرة ١٤٤١

٢٠٢٠ / ٢ / ٢٤

قانون (الملازمة بين الإنسان والعهد)

(العَهْدُ: الوَصِيَّةُ. والمَوْثِقُ. والإِمَامُ. والمنْزَلُ الذي لا يزَالون إذا اتَّعَاوا

عنه یرجعون الیه.

وليس هذا كَعَهْدَانِكَ : أَي كَعَهْدِكَ.

والْعَهْدُ ، وَاحِدُ الْعَهَادِ ، : كُلُّ مَطَرٍ بَعْدَ مَطَرٍ ، وَعُهُدَتِ الرُّوْضُ .

والعهدة : كتاب الشرى.

وإن فيه لعُهدَةً : أي فساداً لم يُحكَمْ بعد.

والإعتقاد والتعهد والتعاهد : الاحتفاظ بالشيء.

وقيل : التَّعَاهُدُ يكون من اثنين.

وَعَهْدُكَ : الذي يُعَاهدُكَ.

وَقَرَحَةُ عَهْدَةٍ : قَدِيمَةٌ.

واستعھد منه: اشترط علیه^(۱).

والقربان : ما يتقرب به إلى الله عز وجل لإرادة القربة إلى الله عز

• وجل

(الْقُرْبَانِ مَصْدَرُ قَرُبَ يَقْرُبُ أَيَّ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِرَاقَةِ

دمائهم في الجهاد وكان قُرْبَانُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ذَبَحَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْإِبِلِ.

وفي الحديث الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ أَيِ إِنَّ الْأَنْقِيَاءَ مِنَ النَّاسِ يَتَقَرَّبُونَ

بها إلى الله تعالى أي يطلبون القُربَ منه بها وفي حديث الجمعة من راح في

الساعة الأولى فكأنما قَرَّبَ بدنةً أي كأنما أهدى ذلك إلى الله تعالى كما

يُهْدَى الْقُرْبَانُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ (٢).

(١) المحيط في اللغة ٧/١.

(٢) لسان العرب ١/٦٦٢.

ويشمل العهد لغة الميثاق بين الناس ، ويأتي بمعنى الوصية وما يكتبه الحاكم وما يقطعه ، ومن معاني العهد الأمان .

لقد صاحب العهد والميثاق الإنسان وهو في عالم الذر ، ومن قبل أن يخلق آدم ، إذ يتقدم العهد بوجوب التوحيد ، وعبادة الله عز وجل وحده وهو من مستلزمات وشرائط تولي الإنسان شؤون الخلافة في الأرض ، وسيأتي في الجزء القادم أن هذا العهد متقدم زماناً على إخبار الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) (٢) .

و(عن الأسود بن سريع من بني سعد قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع غزوات . قال : فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاشتد عليه .

ثم قال : "ما بال أقوام يتناولون الذرية؟

فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناء المشركين؟

فقال : إن خياركم أولاد المشركين ! ألا إنها ليست نسمة تُولد إلا ولدت على الفطرة ، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها (٣) .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) أنظر الجزء السادس والتسعين بعد المائة .

(٣) يذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن آباء عدد من أصحابه مشركون ، وهذه الأبوة ليست سبباً للمنقصة أو المؤاخذه ، وهل يدل قوله صلى الله عليه وآله وسلم (إن خياركم) على التفاضل بين الصحابة في الورع والتقوى والمسارة في الخيرات والإجتهاد في طاعة الله .

المختار نعم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (خياركم) اسم تفضيل مع تضمن الحديث الثناء على جميع الصحابة .

قال الحسن البصري : والله لقد قال الله ذلك في كتابه .
 قال : وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم .
 حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، قال : حدثنا أحمد بن أبي طيبة ، عن
 سفيان بن سعيد بن الأجلح ، عن الضحاك ، وعن منصور ، عن مجاهد ،
 عن عبد الله بن عمرو .
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (وإذا أخذ ربك من
 بني آدم من ظهورهم ذريتهم)^(١)
 قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم
 أأست بربكم قالوا بلى)^(٢) .
 قالت الملائكة : شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)^(٣) .
 وعن الحارث بن حاطب (عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم أن ننسك لرؤيتك ألهلال ، فإن لم نره وشهد شاهد عدل نسكننا
 بهما)^(٤) .
 وتقدم العهد للإنسان وعليه قبل خلق آدم حجة وإكرام لبيان وجوب
 تعاehده وليس فيه بطش أو إنتقام أو قتل عشوائي بل يلتقي الناس كلهم
 بسور الموجبة الكلية ، ومن حين عالم الذر بوجوب عبادة الله ، والعبادة
 واقية من الإرهاب ووسيلة للتنزه عنه ، إذ يتقدم هذا العهد بوجوب
 التوحيد ، وعبادة الله عز وجل وحده ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

(١) سورة الأعراف ١٧٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢ .

(٣) تفسير الطبري ٢٣١/١٣ .

(٤) الجصاص / أحكام القرآن ٧/٢ .

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ .

ويمكن تسمية الحياة الدنيا بأنها دار العهد والميثاق ، وقد أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء والناس كما أخذه الأنبياء على قومهم ، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَنْ نَنْصُرَهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢﴾ .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على العهد والميثاق ويميل إلى الصلح ، وكان يكتب العهد ويختمه ويشهد عليه عدداً من الصحابة وفيه منع من الغزو والغدر والخيانة والإرهاب .
والعهد في عالم الذر لا يغني عن العهد والميثاق في الدنيا ، إنما هو مقدمة ، وحجة وإصلاح ذاتي للناس قبل أن يخلقوا ، إذ قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ .

ليبان ان إشهاد الناس على أنفسهم في عالم الذر إنما هو من الفطرة ، وأصل يرتكز عليه الإيمان لذا تجده الإنسان تتلذذ بأداء الفرائض العبادية كالصلاة والصوم والزكاة والخمس ، ويشعر عند أدائها بأن ثقلًا قد أزيح عن صدره ، ولا يستوحش من طريق العبادة ، وإن اجتهد فيها ، وترى

(١) سورة النساء ١.

(٢) سورة آل عمران ٨١.

(٣) سورة النحل ٧٨.

الذي يفوته الحج مثلاً بسبب عدم الإستطاعة أو القرعة يتشوق له على مدار أيام السنة ، وإذا أداه تملأ الغبطة نفسه وأهله وذويه ومحبيه شاكرين لله عز وجل هذه النعمة ، وقد أخذت عليهم من عالم الذر ، ويتلقى التهاني والتبريكات بسعادة ولهفة .

و (عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

قيل : وما بره؟

قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام وفي لفظ : وإفشاء السلام^(١).
(وَعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ قَالَتْ أَخْبَرَتْنِي أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَخْرُجُ فَنُجَاهِدَ مَعَكَ فَإِنِّي لَا أَرَى عَمَلًا فِي الْقُرْآنِ أَفْضَلَ مِنَ الْجِهَادِ.

قَالَ : لَا وَلَكِنْ أَحْسَنُ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ حَجُّ الْبَيْتِ حَجٌّ مَبْرُورٌ^(٢).
وهناك كلمات وأدعية مخصوصة في توديع واستقبال الحاج منها (حج مبرور وسعي مشكور وذنب مغفور)

وتفضل الله عز وجل وأرسل الأنبياء وأنزل الكتب السماوية ، وكل بعثة نبي عهد بين الله عز وجل والناس ، وكذا نزول الكتاب السماوي ، لذا فإن قتل النبي أو محاربته خلاف العهد الذي أخذه الله عز وجل على الناس قبل أن يخرجوا إلى الدنيا لبيان قانون وهو أن الله عز وجل يحدد العهد بينه وبين الناس من وجوه :

الأول : عالم الذر ، لبيان عظمة قدرة الله عز وجل وأن الناس سيحشرون جميعاً مثلما أول الخلق ولكن مع الفارق إذ يحشرون

(١) الدر المنثور ١/٤٢٢.

(٢) سنن النسائي ٥/٩.

باجسادهم وأعمالهم قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١).

الثاني : تعليم الله عز وجل لآدم الأسماء كلها ، فهذا التعليم عهد وميثاق بين الله عز وجل والناس ، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢) .
ولقد أطل الله عمر آدم إذ عاش تسعمائة وثلاثين سنة وأدركه أحفاده وأبناء أحفاده ليتلقوا منه تعليم الأسماء ووجوب عبادة الله عز وجل ، وسنن الفرائض ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
ويتوارثون التنزه عن المعاصي والفواحش .

ولقد قتل أحد أولاد آدم وهو قابيل أخاه هابيل خلافاً للعهد مع الله والعهد بين الناس ، لتدرك الذرية القبح الذاتي للقتل وأثره على الوالدين ، سواء أبوي القاتل أو المقتول ، وقد اجتمعت هذه المصيبة على آدم وحواء إذ أن القاتل والمقتول ولداهما ، فبعد رفقة الملائكة وفي الجنة والتمتع بنعيمها دب الحزن إلى قلوبهما بهذا القتل من جهات :
الأولى : تجرباً قابيل على القتل .

الثانية : سفك الدماء .

الثالثة : فقد هابيل مع تقواه وصلاحه بدليل احتجاجه على قابيل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) .

ولو كان والد المقتول ميتاً فهل يعلم بقتل ولده الجواب نعم ، لأنه يرد عليه في عالم البرزخ .

الثالث : قيام آدم بتعليم الملائكة الاسماء التي علمه الله عز وجل .

(١) سورة الملك ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) سورة المائدة ٢٧ .

قانون الخلق الحسن حصانة من الإرهاب

لقد اجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تنمية ملكة الخلق الحسن عند الناس سواء عند المسلمين أو غيرهم ، لذا ورد عنه أنه قال (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(١) لبيان أن نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبب لنشر الأخلاق الحميدة ، ومانع من البطش والظلم والإرهاب ، والحديث أعلاه من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) لأن التحلي بالسلوك الحسن واشاعة الأخلاق الحميدة رحمة عامة ، وسبيل للثواب العظيم ، وليكون من معاني العظمة في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) الثواب والأجر العظيم في الآخرة على الخلق الحميد وترك إيذاء الناس ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار)^(٤) ومثلما وردت الآية أعلاه بصيغة الثناء وحسن خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع الناس جميعاً .

فإن هذا الحديث يتضمن الأجر والثواب على حسن الخلق مع المسلمين وغيرهم من الناس جميعاً .

و(عن أنس قال : قالت أم حبيبة : يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجها لأيهما تكون .
للأول أو للآخر؟

(١) المحرر الوجيز ٦ / ٣٩٤ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة ن ٤ .

(٤) الكشف والبيان - للثعلبي ١٣ / ٣٣٢ .

قال : تخير فتختر أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجها في الجنة ، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة^(١).

و (عن أم سلمة قالت :

قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله : { وَحُورٌ عِينٌ }^(٢) .

قال : حور : بيض ، عين : ضخماء العيون ، شُفْر الحوراء بمنزلة جناح

النسر.

قلت : أخبرني عن قوله : { كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ }^(٣) .

قال : صفاؤهـن صفاء الدر الذي في الأصداف ، الذي لم تَمَسَّه

الأيدي .

قلت : أخبرني عن قوله : { فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ }^(٤).

قال : خَيْرَاتُ الأخلاق ، حسان الوجوه.

قلت : أخبرني عن قوله : { كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ }^(٥).

قال : رقتهن كركة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر،

وهو : الغرقى^٦.

قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قوله : { عُرْبًا أَتْرَابًا }^(٦) .

قال : هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمَصًا شُمَطًا ، خلقهن

الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى عُرْبًا متعشقات محبات، أتراباً على ميلاد

واحد^٧.

(١) الدر المنثور ٢/٤٣٦.

(٢) سورة الواقعة ٢٢.

(٣) سورة الواقعة ٢٣.

(٤) سورة الرحمن ٧٠.

(٥) سورة الصافات ٤٩.

(٦) سورة الواقعة ٣٧.

قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟
قال : بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظهارة على البطانة.

قلت : يا رسول الله ، وبم ذاك؟
قال : بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ، عز وجل ، ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، يبيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلي ، مجامرهن الدرّ ، ومشاطهن الذهب.
يقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ،
ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، طوبى لمن كنّا له وكان لنا.

قلت : يا رسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها؟
قال : يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقاً .
فتقول : يا رب ، إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة^(١).

قانون نزول الآية القرآنية برزخ دون سفك الدماء

من إعجاز القرآن نزوله منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة .
فهو لم ينزل إلى الأرض دفعة واحدة إنما نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم قام جبرئيل بإنزاله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نجوماً ومنه ما تكون الوقائع ، وتوجيه الأسئلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسباباً للنزول ، وكأن ليس

(١) تفسير ابن كثير ٥٣٢/٧.

ثمة مسافة بين الواقعة وصعودها إلى السماء ونزول جبرئيل بالآية أو الآيات القرآنية.

وعن ابن عباس: أن نقرأ من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا ، فما تنفق منها؟ فأنزل الله { ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو }^(١).

وكان قبل ذلك ينفق ماله حتى لا يجد ما يتصدق به ، ولا ما لا يأكل حتى يتصدق عليه)^(٢).

(وعن ابن عباس قال : كان الرجل في الجاهلية لو قال لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي حرمت عليه ، وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت .

وكانت تحته ابنة عم له يقال لها خولة فظاهر منها فأسقط في يده وقال: ما أراك إلا قد حرمت عليّ فانطلقني إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسأليه.

فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فأخبرته فقال : يا خولة ما أمرنا في أمرك بشيء .

فأنزل الله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا خولة ابشري قالت : خيراً قال : خيراً فأنزل الله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليها { قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها } (الآيات)^(٣).

(١) سورة البقرة ٢١٩.

(٢) الدر المنثور ٩/٢.

(٣) الدر المنثور ٩/٤٢٩.

لقد وصف الله عز وجل القرآن بأنه مبارك قال سبحانه ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ^(١) وتحتل البركة وجوهاً:

الأول : إرادة العموم المجموعي ، وأن سور وآيات القرآن مجتمعة مباركة .

الثاني : إرادة العموم الإستغراقي ، فكل سورة من القرآن مباركة .

الثالث : المقصود العموم البدلي فكل كلمة من القرآن مباركة .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق البركة فهي مباركة في ذاتها وتترشح عنها البركة دفعة وتدرجاً ، ومن معاني البركة وجوه :

الأول : نزول القرآن من عند الله عز وجل .

الثاني : نزول جبرئيل بالقرآن وهو من سادة الملائكة .

الثالث : إختصاص نزول القرآن على سيد الأنام محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : إيمان الناس بالوحدانية ، للتسليم بأن القرآن نازل من عند الله .

الخامس : مجئ القرآن بالإسلام وتمام الدين ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^(٢) .

السادس : ترشح المنافع الدنيوية والأخروية عن القرآن وتلاوته .

السابع : تلاوة الآية القرآنية تفقه في الدين وعصمة من ارتكاب الكبائر والفواحش .

الثامن : إتخاذ مضامين الآية القرآنية دليلاً وضياءً ومنهاجاً .

(١) سورة الانعام ٩٢.

(٢) سورة المائدة ٣.

التاسع : كل آية قرآنية صراط مستقيم، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)، سؤال المسلمين الله عز وجل بأن يتعاهدوا قراءة القرآن.

العاشر : التلاوة وسيلة لحب الله للعباد .

الحادي عشر : من البركة أن تلاوة الآية القرآنية حرز من الإرهاب ، ولا يعلم فوائد التلاوة في إصلاح النفوس والأفعال إلا الله عز وجل .
لقد أكرم الله عز وجل بني آدم وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢) .

ومن مصاديق هذا التكريم حرمة سفك الدماء من وجوه :

الأول : نزول الكتب السماوية بالنهاي عن القتل والتعدي .

الثاني : مجئ الأنبياء بالإصلاح والرشاد .

الثالث : الملازمة بين وجود الإنسان في الأرض وبين العبادة ، قال

سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) .

الرابع : شدة العقوبة على القتل ، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا

أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤) .

(١) سورة الفاتحة ٦ .

(٢) سورة الإسراء ٧٠ .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ .

(٤) سورة البقرة ١٧٩ .

الخامس : تحمل الأوزار والآثام على القتل ، قال تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّا كَثَّرْنَا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (١).

قانون الأنبياء أئمة في الشكر

لقد اختار الله عز وجل نفراً من خيرة خلقه فجعلهم رسلاً ووسائط بينه وبين الناس يقومون بتبليغ الشرائع وأحكامها ويتصفون بخصال حميدة منها :

الأولى : العصمة من الذنوب والمعاصي .

الثانية : الخلق الرفيع .

الثالثة : التنزه عن الرذائل والصفات المذمومة كالكذب والنميمة واللغو والغيبة .

الرابعة : التحلي بالصبر ، وتشهد كل أمة على مرتبة الصبر العالية عند نبينا ، ولا تختص هذه الشهادة بالمؤمنين بل تصدر حتى من الذين جحدوا بنبوتهم ، وفي التنزيل ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٢).

الخامسة : تلقي البشارة بالنصر والفرج وظهور وعلو راية التوحيد ، فلا يغادر النبي الحياة الدنيا إلا ويرى أتباعا له باقين على العهد ، ويدل

(١) سورة المائدة ٣٢.

(٢) سورة الأحقاف ٣٥.

بقاؤهم هذا على توارث الإيمان ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

السادسة : بذل الأنبياء الوسع في الدعوة إلى الله والتبليغ ، ومن خصائص الأنبياء أنهم لم يتخذوا الإرهاب وسيلة للتبليغ ، ففي المعجزات التي رزقهم الله كفاية وحجة ووسيلة في الإقناع ، وفي ذات المعجزة مسائل : الأولى : تستلزم المعجزة قيام الأنبياء وأتباعهم بالشكر لله عز وجل . الثانية : المعجزة فقاها في الدين ، وجذب سماوي للناس للإرتقاء إلى مراتب الإيمان .

الثالثة : تبعث المعجزة أتباع الأنبياء على نبذ الإرهاب ، لذى ترى علماء كل أمة من أهل التوحيد يحرصون على دفع العنف واجتناب الإضرار بالغير ، ولا عبرة بالقليل النادر .

ولجأ الأنبياء إلى سلاح الشكر لله عز وجل وهو مصاحب لهم ، وفي سليمان ورد قوله تعالى ﴿أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢) ويمكن إحصاء الآيات التي تتضمن شكر الأنبياء لله عز

وجل وتفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمضامينها القدسية ، وقد ذكرت الآية أعلاه شكر سليمان لله عز وجل على فضله عليه وعلى والديه ، وورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل على إعانة أم سليمان لابنها في تعاهد سنن التقوى ، إذ ورد عن جابر بن عبد الله

(١) سورة الأنبياء ٥.

(٢) سورة النمل ١٩.

الأنصاري قال (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بني، لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة".

وروى ابن أبي حاتم عن داود، عليه السلام، هاهنا أثرا غريبا مطولا جدا، وقال أيضاً:

حدثنا أبي، حدثنا عمران بن موسى، حدثنا أبو يزيد فيض بن إسحاق الرقي قال: قال فضيل في قوله تعالى: { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا } . فقال داود: يا رب، كيف أشكرك، والشكر نعمة منك؟ قال: "الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني" ^(١) ، في حرص الأنبياء على تعاهد الشكر لله سبحانه وفيه مسائل :

الأولى : إنه حرب على الإرهاب والإرهاب الموازي .

الثانية : الشكر لله مانع من الظلم والتعدي وانشغال وأنصراف عنه.

الثالثة : الحمد لله والشكر له سبحانه برزخ دون تلقي الإرهاب ، وفي قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلْتُ دُعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٢) ذكرت أخبار في حمل ووضع حواء وأن إبليس قتل عدداً من أولادها واحداً بعد الآخر .

والمختار أنها أخبار مخالفة لسنة الله في الأرض ، فقد أبى الله عز وجل أن يكون لابليس سلطان تام في القتل .

ومنها (قال الكلبي : إن إبليس أتى حواء في صورة رجل لما أثقلت في أول ما حملت فقال : ما هذا الذي في بطنك قالت : ما أدري ،

(١) تفسير ابن كثير ٥٠١/٦ .

(٢) سورة الأعراف ١٨٩ .

قال : إني أخاف أن يكون بهيمة،

فقالت : ذلك لآدم،

فلم يزالا في نِعَم من ذلك ثم عاد إليها فقال : إني من الله (منزل) فإن دعوت الله فولدت انساناً (أُسميته في) قالت : نعم،

قال : فإنني أدعو الله فأتاها وقد ولدت فقال : سميه باسمي،

فقالت : وما اسمك؟

قال : الحارث،

ولو سَمَى نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث.

وقال سعيد بن جبير : لما هبط آدم وحواء (عليهما السلام) الأرض ألقى الشهوة في نفس آدم فأصابها فحملت فلما تحرك ولدها في بطنها جاءها إبليس فقال ما هذا (ما ترين) في الأرض إلا ناقة أو بقرة أو ضائنة^(١) أو (ماعزة)^(٢) أو نحوها .

فما يدريك ما في بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو أذنك أو عينك أو فيك أو يشق بطنك فيقتلك،

فخافت حواء من ذلك قال : فأطيعيني وسميه عبد الحرث. وكان اسمه في الملائكة الحرث،

تلدن شبيهكما مثلكما،

فذكرت ذلك لآدم فقال : لعله صاحبنا الذي قد علمت،

فعاودها إبليس فلم يزل بهما حتى غرهما فسمياه عبد الحرث.

(١) الضائنة : الشاة إذا هرمت.

(٢) في الأصل كاجزة ، والظاهر أنه خطأ من الناسخ .

قال السدي : ولدت حواء غلاماً فأثاها إبليس فقال سموه بي وإلاً قتلته،

قال له آدم : قد أطعتك فأخرجتني من الجنة،
فأبى أن يطيعه فمات الغلام،
فحملت بآخر فلما ولدته قال لهما مثل ذلك فأبيا أن يطيعاه،
فمات الولد،
فحملت بآخر فأثاها وقال لهما : إذ غلبتاني فسمياه عبد الحرث،
وكان اسم إبليس الحرث.
ولم يشعروا به فوالله لا أزال أقتلهم حتى تسمياه عبد الحرث. كما
قتلت الأول والثاني فسمياه عبد الحرث فعاش. (١).

ولا أصل لهذا الحديث سنداً ودلالة .

إذ قال الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) لبيان أن إبليس ليس له سلطان وقوة يقهر بها الإنسان ، وهو الذي يدل عليه معنى الخلافة ، إنما كان إبليس يزين السيئة ويوسوس ويوعد بالهم والسراب ، وفي التنزيل ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٤٩٢/٥ .

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة ابراهيم ٢٢.

وورد الخبر عن ابن عباس أن أحد أولاد آدم اسمه عبد الحارث ، وقال اسمه عبد الرحمن .

(وأخرج إسحاق بن بشر في المبتدأ وابن عساكر في تاريخه من طريق جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : ولد لآدم أربعون ولداً ، عشرون غلاماً وعشرون جارية ، فكان ممن عاش منهم هابيل ، وقايل ، وصالح ، وعبد الرحمن ، والذي كان سماه عبد الحارث ، وود ، وكان يقال له شيث ، ويقال له هبة الله ، وكان اخوته قد سودوه ، وولد له سواع ، ويغوث ، ونسر ، وإن الله أمره أن يفرق بينهم في النكاح ، ويزوج أخت هذا من هذا)^(١).

وقد احتجت الملائكة يوم أخبرهم الله بأنه جاعل الإنسان خليفة في الأرض بالقول ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢) أي أنهم نسبوا الفساد والقتل إلى الإنسان.

ويعجز الشيطان أن يؤثر على آدم وحواء في الدنيا ، فان قلت قد وسوس لهما وهما في الجنة ، الجواب هناك تباين في الموضوع إذ أن الحياة الدنيا دار إمتحان وإختبار وتكليف.

كما ورد عن (محمد بن إسحاق بن يسار، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم، عليه السلام، أولادا فيعبدهم لله ويسمونه: "عبد الله" و"عبيد الله"، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش قال: فولدت له رجلا فسماه "عبد الحارث" ، ففيه أنزل الله { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

(١) الدر المنثور ٣/٣٥٨.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ {^(١) إلى قوله: { جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا } إلى آخر الآية }^(٢).

وصحيح أنه ورد في الخبر موت الأولاد وعدم نسبته إلى إبليس إلا أنه لا دليل على حياة الذي سمياه عبد الحارث .
لقد قام إبليس بالسوسة لقاييل عندما بلغ وقام بقتل أخيه وفيه جريمة أكبر من موت الصبي عند ولادته.

وهل زاول إبليس الإرهاب ، فيه وجوه :

الأول : نعم زوال ويزاول إبليس الإرهاب.

الثاني : لم يزاول إبليس الإرهاب.

الثالث : كان إبليس يمرض على الإرهاب .

والمختار هو الأول والثالث ، وما دفعه الله عز وجل من شرور إبليس

في المقام أكثر مما يحصى ، وهذا الدفع من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٣).

ومن الإعجاز في الآية أعلاه ورود لفظ (النعمة) في الآية أعلاه بصيغة اسم الجنس ، لبيان قانون وهو كل نعمة من نعم الله عز وجل على الناس ، لها مصاديق لا متناهية .

لقد أظهر إبليس يوم خلق آدم الحسد والاستكبار ، ولم يكتف بمعصية أمر الله عز وجل بالسجود لآدم ، إنما ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٧/٣.

(٣) سورة النحل ١٨.

فقد تفضل الله عز وجل وأخبر الناس بالآية أعلاه عن غرور إبليس ،
الذي قاده إلى المعصية لنستقرأ منه مسألة وهي لزوم إنصاف الآخرين ،
والإقرار بفضلهم ، وشكر الله عز وجل على النعم الخاصة والعامة ، وقد
رأى الأنبياء طواغيت في زمانهم ، فلم يحسدوهم ، إنما دعوهم إلى الإسلام
، ولو آمن فرعون برسالة موسى عليه السلام لبقى في عرشه وسلطانه ، ولما
هلك هو وجنوده في البحر الأحمر ، قال تعالى ﴿فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمُ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِيهِ
الْيَمَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(١) .

ومن مفاهيم خلافة الإنسان في الأرض لزوم العصمة من الإنقياد
لإبليس وإغوائه ، وتجلبت هذه العصمة بسنن الأنبياء ، وتواضعهم بين
الناس ، وإذا كان هناك تفاخر بين البشر فانهم أولى الناس بالفخر ،
ولكنهم أظهروا الخشوع لله عز وجل ، وحرصوا على إكرام الناس بلحاظ
التقوى ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢) ومن التقوى تعاهد
الإقتداء بالأنبياء في مسالك الشكر .

وقال تعالى ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(٣) .

ويدل قوله تعالى ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(٤) على لزوم شكر النبي وأهله
وذويه لله عز وجل ، وعدم إختصاص الشكر على نعمة النبوة بأشخاص
الأنبياء .

(١) سورة ص ٧٦ .

(٢) سورة الأعراف ١٣٦ .

(٣) سورة الحجرات ١٣ .

(٤) سورة سبأ ١٣ .

(٥) سورة سبأ ١٣ .

(عن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب الناس على المنبر ، وقرأ هذه الآية { اعملوا آل داود شكراً }^(١)) قال : ثلاث من أوتيهن فقد أوتي ما أوتي آل داود .

قيل : وما هن يا رسول الله ؟

قال : العدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وذكر الله في السر والعلانية^(٢) .

وكل فرد من هذه الأفراد الثلاثة باعث للأمن والسلم المجتمعي وحرز من الظلم والتعدي .

لقد كان آدم عليه السلام من أئمة الشكر ، ويمكن القول بقانون أنه الذي أسس شكر الله في الأرض بلحاظ أن هذا الشكر عبادة وقد أنس آدم لإتحاده الأرض محلاً لعبادة الله ، ووراثته أبنائه هذه الخصلة الكريمة .

ومن مصاديق شكر آدم لله عز وجل لجوئه إلى الصلاة وتعاهدتها وجعلها تركة لأولاده وأحفاده (عن زر بن حبیش قال: سألت ابن مسعود عن أيام البيض ما سببها وكيف سمعت ؟

قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : إن آدم

لما عصى ربه عز وجل ، ناداه مناد من لدن العرش: يا آدم اخرج من جوارى ، فانه لا يجاورني أحد عصاني ، فبكى وبكت الملائكة ، فبعث الله عز وجل إليه جبرئيل فأهبطه إلى الارض مسوداً ، فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت .

وقالت : يا رب خلقا خلقتهم ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك بذنب واحد حولت بياضه سواداً ؟

(١) سورة سبأ ١٣ .

(٢) الدر المنثور ٨/ ٢٢٥ .

فناداه مناد من السماء: صم لربك اليوم فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد، ثم نودي يوم الرابع عشر أن صم لربك اليوم، فصام فذهب ثلثا السواد، ثم نودي في يوم خمسة عشر بالصيام، فصام وقد ذهب السواد كله فسميت أيام البيض^(١)، للذي رد الله عز وجل فيه على آدم من بياضه، ثم نادى مناد من السماء يا آدم هذه الثلاثة أيام جعلتها لك ولولدك، من صامها في كل شهر فأنما صام الدهر^(٢).

و(عن معاذ بن أنس الجهني، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنما سمى الله نوحاً { عبداً شكوراً }^(٣) لأنه كان إذا أمسى وأصبح. قال : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون)^(٤).

مما يدل على أن التلطف بالشكر لله يشمل قول الحمد لله، ليكون من مصاديق قوله تعالى، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٥). تكرار كل مسلم ومسلمة لقول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦). في الصلاة كل يوم على نحو الوجوب العيني.

والإتيان بالحمد لله في حال الخشوع والخضوع لله عز وجل والشكر لله سور الموجبة الكلية الجامع للأنبياء والمؤمنين والمؤمنات وأهل الملل والنحل، وهذا الجامع المبارك دعوة للناس جميعاً لإجتنب الإرهاب وسفك

(١) المراد أيام الليالي البيض لأن القمر يخرج فيها بديراً.

(٢) البحار ٩٤/٩٧.

(٣) سورة الاسراء ٣.

(٤) الدر المنثور ٦/٢٣١.

(٥) سورة آل عمران ١١٠.

(٦) سورة الفاتحة ٢.

الدماء ، والتفجير العشوائي ونسبته إلى التباين في العقيدة والدين لا أصل لها ما دام الجميع يتوجهون إلى الله عز وجل بالشكر والثناء ، ومن لم يشكر الله عز وجل ييؤء بآثمه ، وهذا المعنى لا يمنع من النصح والإرشاد ، قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

الجزيرة قبل البعثة النبوية

لقد كانت الوثنية سائدة في الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية مع وجود بقايا الحنيفية الإبراهيمية ، وأفراد وجماعات على الديانة اليهودية والمسيحية من غير أن يؤثرأ في إزاحة الأوثان وعبادتها خاصة وأن مركز هاتين الديانتين بعيد عن الجزيرة وتفصل الصحراء بينهما ولا يرغب كثير من الحكام والملوك بغزو الجزيرة لفرض للمخاطر في البيداء وقلة النفع وإغارة الأعراب على الجيوش الغازية ، فان قلت تقوم هذه الجيوش باستتجار هؤلاء الأعراب للدلالة ونحوها ، الجواب نعم هذا صحيح ، ولكن الإغارة قد تأتي من غيرهم .

ومن مظاهر الشرك والخصال التي تصاحبه :

الأول : الجهالة .

الثاني : الفساد .

الثالث : الظلم ، والتعدي ، قال تعالى ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

(٢)

الرابع : المعاملات الباطلة كالربا .

الخامس : السرقة والنهب والسلب .

(١) سورة القصص ٥٦.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

السادس : القتل وسفك الدماء بغير حق .

وهل يشمل القتل في قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١) قتل غير الأنبياء من الصالحين وعامة الناس ، الجواب نعم من باب الأولوية.

ولم تكن بقايا الحنيفية زاجرة للناس عن الشرك والفسوق ، فتمادوا في الشر حتى نصبوا الأوثان في البيت الحرام ، وداخل الكعبة الشريفة ولم تؤثر في قريش اليهودية في المدينة ، والمسيحية في نجران وأطراف الشام ، ولم تقتبس قريش من تجار الشام واليمن ، بعض العقائد ، ولم يقرروا بها ، مما يدل على رسوخ مفاهيم الشرك في نفوسهم وفيه شاهد على عظيم جهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تغيير المفاهيم والأخلاق نحو الأحسن .

عن أبي رجاء العطاردي قال: (لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعناه به ، لحقنا بمسيلمة الكذاب؛ لحقنا بالنار؛ وكنا نعبد الحجر في الجاهلية. وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم حلبنا عليها كثة اللبن، ثم نطوف به.) (٢).

وهل من ملازمة بين عبادة الأوثان وسوء الأخلاق الجواب نعم ، لإنعدام الواعز عنها ، فجاء الإسلام يكشف حقيقة الحياة وأنها دار ممر ومزرعة للآخرة ، والشواهد والقرائن تدل على هذا القانون ، وكل إنسان يدرك أنه مغادر للدنيا طوعاً أو قهراً .

(١) سورة البقرة ٢٥٤.

(٢) الذهبي/تاريخ الإسلام ٢٥٣/١.

ومن الآيات في المقام عدم إنحصار الموت بالكبار والعجائز ، فقد يأتي الموت والمرض المهلك للشباب والشابة والأطفال الصغار ليتعظ الناس ويشكر الذي أمدّ الله عز وجل في عمره الله سبحانه على هذه النعمة ، ويتجلى الشكر بالإيمان ، وفي كلمة جعفر الطيار في حضرة ملك الحبشة النجاشي صورة مشرقة إذ خاطب بصفة الملكية بقوله : (أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام)^(١).

فأخبر عن حالهم السابق بصيغة الماضي (كنا) لبيان شاهد على التنزه عن الجاهلية وعبادة الأوثان ، وفيه لوم وتبكيث لوفد قريش الذين حضروا عند النجاشي وسؤاله تسليم المسلمين المهاجرين لهم .
لقد أقام المسلمون الحجة عند النجاشي وهو نصراني من أتباع عيسى عليه السلام بأنه لا يليق به تسليم الموحدون لعبدة الأوثان .
ثم أخذ جعفر يعدد صفات مشركي مكة التي إختار المهاجرون النجاة منها ، وهي:

الأولى : الشرك .

الثانية : أكل الميتة وهو محرم في المسيحية .

الثالثة : إتيان الفواحش ، ويتنزه الموحدون عنها .

الرابعة : قطع الأرحام ، وقد بعث الله عز وجل الأنبياء بصلة الرحم .

الخامسة : الإساءة إلى الجار والعشيرة والتعدي على الحرمات .

السادسة : قال جعفر وكنا (يَأْكُلُ الْقَوِيّ مِنَّا الضَّعِيفَ)^(٢) .

وكان النجاشي وبطارقته يستمعون.

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٠/٦.

(٢) ابن هشام/السيرة ٢٩٠/٦.

لقد كان النجاشي خير جار للمسلمين لم يؤذهم ، ولم يرسل إليهم ويسألهم ، ولكن قريشاً تمادت في الغي فأرسلوا اثنين من رجالها وهما :

الأول : عمرو بن العاص .

الثاني : عبد الله بن أبي ربيعة .

وذكر أن قريش بعثت في شأنهم إلى النجاشي مرتين :

الأولى : عند الهجرة إلى الحبشة ، وكان الرسول عمرو بن العاص

وعماره بن الوليد .

الثانية : عقيب معركة بدر .

وحملوهما الهدايا إلى البطارقة وحاشية النجاشي ثم الهدايا الخاصة بشخص النجاشي ، ثم قدموا شكواهم إلى النجاشي فتولى بنفسه سماع الدعوى وقول المدعى عليهم ، (وهم المسلمون المهاجرون وكانوا قد إزداد عددهم وبلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً ، وثمانى عشرة امرأة) ^(١) .

فكانت مناسبة لإعلان مبادئ الإسلام في البلاط الملكي ، ولم يغضب النجاشي ، بينما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في بيت الله فيلقي المشركون عليه سلا شاة ، وبقايا ذبيحة ، ويسحقون على عنقه وهو يصلي يريدون قتله ، قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ ^(٢) .

لقد زاول كفار قريش الإرهاب ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه ، فأخزاهم الله لبيان أن عاقبة الإرهاب وخيمة.

(١) عيون الأثر ١/١٥١.

(٢) سورة العلق ٩-١٠.

قانون بدايات البعثة قاطعة للإرهاب

لقد نزل قول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(١).
ومن الإعجاز في هذه الآية أنها لم تقل بلسان أمته وفيه دلالة على أن
أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتكلم بالسنة ولغات شتى قال تعالى
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٢) وفي هذه الآية دعوة للمسلمين للتنزه عن
الإرهاب ومفاهيمه ، ولابد في إيمان عموم أفراد الأمة من المعجزة العامة
التي تجعلهم يصدقون بنبوته ، ولأن المعجزة الحسية محصورة بمكانها
وزمانها ، ولا يتعدى حدوثها القرية أو البلدة ويدركها الناس بحاسة البصر
أو السمع فتتشر بين الناس وتجعلهم يصدقون بها واتحاد لغة قومه بيان ،
وفيه جذب للناس للإيمان ، وحجة عليهم ، قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣).

وتفضل الله عز وجل ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
بالمعجزة العقلية التي تدعو بذاتها للتصديق بها وهو القرآن ، وكل آية منه
معجزة قائمة ، وتتضمن بالصلة مع غيرها من آيات القرآن إعجازاً آخر ،
قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٤).

وتقدير الآية : وما أرسلناك بالمعجزة العقلية إلا لجميع الناس .
فإن قلت لماذا يبعث النبي بلسان قومه الجواب ليكونوا شهوداً على نبوته
، وأتباعاً وأنصاراً له ، وشاء الله عز وجل أن يتوافق أهل الجزيرة العربية

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

(٤) سورة سبأ ٢٨.

على التكلم باللغة العربية ، ويحجون البيت الحرام ، وهل أداء الحج تثبيت للعربية في البلدان والقرى في الجزيرة الجواب نعم .

وعندما بلغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأربعين من العمر تفضل الله بنزول الوحي عليه وتكليفه بالرسالة إلى الناس جميعاً حيث تبين للناس كمال خلقه صدقه وأمانته .

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينفرد في غار حراء في أعلى جبل النور وهو على بعد (٤) كم على يسار الذهاب إلى جبل عرفات ومساحة الجبل خمسة كيلو مترات و(٢٥٠) متراً .

ومن خصائص هذا الغار أن الداخل إليه يكون وجهه ومقاديم بدنه مستقبلة القبلة ويطل الواقف على الجبل على مكة ودورها إذ أنه بارتفاع (٦٣٤) م عن سطح البحر ويشرف على بطائح مكة ، وترتفع مدينة مكة نحو ٣٦٠ م عن سطح البحر ، وصار جبل النور في هذا الزمان مزاراً لما فيه من الموعظة إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب الخلوة والتعبّد فيه ليال متعددة ، ثم يعود إلى مكة ، ويلتقي خديجة والناس ، ويتزود فيعود للجبل ، إلى أن هبط عليه جبرئيل بالوحي .

وإذا كانت قريش وأهل مكة يعلمون بحال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه يخلو وينفرد عن الناس في جبل النور ، فهل يعلم بحاله وفد الحاج والمعتمرين آنذاك .

المختار نعم ، ولكن على نحو الموجبة الجزئية ، فلم تكن هذه الحال متعارفة بين الناس ، إنما هو فرد نادر مقترن بسمو خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما امتاز به من الصدق والأمانة ورجحان العقل بالإضافة إلى بقايا حنيفة إبراهيم ، وكيف أنه جاء بابنه إسماعيل وزوجه واسكنهما في مكة حيث لا ماء ولا كلاً إنما كانت إقامتهما عند البيت الحرام ، وهو

بذاته سبب للكلاً ونوع طريق للرزق الكريم واستدامة الحياة ، وهذه الإستدامة من معاني دحو وانبساط الأرض من تحته ، قال تعالى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(١) لبيان أن الله عز وجل خلق الأرض ثم خلق السماء ثم بسط الأرض من موضع الكعبة وأرض مكة .

وهل يمكن القول أن خلوة وتعبد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء فرع إسكان إبراهيم عليه السلام لإسماعيل وأمه في مكة ، الجواب نعم ، وإسماعيل هو جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وفي هذا الإسكان مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ نزلوا على البيت الحرام وليس من قبيلة أو أناس تكون هناك أسباب للخصومة معهم ، لبيان أن إبتداء عمارة البيت الحرام من أيام أبينا آدم كانت بالتقوى والتفرد .

ثم جاء إبراهيم بإسماعيل وهاجر وليس من قرية أو عمارة حول البيت الحرام ، إنما قام إبراهيم برفع قواعده ودعوة الناس لحجه وعمارته ، وتلك آية من عند الله ، فكثير من الملوك والمصلحين يبنون صروحاً من العمارة ، ويدعون الناس لزيارتها ، ولكن الناس ينقطعون عنها مع تقادم الأيام والسنين ثم تصبح أطلالاً أما البيت الحرام فإن زواره يزدادون كل عام ، وينفرد في هذا الزمان بخصوصية وهي أن حجه يكون بالتقدير والنسبة والقرعة ونحوها .

ويحتمل اختيار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخلوة في غار حراء وجوهاً :

الأول : إنه مبادرة ورأي من قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

الثاني : إرادة الإعراض عن القوم المشركين .

الثالث : إنه إلهام من عند الله عز وجل ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ *

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

المختار هو الثالث والرابع أعلاه ، فالنسبة بين الوحي والنبوة هي العموم والخصوص المطلق ، فقد أوحى الله عز وجل إلى أم موسى ، قال تعالى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَتُصْنَعُ عَلَيَّ عَيْنِي﴾^(٢).

وفي الوحي أطراف :

الأول : نزول الوحي من عند الله عز وجل ، فلا يقدر على الوحي للأنبياء والأمر به إلا الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

الثاني : واسطة الوحي ، وهو أحد الملائكة وكان جبرئيل ينزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة طه ٣٨-٣٩.

(٣) سورة الشورى ٥١.

الثالث : موضوع الوحي ، فقد يكون كتاباً سماوياً أو حكماً أو أمراً أو نهياً ، وبين الوحي والكتاب السماوي عموم وخصوص مطلق .

الرابع : الموحى إليه ، وهو النبي إذ انقطع الوحي بمغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى .

الخامسة : العلة الغائية من الوحي والتنزيل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) .

لقد كانت خلوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء إغراضاً عن المشركين وأذاهم ، وفيه إجتناّب للإرهاب ، ومنع من الخصومة والجدال ، فقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يرفض السجود للأصنام ويذم عبادتها وتقديسها .

فتفضل الله عز وجل عليه وأصلحه للنبوّة وتلقى الوحي بأن جعله ينفرد في الغار يتعبد فيه ، ويتطلع لنزول الوحي عليه .

ويمكن القول بقانون وهو كل بداية نبوة نبي تتم باجتناّب الإرهاب ، وصرف الناس عن إيذاء النبي ، ولكن عندما يأمر الناس بالتوحيد وأداء الصلاة والإمتناع عن فعل السيئات يشتد أذى المشركين ، وفي سلامة النبي وقيامه بالتبليغ نجاة للناس في النشأتين .

فالنبوة خير محض وسبيل هداية ورشاد ، ونعمة على أهل زمان النبي والناس جميعاً في أجيالهم المتعاقبة .

وعدد الأنبياء هو مائة وأربعة وعشرون ألف نبي وبعثة كل واحد منهم نعمة متعددة على الناس ، جعلها القرآن حية طرية في كل زمان ، ومن منافع ذكر القرآن لقصص الأنبياء مواجهة الإرهاب .

بحث أصولي الفور أو التراخي

الأمر بين الفورية والتراخي ، لقد نزل القرآن ﴿تَيْنَانَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ومنه تضمنه الأوامر والنواهي التي تتقوم بها استدامة الحياة الإنسانية ، وعمارة الأرض ، لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾^(٢) ويمكن إجراء الإحصاء القرآني من وجوه:

الأول : إحصاء الأوامر في القرآن .

الثاني : إحصاء النواهي في القرآن .

وهل يشمل هذا الإحصاء الأوامر والنواهي التي جاءت بصيغة الجملة الخبرية ، كما في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) ويأتي في القرآن الأمر الصريح ، كما في قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٤).

الثالث : بيان وتفسير السنة النبوية للأوامر القرآنية .

الرابع : موارد إمثال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأوامر الإلهية . فهو الإمام في إتيان الأوامر الإلهية واجتناب ما نهى الله عز وجل عنه . ويحتمل هذا الإمثال النبوي وجوهاً :

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

(٣) سورة آل عمران ٩٧.

(٤) سورة النساء ٧٧.

الأول : إِمْتِثَالُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ مِنَ الْبَشَرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١).

إِذْ يَلْتَقِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَامَّةُ الصَّحَابَةِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي الْإِمْتِثَالِ لِلْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَمِثْلًا يَقِفُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الصَّلَوَاتِ الْيَوْمِيَّةِ مِثْلَمَا يَقِفُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنَ الشَّوَاهِدِ عَلَى إِمَامَتِهِ الْكُبْرَى قَوْلُهُ (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي)^(٢).
الثاني : إِنَّهُ مِنَ اللَّطْفِ وَالْمَدَدِ وَالْعَصْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْأَوْلِيَاءِ لِيَكُونُوا حُجَّةً عَلَى النَّاسِ ، وَسَبَبًا لَتَرْغِيْبِهِمْ بِالْمُبَادَرَةِ لِلْإِمْتِثَالِ لِلْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٣).

الثالث : إِنَّهُ مِنَ رَشَحَاتِ الْوَحْيِ وَالْعَصْمَةِ .

وَالْمَخْتَارُ هُوَ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ أَعْلَاهُ ، لِبَيَانِ مَوْضُوعِيَّتِهِ مِنْ وَجْهِهِ :
الأول : قَانُونُ مَوْضُوعِيَّةِ الْعَصْمَةِ فِي سَنَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْتِفَاعُ أَجْيَالِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْهَا ، وَإِتِّخَاذُهَا حُجَّةً لِلتَّنْزِهِ عَنِ الْإِرْهَابِ .

الثاني : قَانُونُ رَشَحَاتِ الْعَصْمَةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَهَذِهِ الرِّشَحَاتُ مِنَ الْعَصْمَةِ مِثْلُ شِعَاعِ الشَّمْسِ مِنْهَا .
الثالث : تَعَاهُدُ أَجْيَالِ الْمُسْلِمِينَ لِمَعَالِمِ الْإِيمَانِ .

(١) سورة الكهف ١١٠.

(٢) تفسير الرازي ١٧٠/١ .

(٣) سورة المؤمنون ٦١.

الرابع : تفقه المسلمين في الدين .

الخامس : إكتناز المسلمين والمسلمات الحسنات بمحاكاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مقاعد العبادية .

السادس : منع التشديد على النفس في الصلوات والمعاملات والصلوات الإجتماعية العامة ، فقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودوداً مع الناس .

والمختار أن الحج واجب على الفور عند تحقق شرائطه ، وإليه ذهب جمهور الفقهاء عند إجتماع شرائطه وهي :

الأول : الإسلام .

الثاني : العقل .

الثالث : البلوغ .

الرابع : الحرية .

الخامس : الإستطاعة .

والمراد من الفورية عند تحقق الإستطاعة في زمن الواجب وأشهر الحج ، قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِي يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١) وأشهر الحج هي :

الأول : شهر شوال .

الثاني : شهر ذي القعدة .

الثالث : شهر ذي الحجة .

وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١) قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام كما في خبر أبي عبيد : ذلك الذي يسوف نفسه الحج ، يعني حجة الإسلام حتى يأتيه الموت .

ونذكر هنا علماً مستحدثاً وقسيماً ثالثاً للفور والتراخي ، يكون برزخاً بينهما ، وهو الأقرب فالأقرب زماناً ، ورابعاً بالجمع بين الفورية والتراخي.

ويستقرأ من النصوص الواردة في الفرائض والعبادات والمندوحة في وقتها كما في وق صلاة الصبح مثلاً ، إذ أنه يمتد بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، مع أن وقت أداء الصلاة يستغرق بضع دقائق .

وعن ابن عباس أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال : تعجلوا إلى الحج ، يعني الفريضة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له ، وفي خبر آخر ، من أراد الحج فليتعجل ، فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة وتعرض الحاجة) .

وهل المراد من الأمر الفور أو التراخي .
يكون الأمر على معان متعددة منها :

الأول : الأمر بمعنى الشئ ، والجمع أمور ، قال تعالى ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^(٢).

(١) سورة الإسراء ٧٢.

(٢) سورة هود ١٢٣.

الثاني : بمعنى الحال ، والمجموع أمور قال تعالى ﴿وَمَا أَمْرُهُ عَزَافَ

بِرَشِيدٍ﴾^(١).

الثالث : الأمر بمعنى الطلب ، والجمع أوامر ، وهو من الفروق بين ضروب الأمر .

الرابع : الأمر بمعنى الإبداع .

الخامس : الأمر الذي يعني التدبر والحكم بالله عز وجل ، قال تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾^(٣).

السادس : الأمر بمعنى الطلب المؤكد ، وضده النهي ، وهذا من الامر هو موضوع البحث الأصولي .

أختلف الأصوليون في إفادة الأمر الفوري أو التراخي على وجوه :
الأول : إفادة الفورية ولزوم المبادرة إلى الإمثال .

الثاني : التوقف .

الثالث : الإشتراك بين الفورية والتراخي وبه قال السيد المرتضى .

الرابع : إفادة التراخي .

الخامس : لا موضوعية للفورية أو التراخي أو الأعم منهما .
والمختار أن الأصل هو الفورية إلا مع ورود الدليل أو القرينة على التراخي والسعة .

وبالإمكان إحصاء الأوامر والنواهي الواردة في القرآن بما فيها التي جاءت بصيغة الجملة الخبرية ، وبيان حكم كل أمر، وهل وجوب الخلق

(١) سورة هود ٩٧.

(٢) سورة الأعراف ٥٤.

(٣) سورة يونس ٣.

الحسن والنهي عن الإرهاب فوري ، الجواب نعم ، فهو فوري ومستديم فلا يصح الإرهاب في كل حال ، قال تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١).

قانون المعجزة واقية من الظلم

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار المعجزة إذ يتجلى فيها الإعجاز من جهات:

الأولى : الآيات الكونية ، قال تعالى ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

الثانية : الآيات الزمانية وفضل الله عز وجل في قلب الليل والنهار ، وتداخلهما بصورة بهية وبهيجة ، لبيان قانون وهو ، المعجزة بهاء وبهجة . فيتقرب الله عز وجل إلى عباده بسنخية المعجزة وتكون من مصاديق لطفه .

الثالثة : الإعجاز في خلق ونشأة الإنسان ، ومن بديع صنع الله عز وجل مصاحبة الآيات للإنسان في كل ساعة .

ومن معاني قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٣). تعدد الآيات في الفرد والجماعة ليكون من هذه الآيات صرف الفتن والإرهاب عن الناس .

ومزاولة الإرهاب ضد آيات الله عز وجل التي تذكرها الآية أعلاه الجواب لا.

(١) سورة البقرة ٨٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩٠.

(٣) سورة فصلت ٥٣.

فهو أذى وشر ، إنما الآيات في صرف البلاء ودفع الشر ، ومنع الإنحطاط في السلوك والمجتمعات ، وكل فرد من أفراد صرف البلاء ونحوه من الآيات التي ذكرتها الآية أعلاه .

ترى ما هي النسبة بين خلافة الإنسان في الأرض وبين هذه الآيات الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فهذه الآيات من مصاديق الخلافة والشواهد عليها ، وكذا النسبة بين الآيات والمعجزة ، فذات المعجزة آية وشاهد على الآيات التي ذكرت .

بلحاظ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من البشر ، وقال تعالى ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١) لبيان مسألة وهي أن الآيات من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة في كیفيتها وظهورها وتجليها . ولا يعني هذا التفاوت التباين بالكبر والصغر ، لأن كل آية من عند الله عز وجل هي عظيمة وكبيرة ، وليس من حصر لآيات الله عز وجل سواء الكونية أو التي تتعلق بحياة الناس وتكاثرهم ونظم حياتهم ، لتكون موعظة تتجدد كل ساعة ، وتبعث في النفوس الخشية من الله عز وجل . ومن رشحات هذه الخشية أمور :

الأول : الإمتناع عن الظلم .

الثاني : التنزه عن الإرهاب .

الثالث : النفرة من الإضرار بالملكات العامة والخاصة .

الرابع : إجتنب إيذاء الناس .

ومن خصائص آيات الله عز وجل وكثرتها تنمية المودة والرافة بين الناس لإدراكهم حضور ومصاحبة آيات الله عز وجل لهم في الليل والنهار وكل آية تزجر عن العدوان والإرهاب .

قانون الصادق الأمين

لقد خلق الله عز وجل الناس على تباين في الهيئة واختلاف في الجنس ، وتفاوت في الرزق والمعاش ، وطريقة وكيفية كسبها ، فمن الناس من يكدح من أجل لقمة العيش وهو يخشى من بلوغ سن الكبر والعجز عن العمل ، ومنهم من يأتيه المال دفعة وينمو بسرعة ، وكذا بالنسبة للسيرة والأخلاق ونحوها دفعة أو بالكسب .

فقد تكاملت أخلاق الأنبياء ، وصاروا أسوة للمؤمنين وحجة على الكافرين ، وكم من أناس تابوا إلى الله بالحرص على الاقتداء بسيرة الأنبياء ، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(١) .

وقد أثنى الله عز وجل على نبيه الكريم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) لبيان بلوغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسمى مراتب الكمال .

لقد كان الناس محتاجين إلى الخلق السامي والمعاملة الحسنة ، كما أن الخلق الكريم مقدمة لإعلان النبوة وتصديق الناس بها .

ولو دار الأمر بخصوص زمان موضوع الآية أعلاه بين وجوه :
الأول : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على خلق عظيم من حين نشأته وبلوغه .

(١) سورة الأنعام .٩٠.

(٢) سورة ن .٤.

الثاني : نال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة الخلق العظيم بعد البعثة النبوية .

الثالث : بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة الخلق العظيم بعد الهجرة النبوية وتولي شؤون الحكم .

والصحيح هو الأول لأصالة الإطلاق ، وليس هو من الإستصحاب القهقري في علم الأصول ، إنما هو وصف مستديم ، وكان خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرآة للقرآن .

وهل جاء الخلق العظيم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دفعة أم تدريجياً ، الجواب هو الأول لحاجة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والناس له وتفضل الله باصلاحه للخلق العظيم والأدب الرفيع ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١) ، ليكون حجة على الناس في لزوم حسن السلوك .

ترى ما هي النسبة بين العصمة والخلق العظيم ، تحتل وجوهاً :

الأول : إرادة التساوي وذات الخلق العظيم هو العصمة .

الثاني : نسبة العموم والخصوص المطلق ، وهو على شعبتين :

الأولى : العصمة أعم من الخلق العظيم .

الثانية : الخلق العظيم أعم من العصمة .

الثالث : نسبة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق بينهما .

والمختار هو الشعبة الأولى من الوجه الثاني أعلاه ، والخلق الحسن نعمة ورزق كريم للنبي والأمة والناس جميعاً ، وهو حرز من الإرهاب ، وحرب يومية عليه ، ومن يتدبر في سيرة وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم يدرك لزوم محاكاته بالنتزه عن الظلم والتعدي والقتل العشوائي.

لقد كان خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وقوله وفعله مرآة لآيات القرآن ، وما الصدق والأمانة إلا ملكة ثابتة عنده شرح الله صدره لها ، وجعلها مقدمة للنبوة ومصاحبة لها .

لقد أفرغ الله الحكمة في قلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتكون طريقاً لتثبيت معالم الإيمان في الأرض فهو عمل لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

ليبان أن هذه العلة الغائية وهي العبادة متجددة في كل يوم ، ولا تختص بحال الخلق والنشأة لذا أمر الله عز وجل كل مسلم ومسلمة بالصلاة خمس مرات في اليوم ، ولا تنحصر العبادة بذات الصلاة ، إذ تنغشى العبادة ضروب العبادات والمعاملات .

لقد فاز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باسماء من عند الله كما في محمد وأحمد ، وفي التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٢) وكانت سيرته الحسنة وخلقه الرفيع سبباً لتسميته باسماء منها:

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة الصف ٦.

الأول : الصادق الأمين ، فلم يستطع المشركون رميه بالكذب عندما أعلن نبوته .

الثاني : الأمين ، إذ أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه بأنه الأمين ، وقوله حجة لأنه شعبة من الوحي ، وعن أبي رافع قال (بعثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يهودي فقال : قل له : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بعنا أو أسلفنا إلى رجب .

فقال : لا والله لا أسلفه ، ولا أبيعته إلا برهن ، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته .

فقال : والله لو باعني أو أسلفني لقضينا ، إني لأمين في السماء ، أمين في الأرض ، اذهب بدرعي الحديد ، فذهبت بها .

فنزلت هذه الآية يعزيه عن الدنيا : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) (١) (٢).

الثالث : المطاع الأمين .

الرابع : الصدوق الأمين .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزهاً عن اقذار الجاهلية ، معصوماً عن الفحش والرذائل ، فاسمته قريش الأمين ، لتكون هذه العصمة مقدمة للتصديق بنبوته ، وإبطالاً للظلم والإرهاب ، ولغة التهديد واستبداد الأقوياء وكان يرحم الضعيف ، ويرأف بالمسكين وينصر المظلوم فلا غرابة أن يبادر المستضعفون بدخول الإسلام .

(١) سورة الحجر ٨٨.

(٢) معرفة الصحابة ٤٨٥/٢.

وكانت قريش تقول : جاء الأمين إذ رأوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وذهب الأمين ، وقصة الحجر الأسود عند بناء الكعبة أمر شائع إذ تنازع رجال قريش على وضعه في محله عند بناء الكعبة لما في هذا الوضع من الشرف والرفعة .

فقال أبو أمية بن المغيرة :

(وَكَانَ عَامِئذٍ أَسَنَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا ، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ - فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ - أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا : فَكَانَ أَوَّلُ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا ، هَذَا مُحَمَّدٌ .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا " ، فَأَتِي بِهِ فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ " لِتَأْخُذَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا " ، فَفَعَلُوا .

حَتَّى إِذَا بَلَغُوا مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ (١).

ومن أمانة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتسليم الناس بها أن قريشاً مع كفرهم ومحاربتهم له ، كانوا يضعون أموالهم أمانة ووديعة عنده ، وعندما أضرط النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للهجرة من مكة على نحو مفاجئ لأن المشركين أرادوا قتله في ذات الليلة أمر الإمام علي عليه السلام بالمبيت في فراشه ، وبرد الأمانات إلى أهلها .

وعن أبي ذر (قلت يا رسول الله استعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) (٢).

(١) الروض الأنف ١/٣٤٥.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/٩٥.

لقد تسألت قريش على قانون وهو تنزه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الكذب ، مع أنه يعمل في التجارة والمضاربة ويخالط الناس ، ويحضر المجالس ، ويدعو الناس لأداء الحقوق لأهلها وإنصاف المظلوم . سواء كان من أهل مكة أو من خارجها .

و(عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾^(١) نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { في قريش بطنا بطنا فقال أرايتم لو قلت لكم ان خيلا بسفح هذا الجبل أكتنم مصدقي . قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب)^(٢).

لقد أراد الله عز وجل لسيرة الأنبياء أن تكون مرآة للأخلاق الحميدة وسيلاً لهداية الناس للخلق الرفيع ، وإجتنب الأفعال المذمومة ، ومن الآيات إدراك الناس لحاجتهم إلى النبوة والتنزيل ، وقد سادت قبل البعثة النبوية الأخلاق المذمومة والفساد في الجزيرة العربية ، وصار الناس يتطلعون إلى السماء لإنقاذهم من الفجور وكثرة الغزو ، إذ حرموا من النوم في الليل لكثرة السهر خشية الغزو من الغير ، وإذا غادروا قراهم صارت بيوتهم مكشوفة للأعداء ، وليس من ذكر لله عندهم يكون زاجراً عن التعدي فنزل القرآن على نحو التدرج ليدخل القرى والبيوت ، وكل آية منه تنهى عن الغزو والقتال وتمنع من الإرهاب ، ثم يأمرهم الله عز

(١) سورة الشعراء ٢١٤.

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٤٩.

وجل بالإستغفار وقت السحر ، قال تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾
 *وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١).

وكان هذا الإستغفار من الشكر لله عز وجل على نعمة الإسلام وما فيه من الأمن وإنتفاء الغزو بين القبائل وعمومات قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢) ، والمواظبة على الإستغفار حرز من غلبة النفس الغضبية والشهوية.

قانون الوحي رحمة وتراحم

لقد جعل الله عز وجل الوحي نعمة عظمت على أهل الأرض .
 والوحي من (وحي: الوَحَاء: السرعة، من قولهم: الوَحَاءُ الوَحَاءُ)^(٣) ،
 والوحي الوحي أي البدار البدار .
 والوحي : الكتابة في الحجارة (يقال: وَحَى يَحِي وَحِيًا وَوَحِيًا، إذا كتب. قال الراجز:
 لقد نَحَاهم جَدْنَا والنَّاحِي لِقَدَرٍ كَانَ وَحَاهُ الْوَاحِي أي كتبه)^(٤) .
 والوحي : الإشارة والإيماء قال تعالى في قصة زكريا ﴿فَاَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنِ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٥).

(١) الذاريات ١٧-١٨.

(٢) سورة الحجرات ١٠.

(٣) جمهرة اللغة ١/٨٥.

(٤) جمهرة اللغة ١/٣٠٠.

(٥) سورة مريم ١١.

والوحي : النار ، وقال ثعلب (وسألت ابن الأعرابي: ما الوحي؟ فقال: هو الملك. فقلت: ولم سمي الملك وحي؟ فقال: الوحي النار فكأن الملك مثل يضر وينفع.)^(١) ، ولا دليل على هذا التعليل فمن معاني (الوحي : السعي)^(٢) و(الوحي السَّيْدُ الكبيرُ، والنارُ، والمَلِكُ، والعَجَلَةُ، والإِسْرَاعُ)^(٣).

مما يدل على أن تسمية الملك بالوحي ليس للتشبيه بينه وبين النار .
وقال العجاج : (وَحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثَّبَتِ)^(٤).

والوحي نعمة ووسيلة لإصلاح عامة من جهات :
الأولى : الوحي نعمة على الأنبياء ، فهو الصلة بين الله عز وجل وبينهم ، وهو الآية العظمى التي يعلم النبي بها منزلته عند الله عز وجل ،
ونيله مرتبة النبوة ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

الثانية : الوحي رحمة للملائكة سواء الذين يقومون بحمل الوحي والنزول به إلى الأنبياء أو غيرهم .

وعندما احتج الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٦).

(١) فقه اللغة ٧٠/١.

(٢) العين ٢٤٠/١.

(٣) القاموس المحيط ٤٨٣/٣.

(٤) جمهرة اللغة ٣٠٠/١.

(٥) سورة النحل ٤٣.

(٦) سورة البقرة ٣٠.

أخبرهم الله عز وجل بأنه يعلم حال الناس في الأرض ، وأن وجودهم فيها مؤقت غير دائم ، ويتفضل الله عز وجل وينزل الملائكة بالوحي للأنبياء الذين يتصفون بخصال تشابه خصال الملائكة من جهة التقوى وذكر الله عز وجل ، والإجتهاد في طاعته ، مع قيامهم بالتبليغ وعصمتهم من إتياع الهوى .

وليس من حصر لموضوع الوحي إذ يشمل تنزيل الآيات والأحكام ، والأوامر والنواهي ، والحلال والحرام ، وسنن الشرائع ، وتهذيب الأخلاق ، ونبد الإرهاب .

الثالثة : الوحي رحمة بأهل الأرض جميعاً ، فهو النعمة العظمى والرزق الكريم الذي ينال منه كل إنسان ، وهو كالغيث النازل من السماء ، فينمو معه العشب والكلأ .

وفي الوحي سكينة للنفوس وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿الْأَبْذِكْرِ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

والوحي زاجر عن الفساد ، وهل للوحي موضوعية في نقص ونقص ومحو كثير من الفساد والقتل اللذين ذكرتهما الملائكة في احتجاجها الجواب نعم ، فيكون من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) وجوه:

الأول : إني أعلم بمحو كثير من الفساد والقتل .

الثاني : إني أعلم باحاطتي الناس بلطف متجدد كل آن وبعدد أنفاس البشر ، لتكون كثرة الشهيق والزفير عند الإنسان مناسبة لشكر الله عز وجل .

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

الثالث : إني أعلم يبعث النفرة في نفوس الناس من الفساد والقتل والإرهاب.

الرابع : إني أعلم بفتحي باب التوبة للناس ، وعن (ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتد عليه العطش والحر قال : ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فرجع ، فنام نومة ، ثم رفع رأسه ، فإذا راحلته عنده عليه زاده وطعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده) ^(١).

الخامس : إني أعلم بنزول الملائكة رسلاً إلى الأنبياء بالأخلاق الحميدة وإقامة الحدود ، وأن الذي يفسد في الأرض لا يترك شأنه قال تعالى ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ^(٢).

السادس : اهتداء الناس بسنن الأنبياء ، وكل نبي له أصحاب يتبعونه ، ويتفضل الله عز وجل على الناس برسالات لها أتباع وأنصار في الأجيال المتعاقبة ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ^(٣).

السابع : إني أعلم برجوع الناس في الآخرة إلى الحساب والجزاء ، وهل رأى الملائكة الجنة والنار وخلقهما قبل إحتجاجهم على خلق الإنسان فيه وجوه:

(١) الدر المنثور ٦٨/٩.

(٢) سورة القيامة ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

الأول : يعلم الملائكة بوجود الجنة والنار جزاء للناس بعد موتهم وبعثهم .

الثاني : رأى الملائكة الجنة والنار .

الثالث : مع وجود الجنة والنار أو أن احتجاج الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) فإنهم لم يطلعوا عليها ولم يعلموا بها .

الرابع : لم تكن الجنة والنار مخلوقتين يوم احتجاج الملائكة وأوان خلق آدم عليه السلام .

والمختار هو الثاني خاصة وأن طائفة من الملائكة يتولون شؤون النار، قال تعالى ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢) .

ليكون من دلائل رؤية الملائكة للجنة والنار أن قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ليس احتجاجاً إنما توسل وتضرع ورجاء أن يفوز خلق في الأرض بإصلاحهم للبث الدائم في الجنة.

فإن قلت إذن من يدخل النار، وقد خلقها الله عز وجل للعصاة الكافرين ، الجواب لا ملازمة بين خلق النار ، ودخول طائفة من الناس

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة التحريم ٦.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

فيها ، ولا تستعصي على الله عز وجل مسألة ، فإن قلت إذا كان كلام الملائكة أعلاه ليس إحتجاجاً إنما هو تضرع ودعاء فلماذا لم يستجب لهم الله عز وجل ، وقد أكرم الناس بقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) الجواب إن قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

من إستجابته للملائكة لما فيه من تغشي شآبيب الرحمة للناس ، وكذا قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣).

فهو ضياء وصراط للهداية والرشاد لبني آدم في مسالك الحياة ، ووقاية من الزلل وسفك الدماء .

وما محاه وصرفه الله عز وجل عن الناس من القتل أكثر مما وقع منه . وهل لدعاء الملائكة موضوعية فيه ، الجواب نعم فالإنسان ضعيف ومحتاج في النشاطين ، قال تعالى ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٤).

وتبين الآية أعلاه الملازمة بين خلق الإنسان في مواجهة الإغواء وسلطان الشهوة والنفس الغضبية ، وهل يمكن القول أن استفهام الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٥)، دعاء وتوسل لسلامة الناس من الإرهاب وأضراره الجواب نعم.

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣١.

(٤) سورة النساء ٢٨.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

وعن (عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان من كلامه: القلم شجرة ثمرتها المعاني والفكر بحر لؤلؤة الحكمة. وكان يقول: لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء فعلى بلغاء الكتاب. وذكر البلاغة فقال هي ما رضيته الخاصة وفهمته العامة. ومن كلامه: خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً).^(١)

وصحيح أن ، لو حرف إمتناع لإمتناع ، وأن الوحي قد ينزل على غير الأنبياء إلا أن نزول الوحي على غير الأنبياء يختلف عن وحي الأنبياء وأقل مرتبة منه ولا صلة له ببلاغة الكتاب لأن الكتاب علم لدني وليس كسباً أو صنعة .

(قال أبو زيد: وَحَى وأوحى بمعنى، ولم يتكلم فيه الأصمعي لأنه في القرآن وكان لا يتكلم في مثله).^(٢)

أي أن الأصمعي اكتفى بالمعنى الإصطلاحي للوحي ومعناه في القرآن ، ويأتي الوحي على وجوه :

الأول : الكتاب ، وجمعه وُحْيٍ - بضم الواو وكسر الحاء .

الثاني : الإشارة .

الثالث : الكتابة .

الرابع : الإلهام كما في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ

اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٣).

الخامس : الرسالة .

(١) الإعجاز والإيجاز ١٨/١.

(٢) جمهرة اللغة ٨٥/١.

(٣) سورة النحل ٦٨.

السادس : الإلهام .

السابع : الكلام الخفي .

الثامن : الإسراع ، يقال : موت وحي أي سريع .

التاسع : الإلقاء إلى الغير .

والوحي : مطلق الصوت سواء صدر من الإنسان أو غيره .

وتتعدد معاني الوحي ، وورد في القرآن بما هو أعم من وحي النبوة ، إذ أخبر الله عز وجل بأنه أوحى إلى أم موسى كما في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْتَقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾^(١).

فلا تقدم أم على إلقاء ابنها عند الخوف عليه في النهر إلا بالوحي من عند الله عز وجل ، والمراد نهر النيل الذي سمي بحرا لاتساعه وتلاطم فيه الأمواج

لقد توسل الملائكة إلى الله عز وجل رجاء غلبة العقل والتدبير على سلوك الناس وأخبرهم الله عز وجل بقانون وهو ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ليبان أن رحمة الله التي تنزل على الناس أكثر مما يرجوه الملائكة لهم ، ومن هذه الرحمة الوحي والتنزيل وبقاء أحكام الشريعة السماوية في الأرض إلى يوم القيامة ، وهو من أسرار إتصاف القرآن بالبرهان العقلي وسلامته من التحريف والزيادة أو النقصان .

(١) سورة القصص ٧.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

لقد أكرم الله عز وجل الناس جميعاً بالوحي والتنزيل ، ليكون من مصاديق قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) سؤال الرشاد والهداية إلى العمل بالوحي .

ومن خصائص الوحي أنه ينهى عن الإرهاب ، ويمنع من الفساد ، ويزجر عن القتل وسفك الدماء ، وجعل الله عز وجل القرآن مصاحباً لوجود المسلمين في مشارق ومغارب الأرض ليخاطبهم خمس مرات في اليوم بوجوب التقوى ، والإمتناع عن الإرهاب والفساد .

فما دام المسلمون يتلون القرآن في كل ركعة من الصلاة فإنهم يتزهون عن الإرهاب ويميلون على غيرهم إجتناّب إرهابهم ، ولا عبرة بالقليل النادر إذ يتضمن القرآن توبيخه ، قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

لقد حرص الأنبياء على أداء الصلاة والدعاء ، وتقيدهم وذرايرهم بها لأنها مانع من الإرهاب وفي إبراهيم ورد في التنزيل ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٣).

ولم يرد لفظ (مُقِيمَ الصَّلَاةِ) و (تَقَبَّلْ دُعَاءِ) و (يَقُومُ الْحِسَابُ) إلا في الآية أعلاه.

(١) سورة الفاتحة ٦.

(٢) سورة الزمر ٢٢.

(٣) سورة إبراهيم ٤٠-٤١.

ليان قانون وهو أن الوحي للأنبياء طريق لإجتهادهم بالدعاء والمسألة، إذ يرون الآيات والبيّنات القاهرات ، ويدركون حاجة الناس إلى رحمة الله، ومن الوحي ما يتضمن الوعد والبشارة بإستجاب الدعاء .

إذ أعلن إبراهيم عليه السلام التسليم بهذه الإستجابة بعد الشكر والحمد لله ، كما ورد في التنزيل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١).

وهل كان الأنبياء يسألون الله عز وجل والتزّه عن الإرهاب أم أنه أمر مستحدث ، المختار هو الأول ، ويدل عليه سؤال إبراهيم عليه السلام بإقامته الصلاة وطائفة من ذريته كما ورد في التنزيل ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾^(٢).

ومن خواص أيام الرسالات أن الأنبياء وأصحابهم يلاقون الأذى والإرهاب من المشركين ، ولا يصدر من الأنبياء وأتباعهم مسمى الإرهاب ولا يردون بإرهاب مواز إنما يتخذون الصبر جلباباً، وفي خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعِزْمِ مِنْ الرُّسُلِ﴾^(٣).

لقد أكرم الله عز وجل الناس بالوحي إلى الأنبياء ، فصحيح أن الوحي خاص بالأنبياء وأن الملائكة لا ينزلون بالكتاب والرسالة من عند الله إلا إليهم ، ولكن منافع الوحي تنغشى كل إنسان سواء من أهل زمان النبي أم

(١) سورة إبراهيم ٣٩.

(٢) سورة إبراهيم ٤٠.

(٣) سورة الأحقاف ٣٥.

من غيره ، إذ يأتي الوحي بأسباب الهداية والرحمة ، ويتضمن الزجر عن الظلم والتعدي ، وترى القرآن يبين قبح الظلم ، وسوء عاقبته وتضاده مع الهدى والإيمان .

لقد أقام الله عز وجل الحجة على الناس بمجئ الوحي بالنهاي عن الإرهاب والعنف ، وقد قابل مشركوا قريش الوحي والتنزيل بالإرهاب وحاولوا إيقاف الوحي وما فيه من شآبيب الرحمة بالسيف وقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإيذاء الصحابة وأهل البيت ، ونزل القرآن بالأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر، قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(١) ، (قال ابن زيد: هذه الآية منسوخة بالقتال)^(٢) ، والمشهور والمختار أنها محكمة وليست منسوخة ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه : أَمَا أَنَا فَأَصْبِرْ كَمَا أَمِرْتُ ، فَمَاذَا تَصْنَعُونَ؟ فَقَالُوا : نَصْبِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا نُدَبْنَا^(٣) .

وسيبقى لواء الوحي مرفوعاً في كل زمان وهو يدعو الناس إلى نبذ الإرهاب ، ويحث على الإمتناع عنه ، ويدعو للإقتداء بالأنبياء في أخلاقهم الحميدة وسنتهم الرشيدة ، وحرصهم على الرأفة بالناس وإقامة الشعائر التي هي واقية يومية من الإرهاب.

وسيأتي في الأجزاء التالية أن شاء الله كل من القوانين :

الأول : تعاهد الصحابة لحراسة النبي محمد ص .

الثاني : الحروف المقطعة زاجر عن الإرهاب .

(١) سورة النحل ١٢٧.

(٢) المحرر الوجيز ٢١٢/٤.

(٣) تفسير الثعالبي ٣٦٤/٢.

الثالث : قانون الهجرة إلى الحبشة فرار من الإرهاب.

الرابع : موضوعية أسباب النزول في المنع من الإرهاب.

الخامس : قانون لطف الله وابقية من الإرهاب .

السادس : قانون سلامة القرآن من التحريف وابقية من الإرهاب .

السابع: قانون الخشية على النبي محمد صلى الله عليه وآله

وسلم من إرهاب المشركين .

الثامن : قانون تعدد الشهداء يوم القيامة إنذار ونهي عن الظلم .

التاسع : قانون العبادة وابقية من الإرهاب .

العاشر : قانون العصمة من الإفتراء وابقية من الإرهاب

الحادي عشر : قانون الصادق الأمين .

الثاني عشر : قانون السور الحكية إنذار من الإرهاب .

الثالث عشر : قانون قتل الأنبياء شاهد على عدم غزوهم لغيرهم .

الرابع عشر : قانون التدبر اليومي بآيات القرآن عصمة من

الإرهاب.

الخامس عشر : قانون نزول الآية القرآنية برزخ دون سفك الدماء .

السادس عشر : قانون موضوعية أسباب النزول في المنع من

الإرهاب.

السابع عشر : قانون (التضاد بين السنة النبوية والإرهاب) .

الثامن عشر : قانون لم يغز النبي (ص) أحداً تنزهه عن الإرهاب).

التاسع عشر : قانون نزول الملائكة ببدر وأحد حرب على الإرهاب.

العشرون : (قانون الصلاة صبر)

الحادي والعشرون : قانون الأسماء الحسنی حرب على الإرهاب .

- الثاني والعشرون : قانون الأسماء الحسنى داعية إلى الله .
- الثالث والعشرون : قانون نشر شأبيب المودة والمحبة .
- الرابع والعشرون : قانون نبذ الكراهية ومقدمات العداوة .
- الخامس والعشرون : قانون كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- السادس والعشرون : قانون كتائب النبي برزخ دون سفك الدماء والإيغال في القتل بغير حق .
- السابع والعشرون : قانون كتائب النبي وسيلة مباركة تحقق معها الأمن والطمأنينة في المدن والطرق العامة .
- الثامن والعشرون : قانون دلائل التضاد بين القرآن والإرهاب في كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- التاسع والعشرون : قانون شواهد التضاد بين القرآن والإرهاب في سرايا الإسلام .
- الثلاثون : قانون معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر بلحاظ قانون التضاد بين القرآن والإرهاب .
- الحادي والثلاثون : قانون التوأم بين التضاد بين القرآن والإرهاب ولم يغز النبي (ص) أحداً .
- الثاني والثلاثون : قانون تهيئة مقدمات فعل الخير .
- الثالث والثلاثون : قانون نزول كل آية قرآنية برزخ دون سفك الدماء .
- الرابع والثلاثون : قانون السور الحكية إنذار من محاربة النبي ص .
- الخامس والثلاثون : قانون (آيات الثواب على الفرائض) .

السادس والثلاثون : قانون منع تمادي الكافرين في تعديهم وظلمهم .

السابع والثلاثون : قانون خزائن الجوار بين الآيات .

الثامن والثلاثون : قانون دفع العبد عن الوقوع في مستنقع الشبهات ، ليتجلى قانون وهو : تدبر الإنسان بالنعمة من حوله برزخ دون تعديه وظلمه لنفسه ولغيره .

التاسع والثلاثون : قانون علم الله بمكان كل إنسان قبل أن يخلق .

الأربعون : قانون علم الله عز وجل برغائب وأمانى الناس .

الحادي والأربعون : قانون وهو أن كل آية من القرآن تهدي إلى الطيب من القول وإلى الصراط المستقيم حتى وإن جاءت بصيغة الذم للذين كفروا.

الثاني والأربعون : قانون حضور الأقوال يوم القيامة .

الثالث والأربعون : قانون كل عبادة دعاء .

الرابع والأربعون : قانون : الصدور عما جاء به الأنبياء من عند الله سبحانه .

الخامس والأربعون : (الفاحة تزيح الإرهاب) .

السادس والأربعون : قانون السنة النبوية مرآة للقرآن .

السابع والأربعون : قانون الإستجابة لله والرسول خير محض .

الثامن والأربعون : قانون الإستجابة للرسول أمن وسلامة.

التاسع والأربعون : قانون إنحصار أداء الحج بالبيت الحرام .

الخمسون : قانون بعث الصحابة والمسلمين بالعناية بالمسجد النبوي

لأن اختياره بأمر من عند الله عز وجل .

الحادي والخمسون : **قانون الحياة الدنيا دار الأمان ونبذ الإرهاب ،**
الثاني والخمسون : **قانون الإيمان واقية من الكيد ، للرجل والمرأة.**
الثالث والستون : **قانون بشارات الأنبياء بالنبي صلى الله عليه وآله**
وسلم شاهد على أنه يدعو إلى الله عز وجل بالحجة والبرهان ، ولا يقوم
بالغزو أو القتال.

ويمكن استقراء قوانين من الكتاب والسنة وهي :
الرابع والستون : **قانون منافع وآثار البشارات بالنبي صلى الله عليه**
وآله وسلم وكيف أنها حصانة للمجتمعات من الإرهاب .
الخامس والستون : **قانون دلالة البشارات بالنبي صلى الله عليه وآله**
وسلم .

السادس والستون : **قانون بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجوار**
المسجد الحرام بركة متجددة.

السابع والستون : **قانون الحاجة إلى المعجزة .**
الثامن والستون : **قانون المعجزة نفع دائم.**
التاسع والستون : **قانون إقرار وتسليم الناس بالمعجزة .**
السبعون : **قانون منافع المعجزة العامة .**
الحادي والسبعون : **قانون صيرورة المعجزة واقية من إستعمال السيف.**
الثاني والسبعون : **قانون المعجزة رحمة وحجة .**
الثالث والسبعون : **قانون توالي المعجزات.**
الرابع والسبعون : **قانون شكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم**
والمسلمين لله عز وجل على المعجزة.

الخامس والسبعون : **قانون دلالة المعجزة على صدق المعجزة الأخرى.**
السادس والسبعون : **قانون تعضيد المعجزة للآية القرآنية ، وبالعكس.**

السابع والسبعون: قانون المعجزة فضل وهبة من عند الله عز وجل .
الثامن والسبعون: قانون تعدد المعجزات كفاية وغنى عن الإرهاب .
التاسع والسبعون: قانون ترشح السلام عن صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحمله الأذى .
الثمانيون: قانون تعاهد الصحابة لحراسة النبي محمد صلى الله عليه وآله واقية من الإرهاب .
الحادي والثمانون: قانون الإستغناء العام والخاص عن الإرهاب والظلم والتعدي .

الثاني والثمانون: قانون المعجزة بهاء وبهجة .
لقد أنعم الله عز وجل على الناس بالخلقة في الأرض ، وهذه الخلافة مقيدة بلزوم عبادة الله عز وجل بل أن علة العبادة أعم وتشمل خلق ونشأة الناس قال سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونِ﴾^(١).
وأبهى مظاهر العبادة الصلاة وهي على وجوه :

الأول: أنها شعار الإيمان .

الثاني: أداء الصلاة عنوان الرشاد .

الثالث: الصلاة الطريقة السالكة إلى الله عز وجل .

الرابع: تعاهد الصلاة واقية من الإرهاب والإرهاب الموازي .
إداء الصلاة حرز من الشرك والضلالة ، لذا ليس من نبي إلا وقد جاء لقومه بالصلاة ، وتعاهدها بنفسه ، وتحمل الأذى من أجلها ، وفي التنزيل ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾^(٢) .

(١) سورة الذاريات ٥٦ .

(٢) سورة العلق ٩-١٠ .

لقد قام (أبو جهل بن هشام : حيث رمى رسول الله بالسلا على ظهره وهو ساجد لله عز وجل) ^(١).

وجاءت الشريعة ببيان قدسية مواضع الصلاة أيضا لبيان موضوعية الزمان والمكان في مضاعفة ثواب الصلاة ، ويتغير المكان الذي يؤدي فيه المكلف صلاته ولكن زمان الصلاة ثابت في كل يوم وليلة مع التوسعة فيه ، أي أنه من الواجب الموسع وليس المضيق .

فمثلاً يمتد وقت صلاة فريضة الصبح بين طلوع الفجر وطلوع الشمس مع أن أدائها لا يستغرق إلا بضع دقائق.

وكما قام الأنبياء السابقون بالبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنها وصية عيسى عليه السلام ، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ^(٢).

فإن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تقيد بوصية وسيرة الأنبياء بإقامة الصلاة هي الفیصل بين الإيمان والكفر ، ولا عبرة بالقليل النادر الذي ينعت بعض طوائف المصلين بالشرك ، فأول ما بدأ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الدعوة إلى الله عز وجل هو أدائه الصلاة في المسجد الحرام ، بمرآى ومسمع من كل :

الأول : أهل مكة .

الثاني : رؤساء المشركين .

الثالث : نساء مكة .

(١) الدر المنثور ٣٠٢/١٠.

(٢) سورة الصف ٦.

الرابع : وفود المعتمرين والحاج .

الخامس : الذين يأتون إلى مكة للزيارة أو للتجارة ، إذ كان رجال قريش أصحاب تجارة بين مكة والشام ، ومكة واليمن .

وهل تختص قوافلهم في قوله تعالى ﴿لِيَايَلَيْهِ قُرَيْشٌ * لِيَايَلَيْهِمْ رَحْلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١) بخصوص القوافل إلى الشام واليمن أم أنها أعم ، الجواب إنها

تشمل قوافل قريش إلى كل من :

الأول : الطائف .

الثاني : يثرب المدينة .

الثالث : الحيرة .

الرابع : بلاد فارس .

الخامس : بلاد مصر .

السادس : الحبشة .

لقد كانت صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البيت الحرام جهاداً في سبيل الله ، مما يدل على أنه وحده كان أمة في الجهاد وإقامة الشعائر ، وتحمل الأذى ، ولم يكن جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا بالسيف وال سلاح ، إنما كان بالتقوى وتعاهد العبادة ، ليلتحق به أهل البيت والصحابة ، برفع لواء الصلاة ، وتلاوة القرآن فيها ، (وروى إسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف قال : كنت امرأة تاجراً فقدمت مكة أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقاً وكان يختلف إلى اليمن يشتري القطن فيبيعه أيام الموسم

، فبينما أنا والعباس بمنى إذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس في السماء فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فلبث مستقبلاً ، حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث أن جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجداً معه فرفع فرفع الغلام والمرأة .

فقلت : يا عباس أمرٌ عظيم فقال : أمرٌ عظيم . فقلت : ويحك ما هذا؟ فقال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله تعالى بعثه رسولا وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذا الغلام ابن أخي علي بن أبي طالب ،

وهذه المرأة خديجة بنت خويلد زوجة محمد قد تابعا على دينه ، ما على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء .

قال عبد الله الكندي بعدما رسخ الإسلام في قلبه : ليتني كنت رابعاً . فيروي أن أبا طالب قال لعلي عليه السلام : أي بني ما هذا الذي أنت عليه .

قال : آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء وصليت معه لله .

فقال له : أما أن محمداً لا يدعو إلا إلى خير فالزمه^(١) .

ترى لماذا كان الكفار يفتاضون من قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بأداء الصلاة ، ويقومون بإيذائه وهو ساجد ويؤذون الصحابة عند العلم بإسلامهم ، للتسليم بأنهم من دون الصلاة أيضاً ، حتى اضطرن نقر من الصحابة بالخروج من مكة إلى البرية والوديان من حولها للتعبد وأداء

الصلاة حتى طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طائفة منهم الهجرة إلى الحبشة ، قال تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأُمَامِلُ﴾^(١).

والآية أعلاه مدنية ونزلت بعد كثرة المسلمين وقوة الإسلام ، مما يدل على أن المشركين كانوا أشداء على المسلمين في بدايات الدعوة ، وهذه الشدة من الإرهاب الذين كان يزاوله المشركون ، ومن أسباب غيظهم وجوه :

الأول : قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الله عز وجل ، وكان ينادي (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)

الثاني : أداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة في المسجد الحرام فإذا كان عدد من أصحابه يخشون من الكفار الإجماع بالصلاة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤديها بمراى ومسمع من الناس جميعاً ، فكانت دعوة سلمية إلى الإيمان .

الثالث : تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن في الصلاة والإجماع بها والتي تتضمن الإنذار ، وقبح عبادة الأوثان والزيف والضلالة في التقرب إليها أو التوسل بها ، مع الوعيد من الحساب والجزاء يوم القيامة .

قال تعالى ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ * مَابًا * لَا يَبْنِي فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا * جَزَاءً وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا

يَرْجُوزَ حَسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿١﴾

الرابع : دخول الناس في الإسلام ، ومن الإعجاز أن تسمية الإسلام ذاتها دعوة للمسلم لنبذ الإرهاب أمس واليوم وغداً .

ويخاطب القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلم : أنت مسلم فيقول نعم ، فيقولان له : يجب ان تتجنب الإرهاب ، للتضاد بين الإسلام اسماً ومسمى وبين الظلم والإرهاب والتعدي .

إنما يدعو كل من القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى السلم والتقارب الإجتماعي .

قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢)

قانون آدم شاكر لله

لقد ابتداء شكر الإنسان لله في الأرض بهبوط آدم وحواء فلم يمنعهما فقدان الإقامة في الجنة من التوجه إلى الله عز وجل بالشكر والثناء ، إذ أن الخلافة في الأرض نعمة عظيمة .

وجاءت كثرة الأولاد والأحفاد نعمة يومية أخرى متجددة وتحتل النعمة في الولد وجوهاً :

الأول : كل ولد نعمة .

الثاني : كل ولد نعمة يومية متعددة .

الثالث : أولاد الشخص مجتمعين نعمة .

الرابع : الأحفاد نعمة عظيمة .

(١) سورة النبأ ٢١-٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٦ .

ولا تعارض بين هذه الوجوه فليس من حصر لعدد وسنخية النعم اليومية على الوالدين من الولد من حين الحمل به .
 و(قال ابن عباس : لم يمت آدم (عليه السلام) حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً . ورأى آدم (عليه السلام) فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد.)^(١) .

ولكن الذي ورد في المقام عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان الموعظة في صلة آدم مع ولده وأحفاده وأسباطه (عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أهبط الله آدم إلى الأرض مكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال له بنوه : يا أبانا تكلم . فقام خطيباً في أربعين ألفاً من ولده وولد ولده فقال : إن الله أمرني فقال : يا آدم أقلل كلامك ترجع إلى جوارِي)^(٢) .

وهل ينخرم السرور والنعمة بالولد مع تلبسه بالفساد الجواب على فرض الفساد ، فإنه لا يدب إليه من صغره ، ومن فضل الله عز وجل على الناس حجب علوم الغيب عنهم ، كما حذرهم الله عز وجل من التمييز والفصل بين الأبناء من غير مسوغ شرعي ، قال تعالى ﴿ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾^(٣) .

لقد كان الأنبياء رواد وأئمة الشكر لله عز وجل ، فلم يغادر الواحد منهم الدنيا إلا وأدب أصحابه على الإجتهد في شكر الله ، وجعلهم يحبون الشكر لله ويولونه عناية خاصة .

(١) الكشف والبيان-للثعلبي ٦٤/٥ .

(٢) الدر المنثور ٩٥/١ .

(٣) سورة النساء ١١ .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قراءة كل مسلم ومسلمة قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) كل يوم سبع عشرة مرة على نحو الوجوب العيني ، ليكون شكراً من أهل الأرض لله عز وجل . فلا تمر دقيقة على أهل الأرض إلا وهناك عدد من المسلمين يشكرون الله عز وجل ، لتصعد الملائكة بحمدهم وثنائهم إلى الله سبحانه يسمع شكر الناس له قبل أن تسمعه الملائكة .
وهناك مسألتان :

الأولى : هل من فرق بين قول الحمد لله ، وقول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

الثانية : هل من فرق بين قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) في الصلاة وقوله خارجها .

أما المسألة الأولى فالجواب نعم لأن الوصف بعموم ربوبية الله عز وجل للناس إقرار وتسليم بالعبودية له سبحانه ، وأن الخلائق كلها متقادة له ، وفيه شاهد على التنزه عن الشرك ، وهل في قول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(٤) محاربة للإرهاب ، الجواب نعم .

إذ أنها تدل على الإستغناء عنه ، وعلى الوثوق بعظيم قدرة الله عز وجل ، وأن الناس جميعاً عباد له سبحانه .

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة الفاتحة ٢.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

(٤) سورة الفاتحة ٢.

وأما المسألة الثانية فالجواب نعم ، إذ أن النطق بالحمد لله في الصلاة ، أكثر نفعاً في الدنيا وأجراً في الآخرة لأن المسلم يأتي بها وهو في حال خشوع وخضوع ، وطاعة لله عز وجل ، كما أن قول الحمد لله يزيد المسلم خشوعاً واستكانة وهو واقف بين يدي الله عز وجل ، وفيه واقية من استحواذ النفس الغضبية على الفرد والجماعة منهم .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى﴾ (١) أي أن القراءة في الصلاة تساعد المسلم في اتيانه الصلاة بحال الإنقطاع إلى الله والتخلص من شوائب وهموم الدنيا .

وكل من القراءة وأفعال الصلاة الأخرى مجتمعة ومتفرقة تنزه المسلم عن الإرهاب وتمنعه من التعدي ومن الأخلاق المذمومة كالغيبة والنميمة . (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بُعِثْتُ لِأَتُمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ).

وقال : أَدَبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي (٢) .

ومن التأديب الذي تفضل به الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأُمَّته الوقوف بين يديه خمس مرات في اليوم ، ولا يعلم منافع هذا الوقوف بصيغة العبادة إلا الله عز وجل ، فهي إصلاح وصلاح ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

إذ أن الصلاة خمس مرات في اليوم حرب على الفساد ، وزاجر للذي يصلي والذي يهمل بالإعتداء على المصلي ، وستبقى الصلاة تأديباً

(١) سورة الرعد ٢٨ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣٣٢/١٣ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

للمسلمين والناس جميعاً ، ومن الآيات إنجذاب الناس إليها بشوق ،
ويتجلى بالحرص على أدائها .

وإتيانها في أوقاتها من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
وهي شاهد على حب الله عز وجل لعباده إذ فرض عليهم التقرب إليه
بالدعاء والركوع والسجود ، ورغبهم فيه ووعدهم عليه الجنة ، فلم يأت
الوعد من عند الله على العنف وإيذاء الغير ، إنما جاء على العبادة
والمناسك والإحسان للناس ، قال تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) والإنشغال بالشكر لله عز وجل الذي يبعث على الزهد
والرضا بما قسم الله عز وجل .

وأكثر أولاد آدم من العدد الذي ذكر ، وهو أربعون ألفاً من الأحفاد
وأبناء الأحفاد ، وأحفاد الأحفاد لأن آدم عليه السلام عاش تسعمائة
وثلاثين سنة .

إذ ذكر (أن حواء كانت تلد لآدم (عليه السلام) توأماً في كل بطن
غلاماً وجارية إلا شيئاً فإنها ولدته مفرداً وكان جميع ما ولدته حواء
أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته أقليميا وآخرهم
عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ، ثم بارك الله في نسل آدم (عليه
السلام)^(٢) ، وقيل أن شيئاً له توأم .

قال ابن إسحاق (أن جميع ما ولدته حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر
وأنثى في عشرين بطناً ، وقال: قد بلغنا أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض .

(١) سورة البقرة ١٩٥ .

(٢) الكشف والبيان - للثعلبي ٦٤/٥ .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلاً وأربع نسوة، منهم قين وتوعمته، وهابيل وليوذا وأشوث بنت آدم وتوعمتها، وشيث وتوعمته، وحزورة وتوعمها، على ثلاثين ومائة سنة من عمره. ثم أباد بن آدم وتوعمته، ثم بالغ بن آدم وتوعمته.

ثم أثنائي بن آدم وتوعمته، ثم توبة بن آدم وتوعمته، ثم بنان ابن آدم وتوعمته، ثم شبوبة بن آدم وتوعمته، ثم حيان بن آدم وتوعمته، ثم ضرايبس بن آدم وتوعمته، ثم هدز بن آدم وتوعمته. ثم يحود بن آدم وتوعمته، ثم سندل بن آدم وتوعمته. ثم بارق بن آدم وتوعمته، كل رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يحمل به فيه^(١).

وفي قوله تعالى {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَكَمْ يُقْبَلُ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} ^(٢) خبر {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ} وهما هابيل وقايل، فهابيل في اسمه ثلاث لغات : هابيل وهابيل وهابن.

وقايل في اسمه خمس لغات : قايل وقاين وقابل وقبن وقابن^(٣). والحمد هو النعت بالجميل، وإنه الإحسان الإختياري، ونزول قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١) من عند الله عز وجل شاهد على أنه سبحانه حمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون ودل الناس على حمده والثناء عليه.

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥٣/١.

(٢) سورة المائدة ٢٧.

(٣) الكشف والبيان-للشعلبي ٦٤/٥.

واستغنى بحمده عن حمد الخلائق ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾^(٣) وشكر العبد لله عز وجل نوع كمال له وسلم إرتقاء ، فتفضل وفتح باب الحمد للناس لينالوا الثواب والأجر ، ومن أبواب الحمد :

الأول : النبوة .

الثاني : التنزيل .

الثالث : نعمة العقل للإنسان ، إذ يدرك القعل قانوناً وهو شكر المنعم واجب .

الرابع : توالي النعم من عند الله عز وجل على الناس مجتمعين وتفرقين ، وهل تكون النعمة على الناس بعرض واحد ، أم أن الحامدين ينالون نصيباً أكثر كماً وكيفاً .

الجواب هو الثاني ، للبعث على الحمد ولأن شكر الله عز وجل للحامدين عاجل وآجل ، قال تعالى ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾^(٤).

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة لقمان ١٢.

(٣) سورة الجاثية ١٥.

(٤) سورة التوبة ١١٢.

وهل يصدق على المسلم والمسلمة اللذين يتلوان قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) في الصلاة أنهما من الحامدين ، أم ان المعنى أخص والمراد منه كما ورد عن الحسن البصري وقتادة أنهم (يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء)^(٢).

المختار هو الأول ، ومن أسرار أداء المسلم الصلاة خمس مرات في اليوم لتتغشى أحواله في السراء والضراء طوعاً وانطباعاً . وفيه دعوة ملحة لإجتنب الإرهاب لأن تعاهد الحمد باعث للنفرة في النفوس من الظلم والجور والتعدي .

والنسبة بين الحمد والمدح هو العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء ، وأخرى للإفتراق ، أما مادة الإلتقاء فهي على وجوه :

الأول : كل من الحمد والمدح ثناء .

الثاني : كل من الحمد والمدح أمر حسن .

الثالث : ترتب حال الرضا عند المحمود والممدوح .

أما مادة الإفتراق فهي على وجوه :

الأول : يترتب الحمد على الإحسان والنعمة ، أما المدح فقد يأتي إبتداء وقبل الإحسان .

الثاني : يترشح الحمد عن الإحسان ، وهو نوع مفاعلة من وجوه :

أولاً : المحسن .

ثانياً : مادة الإحسان .

ثالثاً : المحسن إليه .

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) الدر المنثور ٥/١٧١.

أما المدح فقد يأتي إبتداء .

الثالث : يأتي الحمد بعد تحقق النعمة بالإحسان ، أما المدح فقد يوافق الحكم الواقعي والحق ، وقد يكون مغايراً له ، وقد يُمدح الظالم والعاصي ممن هو بذات نهجه .

ومدح الإنسان للظالم بغير حق من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١).

الرابع : يتوجه الحمد للحي وفاعل الخير والإحسان ، أما المدح فيأتي للحي والميت ، وقد يتوجه المدح للجمادات والصناعات كالجوهر والساعة ، ولا ينال الذي يزاول الإرهاب وإخافة الناس المدح .

قانون الجامع المشترك بين النبي والرسول

لقد أكرم الله عز وجل طائفة من الناس فخصهم بالنبوة والرسالة ، ثم انقطع هذا الإكرام بمغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الفردوس الأعلى ، فهو خاتم النبيين ، وليس من نبي بعده .
(عن عرباض بن سارية ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

يقول : "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ آدَمَ لَمَنْجَدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ ، وَسَأَخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ : دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشَارَةُ عِيسَى بِي ، وَالرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ أُمِّي ، وَكَذَلِكَ أُمّهَاتُ النَّبِيِّينَ ، يَرَيْنَ أَنَّهَا رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ" (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ)^(٢).

(١) سورة هود ١١٣.

(٢) سورة الصف ٦.

يقول : فلما جاءهم أحمد بالبينات ، وهي الدلالات التي آتاه الله حججا على نبوته ، (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) ^(١) ، يقول : ما أتى به غير أنني ساحر ^(٢) .

ولأن الرسل من الأنبياء ، ولا يصل الرسول إلى مرتبة الرسول إلا بعد أن يبلغ درجة النبوة ويتلقى الوحي من عند الله عز وجل ، فإن نعت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه (خاتم النبيين) شاهد على إنقطاع الأنبياء والرسل برسالته فهي الخاتمة لذا جعلها الله عز وجل بيانا للأحكام ، وتاماً للدين قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^(٣) .

وأول الأنبياء آدم عليه السلام ، لبيان إكرام الله عز وجل ودعوتهم للصلاح وحسن العشرة وجميل المعاملة للناس من جهات :
الأولى : هبوط آدم من السماء إلى الأرض ، وفي المقصود من قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ ^(٤) أقوال :

الأول : آدم وحواء .

الثاني : آدم وحواء ابليس .

الثالث : آدم وحواء وابليس والحية ^(٥) .

الرابع : آدم وحواء وذريتهما .

(١) سورة الصف ٦ .

(٢) تفسير الطبري ٣٥٩/٢٣ .

(٣) سورة البقرة ٣٨ .

(٤) سورة المائدة ٣ .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ١١٨/١ .

والمختار هو الثاني والرابع (عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أهبط الله آدم إلى الأرض مكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال له بنوه : يا أبانا تكلم . فقام خطيباً في أربعين ألفاً من ولده وولد ولده فقال : إن الله أمرني فقال : يا آدم أقلل كلامك ترجع إلى جواربي) ^(١).

أن كثرة أولاد وأحفاد آدم ورؤيته لهم وقد صار عددهم بالآلاف تثبت للإيمان ووراثه لأخبار إقامته وحواء ودعوة للتأخي بينهم ، ومنع الإقتتال والإرهاب في الأرض .

الثانية : الملازمة بين النبوة وعمارة الإنسان للأرض ، فأول من عمرها لإقامة الحجة على الناس بأن المعاصي والجحود والكفر أمور عرضية .

الثالثة : وجود صاحبة للنبي ومصدق به من أول نبوته وهي حواء زوج آدم ، ثم كثر عدد أولادهما وأحفادهما.

الرابعة : مصاحبة الوحي لوجود الإنسان في الأرض لبيان أن عمارة آدم وحواء للأرض ثم بالوحي وفضل الله عز وجل .

الخامسة : بشارة آدم بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

قال : لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه ، واشتد ندمه .

فجاءه جبريل ، فقال : يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذي يتوب

الله عليك منه؟

قال بلى يا جبريل قال : قم في مقامك الذي تناجي فيه ربك فمجده

وامدح ، فليس شيء أحب إلى الله من المدح .

قال : فأقول ماذا يا جبريل؟

قال : فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير كله ، وهو على كل شيء قدير .

ثم تبوء بخطيئتك فتقول : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت .
رب إني ظلمت نفسي وعملت سوء فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم إني أسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي .
قال : ففعل آدم فقال الله : يا آدم من علمك هذا؟
فقال : يا رب إنك لما نفخت في الروح فقمتم بشراً سوياً أسمع وأبصر وأعقل وأنظر رأيت على ساق عرشك مكتوباً : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله فلما لم أر على أثر اسمك اسم ملك مقرب ، ولا نبي مرسل غير اسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك .

قال : صدقت . وقد تبت عليك وغفرت لك خطيئتك
قال : فحمد آدم ربه وشكره وانصرف بأعظم سرور ، لم ينصرف به عبد من عند ربه . وكان لباس آدم النور قال الله { ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتها }^(١) ثياب النور .

قال : فجاءته الملائكة أفواجا تهنئه يقولون : لتهنك توبة الله يا أبا محمد^(٢) .

أي أن كنية آدم هي أبو محمد ، وفيه مسائل :
الأولى : الملائكة هو الذين أطلقوا هذه الكنية على آدم عليه السلام .

(١) سورة الأعراف ٢٧ .

(٢) الدر المنثور ١/٩٤ .

الثانية : بيان أن هذه الكيبة من عند الله عز وجل فقد أثنى الله عز وجل على الملائكة يقول تعالى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).
ويحتمل اشتقاق لفظ النبي لغة وجوهاً :
الأول : إنه مشتق من النبأ والخبر فهو منبئ ومخبر عن الله عز وجل بما يوحى إليه من الأوامر والنواهي والأحكام ، قال تعالى ﴿تَبٰىءُ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

الثاني : إنه مشتق من النبوة وهي المكان المرتفع من الأرض .
الثالث : النبي هو الواسطة والطريق بين الله وبين العباد ، وهو حجة على الناس ومن مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣).
الرابع : (والنَّبِيُّ : رَمَلَةٌ مَعْرُوفَةٌ. وهو الطَّرِيقُ أيضاً. والعَلَمُ)^(٤).
الخامس : النبوة بمعنى الصوت لأن النبي يقوم بالتبليغ ، والنبوة مرتبة سامية تصاحبها المعجزة .

قانون عصمة الأنبياء لطف وتنزيهه عن الإرهاب

العصمة : لغة ، المنع قال تعالى (العَصْمَةُ : المنعُ. وكُلُّ شَيْءٍ اعْتَصَمَتْ بِهِ. واعتَصِمَ من الشرِّ بكذا وأَعَصَمَ جميعاً. واستَعَصَمَ: التَّجَأَ. وأَعَصَمَتْهُ : هَيَّأتْ له ما يَعْتَصِمُ به. ودَفَعَتْهُ إِلَيْهِ بِعِصْمَتِهِ: أَي بِرِيقَتِهِ وَرُمْتَهُ.

(١) سورة النحل ٥٠.

(٢) سورة الحجر ٤٩.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

(٤) المحيط في اللغة ٤٧٣/٢.

والعصمة: القلادة^(١).

والعصمة: الحفظ والوقاية ، ويقال : اعتصم واستعصم بكذا أي تقول وامتنع به ، ويقال .

والعصمة ملكة الإمتناع عن المعاصي مع التمكن منها ، وفي التنزيل ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

ذكر أن المراد لا معصوم من أمر الله ، فيكون فاعل بمعنى مفعول .
وإذا وردت العصمة على نحو مطلق فتعني الإمتناع عن المعصية بلطف من الله عز وجل ، وتفضله بالدفع عن العبد ، ومنه قوله تعالى في يوسف عليه السلام ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّا رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٣).

فمن الإعجاز في الآية أعلاه ان الله عز وجل من الوصول إليه مجتمعين ومتفرقين ، مع تعدد وجوه البرهان ، ولو اقترب السوء والآثام أو الفحشاء كالزنا من يوسف فهل يرتكب المعصية ، الجواب لا ، إذ أن العصمة مركبة من الطرفين ، ليكون من الجامع المانع بدليل أنه رأى البرهان من عند الله عز وجل واتعظ به ، وهذا الجمع من اللطف الإلهي في عصمة الأنبياء وأولياء الله عز وجل ، إذ جعل الله عز وجل موضوع العصمة في خاتمة الآية أعلاه أعم من النبوة بقوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٤).

(١) المحيط في اللغة ٥٩/١.

(٢) سورة هود ٤٣.

(٣) سورة يوسف ٢٤.

(٤) سورة يوسف ٢٤.

ليبان أن الملاك هو إخلاص العبادة لله عز وجل ، وتغشي العبد بلطف وواقية من الله عز وجل ، ومنها العصمة والنزاهة .

ولم يرد لفظ (لنصرف) في القرآن إلا في الآية أعلاه ليبان أنه إعجاز وأمر خارق للعادة يتم بفضل من الله عز وجل ، ليبان قانون أن فعل المعصية ليس أمراً قاهراً يرتكبه الإنسان عندما يداهمه ، إنما يستطيع الذي يخشى الله عز وجل إجتنابه مع شدة الإغراء والطمع .

والعصمة توفيق وحرز واحتراز ، ورفق ولطف بالناس جميعاً تجلّى بخصوص سنة الأنبياء والأولياء فإن انقطعت النبوة من الأرض بمغادرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق فان العصمة باقية بفضل وفيض من الله عز وجل بعباده المخلصين وأهل التقوى لقانون وهو أن لطف الله عز وجل لا ينقطع عن الناس وإن غاب موضوعه فيستحدث الله عز وجل موضوعاً آخر يكون محلاً للطفه وتوفيقه ، ويدرك الناس في كل زمان وجود أفراد وأمة أخلاقهم كأخلاق الأنبياء أو أنها مرآة لها ، فكم من شاب جميل الهيئة دعتة امرأة إلى مراودتها فامتنع طاعة لله عز وجل ، وهو قد أمن الفضيحة أو العقاب الدنيوي ، وفي التنزيل قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١).

لقد اصطفى الله عز وجل الأنبياء ، وجعلهم مطهر من دنس الذنوب في الأرض إذ أن الله عز وجل أكرم من أن يرفع نعمة تفضل بها على العباد ، ليكون من معاني وتقدير قوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢) وجوه :

(١) سورة النازعات ٤٠.

(٢) سورة يوسف ٢٤.

الأول : إنه من عبادنا المخلصين في الدنيا والآخرة .

الثاني : إنه من عبادنا المخلصين ، الذين اصطفاهم الله عز وجل للنبوة .

الثالث : إنه من عبادنا المخلصين في كل زمان ، فانقطعت النبوة بانتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا ، ولكن الله يختار من عباده في كل زمان الأولياء والأبدال ، ونحوهم ويصرف عنهم السوء والفاحشة .

الرابع : إنه من عبادنا المخلصين فيا أيها الذين آمنوا سعوا لنيل مرتبة العبادة المخلصين .

الخامس : إنه من عبادنا المخلصين الذين يكونون حجة على الناس ، قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١).

السابع : إنه من عبادنا المخلصين المنزهين عن الخيانة ، وقد يكون الإرهاب من الخيانة والغدر .

الثامن : إنه من عبادنا المخلصين الذين ليس لإبليس سلطان عليهم ، وفي التنزيل ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٢).

فلم ينحصر إعراف إبليس بخصوص عصمة الأنبياء من غوايتهم إنما أقر بأنها تشمل عباده الله عز وجل المخلصين مطلقاً ، بدليل الآية التي بعدها التي ذمت الغاوين الذين يتبعون إبليس .

(١) سورة الأنعام ١٤٩.

(٢) سورة الحجر ٣٩-٤٠.

(وأخرج ابن جرير عن زيد بن قسيط قال : كانت الأنبياء تكون لهم مساجد خارجة من قراها ، فإذا أراد النبي أن يستنبي ربه عن شيء ، خرج إلى مسجد فصلى ما كتب له ثم سأل ما بدا له .

فبينما نبي في مسجده إذ جاء إبليس حتى جلس بينه وبين القبلة.

فقال النبي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً .

فقال إبليس : أخبرني بأي شيء تنجو مني؟

قال النبي : بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم؟

فأخذ كل واحد منهما على صاحبه .

فقال النبي : إن الله يقول { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من

اتبعك من الغاوين } ^(١)

قال إبليس : قد سمعت هذا قبل أن تولد .

قال النبي : ويقول الله { وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله {

.(٢)

وإني والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك .

قال إبليس : صدقت . . . بهذا تنجو مني .

فقال النبي : فأخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم؟

قال : آخذه عند الغضب وعند الهوى ^(٣).

التاسع : إنه من عبادنا المخلصين الذين ذاقوا حلاوة طعم القرب

والطاعة لله عز وجل فلا يلتفتون إلى غيره ، قال تعالى ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ

(١) سورة الحجر ٤٢.

(٢) سورة الأعراف ٢٠٠.

(٣) الدر المنثور ٩٧/٦.

عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنِّ عَبْدِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ
الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾

ترى ما هي النسبة بين إصطفاء الأنبياء وعصمتهم ، المختار هو العموم
والخصوص المطلق فالإصطفاء أعم ، فاذا اصطفى واختار الله عز وجل
أحداً من البشر للنبوّة فإنه يعصمه لقانون من اللطف الإلهي وهو الملازمة
بين النبوة والعصمة وهو قال تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
وَمِنَ النَّاسِ إِنَّا اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢) ويكون وفق لقياس الإقتراني :

الكبري : الأنبياء مصطفون .

الصغرى : المصطفون للنبوّة معصومون .

النتيجة : الأنبياء معصومون .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثال التقوى والزهد ،
وعن (عمر بن أبي سلمة، ابنها، سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن
القبلة للصائم؟

فقال: "سل هذه" يعني: أم سلمة فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يفعلها.

فقال : لسنا كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يحل الله لرسوله
ما شاء.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إني أتقاكم لله وأعلمكم
به" (٣).

(١) سورة الحجر ٤١-٤٣.

(٢) سورة الحج ٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٤٠٦.

وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالفرائض العبادية والآيات القرآنية دليلاً على نبوته وسيلاً إلى الهداية ومانعاً من الإرهاب ، قال تعالى ﴿فَإِذَا تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(١).

ومن عصمة الأنبياء التنزه عما يعز الناس وتنفر منه النفوس ، وهو من الإعجاز في النبوة ، فقد حارب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مفاهيم وسنن الضلالة التي كان عليها أهل الجزيرة ، التزلف إلى الأصنام ، والأصرار على طلب الثأر والربا وارتكاب الفواحش كالزنا ، وجرت بينه وبينهم معارك مثل معركة بدر وأحد والخندق ، ولكن النفوس لم تنفر منه ، إنما كان الناس يدخلون الإسلام علو نحو التوالي والتتابع ، ولا عبرة بكراهية رؤساء الكفر له فانهم أفراد قلائل غلب عليهم حب الدنيا ، وخافوا على مقاماتهم ، فقتل سبعة منهم في معركة بدر ، وفي شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، ليتعظ الباقون ، ويهتدوا لسبل الإيمان ، وحينما سيروا جيشاً من ثلاثة آلاف في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة تولى الله عز وجل هلاك طائفة منهم ، وألحق بعامه الجيش الخزي ، قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْتَهِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٢)،^(٣).

ليكون تقدير الآية أعلاه على وجوه :

الأول : ليقطع طرفاً من الذين كفروا لإختيارهم الهجوم على المدينة والإصرار على القتال .

(١) سورة النحل ٨٢.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

(٣) أنظر الجزء الحادي والثمانين من هذا السفر المبارك الذي أختص بتفسير هذه الآية الكريمة في (٤١٠) صفحة.

الثاني : ليقطع طرفاً من الذين كفروا لأنهم أرادوا قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بغير حق ، وقد قال تعالى في ذم الذين كفروا ، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١).

(وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار
قلت : اليوم أدرك ثأري - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل
محمدًا .

قال : فأدرت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأقتله فأقبل شيء
حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذاك و علمت أنه ممنوع مني)^(٢).

(عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان
قال : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين قد
عري ذكرت أبي و عمي و قتل علي و حمزة إياهما .
فقلت : اليوم أدرك ثأري من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه
درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج .
فقلت : عمه و لن يخذله .

قال : ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب

فقلت : ابن عمه و لن يخذله.

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) ابن كثير/السيرة النبوية ٦٣٣/٣.

قال : ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت أن يحشني^(١) فوضعت يدي على على بصري و مشيت القهقري فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و قال : يا شيب ادن مني اللهم أذهب عنه الشيطان.

قال : فرفعت إليه بصري و لهو أحب إلي من سمعي و بصري فقال : يا شيب قاتل الكفار^(٢).

الثالث : ليقطع طرفاً من الذين كفروا ويهلك جماعة منهم لكفرهم وجحودهم بعد إقامة الحجة عليهم .

وفي نسبة قطع وهلاك الذين كفروا إلى الله عز وجل شاهد على كفايته للمؤمنين في الإنتقام من الذين كفروا ، فلم يهجم عليهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ليقطع الله عز وجل طرفاً منهم .

بل كان مشغولاً بعبادة الله عز وجل وتبليغ الأحكام وإصلاح المجتمع ، وبناء صرح الإيمان ليشهد الناس جميعاً له ولأصحابه وأهل بيته بالتزهر عن الإرهاب والتعدي ، وهو من رشحات عصمة الأنبياء .

وتتجلى معجزة وهي أن الله عز وجل هو الذي يحفظ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بأيات حسية وعقلية ، مع إجتهدا المشركين بالإجهاز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ومن أسباب نزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

(١) يحشني: يحرقني.

(٢) ابن كثير/السيرة ٦٣١/٣.

(٣) سورة المائدة ١١.

أن الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ببطن نخلة على قول في غزوة ذات الرقاع في ربيع الآخر في السنة الرابعة للهجرة. إذ أراد بنو ثعلبة وبنو محارب الهجوم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ساعة إنشغالهم بالصلاة ، وإنقطاعهم إلى الله عز وجل. إذ (قالوا : إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم فإذا سجدوا فيها أوقعنا بهم، فأطلع الله نبيه على ذلك ، وهي صلاة الخوف. وقال الحسن : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم محاصراً بطن نخلة. فقال رجل من المشركين : هل لكم في أن أقتل محمداً.

قالوا : فكيف تقتله؟

قال أمسك به.

قالوا : وددنا إنك فعلت ذلك. فأتى النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} وهو متقلد سيفه.

فقال : يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة إلى السيف ومرة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال : من يمنعك مني يا محمد؟

قال : الله ، فتهدده أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأغلظوا له فشام السيف ومضى.

فأنزل الله هذه الآية.

الزهري عن ابن سلام عن جابر بن عبد الله : أن النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} سلاحه بشجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} فسأله ثم أقبل على النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} .

فقال : من يمنعك مني؟

قال : الله ،

قال الأعرابي مرتين أو ثلاثاً : من يمنعك مني؟

والنبي {صلى الله عليه وآله وسلم} .

يقول : الله ، فشام الأعرابي السيف.

فدعا النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} أصحابه فأخبرهم بخبر

الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه^(١).

لقد جعل الله عز وجل فصول مدرسة العصمة قرية من كل إنسان ،

وتجري على كل الألسنة ، وهي لا تتنافى مع العقل .

لقد شاء الله عز وجل أن تكون عصمة الأنبياء موعظة وضياء ينير

دروب الناس للتنزه عن ظلم الآخرين وعصمة الأنبياء من النقص في قوله ،

قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

ومن معاني خلافة الإنسان في الأرض إدراكه لقانون وهو أن التنزه عن

الإرهاب حكمة وصلاح وأمن في النشاطين .

قانون الحوار في القرآن

لقد اتخذ القرآن الحوار وسيلة لإظهار الحق وإقامة الحجة ، ودرء

الفتن.

والحوار لغة مأخوذ من الحور وقيل هو (الحور: الرجوع إلى الشيء

وعنه)^(٣).

(١) الكشف والبيان-للثعلبي ٣٩/٥.

(٢) سورة يوسف ١١١.

(٣) المحيط في اللغة ٢٤٨/١.

والأقرب أنه النقصان بعد الزيادة ، والرجوع من حال حسن إلى حال أدنى وأقل ، وفي الحديث :

(عن عبد الله بن سرجس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سافر قال اللهم إني أعوذ بك من وعشاء^(١) السفر وكآبة المنقلب والخور^(٢) بعد الكور^(٣) ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال^(٤)). والحوار في الإصطلاح تبادل الكلام بين طرفين أو أكثر بصيغة الخلق الحميد والأدب والسكينة وإجتناّب الخصومة والتشدد والتعدي ولو بالتعريف .

وفي الحوار أطراف :

الأول والثاني : طرفا الحوار .

الثالث : نسخة الحوار .

الرابع : موضوع الحوار .

الخامس : نتيجة الحوار والنفع منه ، وجاء القرآن ببيان منافع الحوار بإقامة الحجّة على الجاحد والكافر ، ومن وظائف ورشحات الحجّة والبرهان محاصرة الإرهاب ، والمنع من الظلم .

ومن الإعجاز في القرآن أنه مدرسة الحوار الأولى ، من جهات :

الأولى : إخبار الله عز وجل للملائكة بجعل آدم ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٥)

^(٥) وحواره معهم .

(١) الوعشاء : الشدة والمشقة .

(٢) الخور : النقصان .

(٣) الكور : الزيادة .

(٤) النسائي/السنن الكبرى ٤/٤٥٩.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

إذ أورد بعضهم إشكالاً في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) كيف يستشير الله عز وجل الملائكة في أمر هو يريد فعله وتقديره ، وليس من إستشارة في المقام ولا إعتراض من الملائكة ، إنما أراد الله عز وجل إخبارهم بأمر قاطع فلم يقل الله عز وجل (سأجعل في الأرض خليفة) إنما قال سبحانه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢).

ليان الفارق بين المشيئة الإلهية والحكمة فيها ، وبين تردد الذين إدعوا الربوبية في الأرض مثل فرعون ، إذ قال لقومه ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾^(٣).

وقال ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(٤) أو في بلقيس حينما جاءها كتاب النبي سليمان عليه السلام ، ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾^(٥).

والسؤال عن الحكمة في خلافة الإنسان غير مسألة السجود له ، فلم تترد الملائكة بهذا السجود ، فحينما أمرهم الله عز وجل فقد سجد الملائكة

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة غافر ٢٦.

(٤) سورة الأعراف ١١٠.

(٥) سورة النمل ٣٢.

لآدم بتحيته في ذات الوقت الذي في حال سجود عبادة الله عز وجل ، ومبادرة الملائكة للسجود لآدم دعوة للمؤمنين للإستجابة لله عز وجل في السجود وأداء الفرائض ، والإمتناع عن المعاصي مطلقاً ، ومنها الظلم والتعدي .

الثانية : حوار الأنبياء مع قومهم ، وملوك زمانهم وأتصف هذا الحوار بالاحتجاج لبيان الحق وإقامة البرهان على وجوب عبادة الله عز وجل ، فدخل إبراهيم ليس معه سلاح على ثمرود يعظه ، ويزجره عن إدعاء الربوبية ، وكذا فعل موسى وهارون مع فرعون .

الثالثة : حوار المؤمنين مع الملوك والطواغيت وإعلان المؤمنين عقيدة التوحيد من غير خوف أو خشية ، ودعوة الملوك إلى الإيمان ونزع الإستكبار ، ويعلم المؤمنون ما ينتظرهم من التعذيب والقتل فلم يميلوا إلى الإرهاب أو الغدر ، كما في آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ، فقد كان بإمكانها الإجهاز عليه في الليل أو النهار ، وكان يميل لها بدليل أنه استمع إلى طلبها في حضانة موسى علي السلام مع أن فرعون كان يقتل المولود من بني إسرائيل ، وفي التنزيل ﴿وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكْ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَّا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

(روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاءوا ليذبحوه فمنعهم وجاءت به إلى فرعون وقالت : قرّة عين لي ولك .

{ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَّا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا } فقال فرعون : قرّة عين لك فأما لي فلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ

لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ بِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتْ امْرَأَتُهُ لَهْدَاهُ اللَّهُ بِهِ كَمَا هَدَاهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ^(١).

وكانت آسيا أجمل نساء بني اسرائيل ولحسن خلقها وتبعلها ، وهذا الحسن مصاحب للإيمان ، ولكنها لم تؤذ فرعون إنما أعلنت كلمة التوحيد وأخبرته بأن الله ربها وربها.

(عن ابن عباس أن فرعون لما ذاق قيل له : ذو الأوتاد أنه كان امرأة وهي امرأة خازنه خرييل بن نوحايل وكان مؤمناً كتم إيمانه مائة سنة، وكان لقي من لقي من أصحاب يوسف ، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت : تعس من كفر بالله،

فقالت بنت فرعون : وهل لك من إله غير أبي؟
 فقالت : إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له.
 فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي قال : ما يبكيك؟
 قالت : الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فأرسل إليها فسألها عن ذلك.
 فقالت : صدقت. فقال لها ويحك : اكفري بإلهك وأقري أنني إلهك.
 قالت : لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب فقال لها : اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين.
 قالت : والله لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله تعالى.
 قال : وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها.

وقال لها : اكفري بالله وإلا ذبحت ابنتك الصغرى على فيك ، وكانت طفلة رضيعة تجد بها جداً شديداً فقالت : لو ذبحت من على الأرض على في ما كفرت بالله تعالى .

قال : فأتى بابنتها فلما أن قدّمت منها واضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة .

فأطلق الله عز وجل لسان ابنتها فتكلّمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً .

فقالت : يا أمّاه لا تجزعي فإنّ الله سبحانه قد بنى لك بيتاً في الجنة ، اصبري فإنّك تمضين إلى رحمة الله سبحانه وكرامته^(١) .

قال : فذبحت فلم تلبث أن ماتت وأسكنها الله سبحانه الجنة .

قال : وبعث في طلب زوجها خربيل فلم يقدرُوا عليه .

فقيل لفرعون : إنّهُ قد رُئي في موضع كذا وكذا في جبال كذا وكذا ، فبعث رجلين في طلبه فانتھيا إليه وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلّون ، فلما رأيا ذلك انصرفا .

وقال خربيل : اللهم إنّك تعلم أنّي كتمتُ إيماني مائة سنة ، ولم يظهر عليّ أحدٌ فأَيّما هذين الرجلين كتم عليّ فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله ،

وأَيّما هذين الرجلين أظهر عليّ فعجّل عقوبته في الدنيا ، واجعل مصيره في العاقبة إلى النار ، فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن ، وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملأ .

فقال له فرعون : وهل كان معك غيرك ؟

(١) ليّان علم الأسرة المؤمنة باستجابة الله عز وجل لدعاء آسيا في الحال ، ليتلقوا العذاب بالصبر والرضا ، ويغادروا الدنيا بعد رؤية نعيم الآخرة الذي ينتظرهم .

قال : نعم.

قال : وَمَنْ كَانَ مَعَكَ؟

قال : فلان. فدعى به. فقال : حقٌ ما يقول هذا؟

قال : لا.

ما رأيتَ ممَّا قال شيئاً. فأعطاه فرعون وأجزل ، وأمَّا الآخر فقتله ثمَّ صلبه.

قال : وكان فرعون قد تزوّج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسيا بنت مزاحم.

فراّت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت : وكيف يسعني أن أصبر على ما أتى فرعون وأنا مسلمة وهو كافر.

فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها.

فقالت : يا فرعون أنت شرّ الخلق وأخبثه عمدت إلى الماشطة فقتلتها. فقال : فلعلّ بك الجنون الذي كان بها. قالت : ما بي من جنون ، وإنّ إلهي وإلهها وإلهك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له فمزق عليها وضربها وأرسل إلى أبويها فدعاهما فقال لهما الأمر ، بأنّ الجنون الذي كان بالماشطة أصابها فقالت : أعوذ بالله من ذلك.

إنّي أشهد أنّ ربّي وربّك وربّ السماوات والأرض واحد لا شريك له.

فقال أبوها : يا آسية ألسنت خير نساء العماليق وزوجك إله العماليق؟ قالت : أعوذ بالله من ذلك إنّ كان ما تقول حقاً.

فقولا له : يتوجّني تاجاً يكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله.

فقال لهم فرعون : أخرجنا عني فمدّها بين أربعة أوتاد يعذبها .
 وفتح الله سبحانه لها باباً إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون ^(١)
 فعند ذلك قالت : { رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَعَمَلِهِ } ^(٢) يعني من جماع فرعون { وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } ^(٣) يعني من
 فرعون وشيعته ، فقبض الله سبحانه روحها وأسكنها الجنة .
 وقيل : الأوتاد عبارة عن ثبات مملكته وطول مدته وشدة هيئته ،
 كثبوت الأوتاد في الأرض كقول الأسود : في ظل ملك ثابت الأوتاد ^(٤) .

(١) وعن ابن عباس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء
 أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ومريم بنت
 عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرهما في
 القرآن { قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة }) الدر المنثور ٦٢/١٠ وفي موضوع
 الخيانة في قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ
 ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِيْنَ﴾ التحريم ١٠ ، ورد عن ابن عباس (في قوله : {
 فخانتاهما} قال : ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس : إنه مجنون ،
 وأما خيانة امرأة لوط ، فكانت تدل على الضيف ، فتلك خيانتها .
 وأخرج ابن عساكر عن أشرس الخراساني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 أنه قال : ما بغت امرأة نبي قط (الدر المنثور ٦١/١٠) .

(٢) سورة التحريم ١١ .

(٣) سورة التحريم ١١ .

(٤) الكشف والبيان / للثعلبي ٩٦/١٤ .

قانون الأوتاد بين الناس

كما جعل الله عز وجل أوتاداً للأرض لمنع من أن تميد بالناس قال تعالى ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١) فإنه سبحانه جعل أوتاداً وأعلاماً في الأرض لمنع تفشي

الفساد والظلم والإرهاب

قال تعالى ﴿لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾^(٢).

(قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها وقيل كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم وقيل أراد المباني العظام الثابتة)^(٣) وعن ابن عباس أن الأوتاد هم الجنود وكثرة جنوده ومضاربهم إذا نزلوا . وقيل هي أسوار مرتفعات ، وهل الأهرام من الأوتاد التي تذكرها الآية أعلاه المختار نعم .

ليبان أن كثرة الجنود والأسوار العالية لن تمنع الطاغوت من عذاب الله عز وجل إذا نزل به ، وقد سار فرعون بمليون جندي خلف موسى وبني إسرائيل فأغرقه الله في البحر الأحمر ، قال تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٤).

وقد أخبر القرآن عن سلطان فرعون ، وسعة ملكه قال تعالى ﴿وَأَدَّى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ

(١) سورة النحل ١٥.

(٢) سورة النبأ ٦-٧.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٤٤١/٢.

(٤) سورة البقرة ٥٠.

تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١﴾ وقوله تعالى ﴿إِنْ فَرَعُونَ عَلَافِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

لقد جعل الله عز وجل أوتاداً في الأرض لإستدامة نزول أرزاق الناس، والأوتاد في الأرض على أقسام منها .

الأول : الجبال التي أرساها الله عز وجل في الأرض ، قال تعالى ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٣).

(وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله { هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات }^(٤).

قال : إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق أخرج من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء ، فسماء سماء ، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً فتقها واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين . في الأحد والإثنين ، فخلق الأرض على حوت وهو الذي ذكره في قوله (ن والقلم)^(٥) والحوت من الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان؛ ليست في السماء ولا في الأرض .

(١) سورة الزخرف ٥١.

(٢) سورة القصص ٤.

(٣) سورة النحل ١٥.

(٤) سورة البقرة ٢٩.

(٥) سورة ن ١.

فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض ، فأرسى عليها الجبال ، فالجبال تفخر على الأرض . فذلك قوله { وجعل لها رواسي أن تميد بكم }^(١). وخلق الجبال فيها ، وأقوات أهلها ، وشجرها ، وما ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء ، والأربعاء ، وذلك قوله { أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض }^(٢) إلى قوله { وبارك فيها }^(٣).

يقول : أنبت شجرها ، وقدر فيها أقواتها ، يقول لأهلها { في أربعة أيام سواء للسائلين }^(٤).

يقول : من سأل فهكذا الأمر { ثم استوى إلى السماء وهي دخان }^(٥). {^(٥).

وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، ثم جعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين : في الخميس ، والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض { وأوحى في كل سماء أمرها }^(٦).

قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي فيها ، من البحار ، وجبال ، البرد ، وما لا يعلم . ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظاً من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش }^(٧).

(١) سورة النحل ١٥ .

(٢) سورة فصلت ٩ .

(٣) سورة فصلت ١٠ .

(٤) سورة فصلت ١٠ .

(٥) سورة فصلت ١١ .

(٦) سورة فصلت ١٢ .

(٧) الدر المنثور ٦١/١ .

وقوله تعالى ﴿أَنْ تَعْبُدَ بَكُمْ﴾^(١) أي ألا تميد أو تمور بكم ، إذ أثبت الله عز وجل بالجبال .

(عن الحسن عن قيس بن عباد قال : إن الله لما خلق الأرض جعلت تمور ، فقالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحداً ، فأصبحت صباحاً ، وفيها رواسيها ، فلم يدروا من أين خلقت ، فقالوا ربنا هل من خلقك شيء أشد من هذا؟

قال : نعم ، الحديد ، فقالوا : هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال : نعم ، النار . قالوا : ربنا ، هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال : نعم! الماء . قالوا : ربنا ، هل من خلقك شيء هو أشد من الماء؟ قال : نعم الريح .

قالوا : ربنا ، هل من خلقك شيء هو أشد من الريح؟ قال : نعم الرجل . قالوا : ربنا ، هل من خلقك شيء هو أشد من الرجل؟ قال : نعم المرأة^(٢).

الثاني : الوحي والتنزيل والذي صاحب الإنسان من أول هبوط آدم وحواء إلى الأرض .

فإن قلت لم يمنع الوحي قاييل بن آدم من قتل أخيه هابيل كما ورد في التنزيل ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) الجواب لا يعلم ما صرف من الفساد دون القتل بالوحي والتنزيل إلا الله عز وجل . وللوحي معان متعددة منها :

(١) سورة النحل ١٥.

(٢) الدر المنثور ٦/١٢٦.

(٣) سورة المائدة ٣٠.

أولاً : الإشارة .

ثانياً : الإيماء .

ثالثاً : الكناية .

رابعاً : السرعة .

خامساً : الإلقاء في الروع .

سادساً : الإخبار بسرعة وشدة مع بقاء أثره ومعناه في النفس .

سابعاً : الإعلام في خفاء .

والله عز وجل له ملك السموات والأرض فيأبى أن يكون وحيه خفية ، إنما هو خاص بالأنبياء فلا يصل صوت الملك إلى غيرهم ، وكانت علامات وقرائن الوحي ظاهرة للعيان ، فكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاءه الوحي يتصفد وجهه عرقاً في اليوم البارد .

(عن قتادة في الآية قال : يقال خير الرزق ما لا يطغيك ، ولا يلهيك . قال : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وزخرفها .

فقال له قائل : يا نبي الله ، هل يأتي الخير بالشر؟ فأنزل الله عليه عند ذلك { ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض }^(١) وكان إذا نزل عليه ، كُربٌ لذلك وتربّد وجهه ، حتى إذا سري عنه .

قال : هل يأتي الخير بالشر؟ يقولها ثلاثاً إن الخير لا يأتي إلا بالخير ، ولكنه والله ما كان ربيع قط إلا أحبط أو ألم ، فاما عبد أعطاه الله مالاً ، فوضعه في سبيل الله ، التي افترض وارتضى ، فذلك عبد أريد به خير ،

وعزم له على الخير ، وأما عبد أعطاه الله مالاً ، فوضعه في شهواته ولذاته ، وعدل عن حق الله عليه ، فذلك عبد أريد به شر وعزم له على شر^(١) . فالوحي ليس خفاء على نحو السالبة الكلية إنما هو سبيل ونوع صلة خاصة بين الملك النازل من السماء ، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإخبار من عند الله عز وجل ، لا يسمعه إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن علاماته ودلالاته مصاحبة له .

ومن إعجاز القرآن أن كل آية منه تدل على الوحي وتشير إليه ، وتخبر عن كونه حقاً وصدقاً ، فإن كان غير النبي لا يسمع الوحي فلا يعني إنه إخبار في خفاء إنما حجب الله عز وجل الوحي عن غير النبي ، ولكن مظاهر الوحي جليلة ساعة الوحي ويجدها إلى يوم القيامة .

ومن إعجاز القرآن الغيري أنه حفظ الوحي الذي نزل على الرسل والأنبياء السابقين .

لتبقى النبوة والوحي والتنزيل أوتاداً ثابتة في الأرض ينتفع منها الناس جميعاً سواء المؤمنين أو غيرهم ، وهذا الثبوت من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

الثالث : من الأوتاد تلاوة كل مسلم ومسلمة قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣) عدة مرات في اليوم لتثبيت الإقرار العام بالعبودية المطلقة لله عز وجل والحاجة المستديمة والمتجددة لرحمته تعالى ، ومن ضروب هذه الحاجة أمور :

(١) الدر المنثور ٧٠/٩ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة الفاتحة ٦ .

الأول : الحصانة مقدمات الإرهاب .

الثاني : الإمتناع عن مزاوله الإرهاب .

الثالث : الزجر عن التحريض على الإرهاب .

الرابع : بيان قبح الإرهاب وأضراره العامة ، وفي التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعَالَى

الْفَقْرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١).

قانون عداوة الوحي للإرهاب

من خصائص الوحي من الله عز وجل للإنسان أمور :

الأول : بدأ الوحي في السماء ، فقد فاز آدم عليه السلام بتلقي الوحي

من عند الله ، واتصف هذا الوحي بأن كلمة الله عز وجل قبلاً كما في قوله

تعالى ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(٢).

وقد توجه الامر من الله عز وجل إلى آدم وحواء وهما في الجنة بأن لا

يأكلا من شجرة مخصوصة ، كما في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

^(٣) كما في قوله تعالى ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا

وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

(١) سورة فاطر ١٥.

(٢) سورة البقرة ٣٣.

(٣) سورة البقرة ٣٥.

(٤) سورة الأعراف ١٩.

ويحتمل الخطاب والوحي من الله عز وجل في الآية أعلاه في جهته وجوهاً :

الأول : توجه الخطاب إلى آدم وبواسطته إلى حواء .

الثاني : إشتراك آدم وحواء في تلقي الخطاب بعرض واحد .

الثالث : إختصاص آدم بالخطاب .

والصحيح هو الأول ، لبيان إبتداء النبوة وبوحي الأمانة في التبليغ وإيصال الرسالة والأحكام التي تأتي من عند الله عز وجل ، كما إتضح صدق آدم في تعلمه للأسماء ، وامثاله لأمر الله عز وجل بقيامه بتعليم الملائكة ذات الأسماء وتعيين المسميات وفق ما علمه الله عز وجل ، ليكون مؤهلاً للخلافة في الأرض وتلقي الوحي .

الثاني : إختصاص وحي النبوة بالأنبياء ونزول أحكام الحلال والحرام عليهم ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ ^(١).

وإذا كانت النبوة تختص بالرجال فهل الوحي خاصاً أيضاً ، ولم يوح إلى امرأة ، المختار لا ، فبين الوحي والنبوة عموم وخصوص مطلق ، قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٢).

(١) سورة النساء ١٦٣.

(٢) سورة القصص ٧.

الثالث : ومن خصائص الوحي نزول الملائكة به ، فهم وسائط الوحي بين الله عز وجل والأنبياء ، وخاصة خلق من يشاء أن يوحي إليه وحي إكرام وليس تشريفاً ، كما في مريم عليها السلام ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتُ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَنْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتُ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (١).

فبينما تجد ثلاث أو أربع آيات تنزل في تشريع فريضة مثل الصيام التي وردت في الآيات (١٨٣-١٨٥) من سورة البقرة ، وابتدأت بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران ٤٢-٤٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٣-١٨٥.

كما تجلّى الحوار بين زكريا ومريم وصار مناسبة ، لتوجه زكريا بالدعاء بطلب الولد كما ورد في التنزيل ﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١) ويجب إعداد رسائل وتأليف كتب من جهات :

الأولى : لغة الحوار في القرآن .

الثانية : منافع الحوار القرآني .

الثالثة : قانون الحوار حرب على الإرهاب .

لما في الحوار من البيان وكشف الحقائق ، ومنع الإنغلاق .

قانون لغة القرآن مودة عامة

من معاني الأخوة لزوم التعاون لمنع الإرهاب ، وإبطال مفاهيمه ، وقطع موارده ومنع وصوله إلى عالم الفكر .
وشاء الله أن يجعل القرآن عربياً ويتولى المسلمون حفظ العربية من وجوه :

الأول : العربية صلة بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل مسلم ومسلمة لأنها لغة القرآن الذي أنزله الله عز وجل على صدوره تبعاً ونجوماً في ثلاث وعشرين سنة .

الثاني : عصمة العربية من الإندثار ، وتبديل الكلمات ، وعدم ديب العامية واللهجات لها ، والمتبادر أن كثرة دخول الأعاجم في الإسلام خلال سنوات قليلة سبب لإختلاط العربية مع لغاتهم ، وفيه بعض كلمات الفرس والروم والأترار مثلاً على العربية والعرب .

وكان هذا التداخل موجوداً قبل الإسلام ولكن بمفردات قليلة معروفة وخلاف قواعد الصرف ، وحينما نزل القرآن استبانت أصول وقواعد اللغة العربية .

الثالث : تساوي المسلمين في النهل من اللغة العربية ، وعلومها ، واتخاذها وسيلة لإكتساب العلوم ، ولمعاني الأخوة بين المسلمين .

الرابع : صيرورة اللغة العربية ذات صبغة عالمية إذ أنها اليوم اللغة الرابعة من اللغات الرسمية لسنة الأمم المتحدة .

ولم تنل العربية هذه المنزلة لولا أنها لغة القرآن ، وهي اللغة الرسمية في كل الدول العربية ، وكذا فإنها لغة رسمية في إيران ، ومالي والسنغال ، وتشاد ، وغيرها .

وكما صارت العربية سور الموجبة الكلية الجامع للمسلمين والمسلمات في الصلاة والعبادات صار المسلمون يلتقون بالإمتناع عن الإرهاب بالزجر عنه ، وهو من أبهى مواضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الزمان ، قال تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

ليكون من إعجاز لغة القرآن وإنحصار الصلاة في الصلاة بالعربية تعاهد المسلمين والمسلمات للأخلاق النبوية والتعاون لدر الفتنة ، ومنها الإرهاب الذي بذاته فتنة وتترشح عنه الفتنة ، قال تعالى ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٢).

(١) سورة التوبة ١٠٥.

(٢) سورة الأنفال ٢٥.

بحث فقهي

بدأت ظاهرة أطفال الأنابيب سنة ١٩٧٨ إذ ولدت أول طفلة (لويز براون) إذ أخذ الطبيب (ستيتو) بيضة ناضجة من الأم وحيواناً منوياً من الزوج .

وجعل اللقيحة في محلول مناسب للإخصاب ثم نقله في رحم الأم ، ثم تطورت طرق الإنجاب بالأنابيب واستحدثت مسائل في أمور :

الأول : الأحكام الشرعية من جهات :

الأولى : صحة العملية .

الثانية : الإنفاق على الجهتين .

الثالثة : النسب .

الرابعة : الميراث له ومنه .

الخامسة : السعة في الأمر أو الحصر بالضرورة لحال العقم عند الزواج أو ضيق وانسداد المبيضين عند المرأة .

السادسة : ملة وحذاقة الطبيب وملامسته للمرأة .

السابع : إجارة الرحم .

الثاني : القضايا القانونية .

وهناك قاعدة كلية وهي : إذ ثبت النسب ثبت الإرث .

فاذا كان الحيمن من الزوج والبويضة من الزوجة مع الوثاقة في الطريقة والطاغم الطبي أو بنك البويضات فالعملية شرعية وصحيحة شرط أن تقع في حياة الزوجين وهما على الزوجية ، ويكون نسب المولود لهما ويرث ، ولو كانت المرأة مطلقة وفي لعدة الرجعية فهل يصح تلقيح بويضتها من حيمن لزوج المختار لا يصح ، نعم هي ملحقة بالزوجة لأنها في معرض الإعادة إلى حبال الزوجية مدة العدة ، ولكن لا يعني هذا أخذ حيمن

الرجل وتلقيحه بالبويضة ، ولو تم هذا التلقيح برضا الزوج المطلق في العدة الرجعية فهل يصح وإذا صح هل يحتسب منه رجوعاً في زوجته .
وهذه مسألة مستحدثة لم يتعرض لها الفقهاء ، المختار الجواز ويعد رجوعاً بالزوجة .

وقال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١) .
أشد الزنا قبحاً ما كان بالمحارم لأن الأصل أن المحرم يحافظ على عرضه وناموسه ويذب عن محارمه أن يكون هاتكاً لعرضها مضيعاً لركن من أركان صلاح النفوس .

ومن الآيات الذي يزني بالمحارم يعيش حياته في بؤس وندامة وحسرة ، وإن كان باب التوبة مفتوحاً للناس جميعاً .

والمسارعة إلى التوبة في المقام واجب وليس مستحباً ، وأن تكون صادقة بتعاهد الصلاة والصوم والفرائض العبادية .

وعن الشيخ الطوسي أن الزاني بذات المحارم يقتل على أي حال سواء كان محصناً أو غير محصن ، حراً كان أو عبداً مسلماً أو كافراً شيخاً أو شاباً والمختار عدم الإطلاق في حكم القتل .

أن يثبت الزنا وهو إيلاج فرج بفرج حتى تغيب الحشفة أما لو شهدوا بالمضاجعة والمعانقة والتقبيل والتفخيذ ونحوه من الإستمتاع دون الفرج فالحكم هو التعزير ، لأنه خارج عن تعيين حد الزنا .

وفي صحيحة الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام قال : حد الجلد أن يوجد في لحاف واحد .

والمراد من الحد هو مائة جلدة وليس التعزير الذي يكون أدنى ، وفي صحيحة الحذاء عنه عليه السلام قال : إذا وجد الرجل والمرأة في لحاف واحد جلدا مائة جلدة .

ولو أقر بالزنا ثم أنكر سقط عنه الحد وعليه الإجماع والنص .
ووردت نصوص في زنا الرجل بالممارسة كالأم والأخت ، وفي خبر عامر بن السمط عن علي بن الحسين عليهما السلام في الرجل يقع على أخته ، قال عليه السلام : يضرب ضربة بالسيف بلغت منه ما بلغت فان عاش خلد في السجن حتى يموت .

والمبتادر أن المراد من المحارم النسبية كالأم والبنت والأخت ، وليس المحارم بالعرض كالمصاهرة والرضاع والتي تشملها حرمة الزنا وعقوبته أيضا .

قال تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ♦ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ^(١).

ومن علم الله وقدرته التي اختتمت به الآية أعلاه بلوغ العلم لعلاج العقم ، فجعل الله الناس على أقسام من جهة الإنجاب وعدمه :

الأول : الذي يولد له ذكور وإناث .

الثاني : الذي ينجب الذكور .

الثالث : الذي ينجب البنات .

الرابع : الذي لا يولد له وهو العقيم .

ولو أجريت إحصائية للناس في أي عقد أو قرن من الزمان ، أو بلد من البلدان لوجدت أن القسم الأول هم الأكثر بين الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١).

لتكون مسألة الأنابيب ونحوا خاصة بالعقيم .

والعلم في إرتقاء مستمر ، فالصبر هو الأولى لمن لا يقدر على التلقيح والإنجاب حتى بواسطة الأنابيب.

(وعن البغوي بالنسبة للعقيم قال : كيحيى وعيسى)^(٢).

ولكن المراد غيرهما إنما كان الحصر وعدم الإنجاب بالنسبة لهما معجزة وآية في العالمين .

وقد ذكر الله بعض الرياح ونعتها بالعقيم التي أرسلها إلى انتفاعاً منهم قال تعالى ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٣).

وهو الرياح التي لا تلقح شجراً ولا تنشئ سحاباً . ويقال الملك عقيم : أي لا ينفع معه نسب ، ويقتل به الوالد ولده ، أو الولد والده .

والجامع المنع من ظهور النفع والأثر من الحبس والإحتباس وحرب عقيم ، أي يكثر فيها القتل وتبقى النساء أرامل وأيامى .

والعقيم الذي لا يولد له يطلق على الذكر والأنثى ، وفي يحيى ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾^(٤) الحصور الذي لا يشتهي النساء ولا يأتين مع القدرة عليه .

وآية الكلاله قيل هي آخر آية نزلت من القرآن كما في البراء بن عازب وهي آخر آية من سورة النساء ، قال تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ

(١) سورة النحل ١٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢١٦/٧.

(٣) سورة الذاريات ٤١.

(٤) سورة آل عمران ٣٩.

إِنْ أَمْرُكَ هَٰذَا فَكُلُّوا مِنْهُ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَنَاتَ فَلَوْلَا نِكَاحُ الْإِخْوَةِ الْبُكْرَىٰ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَلَٰكِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَنَاتَ فَلَوْلَا نِكَاحُ الْإِخْوَةِ الْبُكْرَىٰ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَٰكِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَنَاتَ فَلَوْلَا نِكَاحُ الْإِخْوَةِ الْبُكْرَىٰ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلَٰكِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَنَاتَ فَلَوْلَا نِكَاحُ الْإِخْوَةِ الْبُكْرَىٰ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾

موضوع آخر آية نزلت من القرآن بين :

الأول : آية الكلاله .

الثاني : آيات الربا .

الثالث : آية اكمال الدين ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١).

كان عمر يذكر على النبي أنه لم يعلم ما موضوع الكلاله ، وفي حديث عمر في الكلاله قال : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طعن باصبعه في صدري وقال : يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء .

وآية الصيف التي في النساء ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾^(٢).

وذكر أن آية الصيف هي آخر آية من سورة النساء وهو الأرجح لأنها نزلت في الصيف ، وفي مجمع البيان قال لما خرج رسول الله عليه وآله وسلم إلى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق ﴿ لما خرج رسول الله إلى حجة

(١) سورة النساء ١٧٦.

(٢) سورة المائدة ٣.

(٣) سورة النساء ١٢.

الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم إلى آخرها فسميت آية الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم الآية فعاش بعدها إحدى وثمانين يوما ثم نزلت عليه آيات الربا ثم نزلت بعدها : و اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدها إحدى وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول حين بزغت الشمس وروي أصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة^(١).

انقطاع النسل لا أولاد ولا أباء واجداد أي لا فرع ولا أصل .
وقيد بعضهم الكلالة بالأخ لأن الأخ الشقيق للأب والأم يأتي في آخر السورة .

والرد على ما يستحقه ، ومنهم كلاله الأب ، أما كلاله الأم فلا لا تستحق الرد .

والكلالة القرابة أصلها من الأكليل على الرأس لتكليل النسب إذا إحاط به ، أما الأب والإبن فهما طرفا الحل فاذا مات وليس له ولدا أو ولد فقد مات مع ذهاب طرفيه وتطلق الكلالة على الحوادث والموروث .

ولا ترث كلاله الأب مع كلاله الأب والأم ، وفي الكلالة أقوال :

الأول : وقال اهل البصرة : الكلالة إنما هو الميت .

الثاني : وقال أهل الحجاز وأهل الكوفة : الكلالة الورثة .

الثالث : قال القتيبي : الوالدان وهو بعيد .

الرابع : عن أهل اللغة : الأخوة والأخوات من لأب والأم ، أو من الأب كلاله والمختار هو لثاني والرابع ، وهم يسقطون بالأب وبالأبن

ويسقطون بابن الأبن للأخلاف ، وبالبنت وبنت الأبن وبنت البنت
وبجميع الأحفاد والأسباط وأن نزلوا .

ولم يرد لفظ الكلالة إلا في الآية (١٧٦) من سورة النساء .
وأصل الكلالة الإحاطة ، ومنه الإكليل الذي يحيط بالرأس ومنه الكل
سور الموجبة الكلية الذي يحيط بأفراد العدو .

الكلالة بأصل النسب وهو الولد والوالد .
وقيل أصلها من كل أي أعى .

فكان الكلالة أخذ الميراث من بعد اعياء وكلال .
وقيل أصله من تركه الإنسان وراء ظهره مأخوذ من الأكل وهو الظهر .
وما ورد عن الأئمة عليهم السلام أن الكلالة يراد منها الأخوة
والأخوات ، وهو الردي في صحيحة بكير بن أعين .

قانون رشحات التنزيل على الشعر

الشعر كلام منظوم ، ويتصف بالوزن المنسق والمقفى ، ويتألف من
أبيات ، كل بيت ينقسم إلى قسمين :

الأول : الشطر .

الثاني : العجز .

والشعر صنعة وفن يكتسب بالرواية والتحصيل ، ويدل عليه قوله تعالى
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(١).

وتبين الآية أعلاه التباين بين مرتبة النبوة وقول الشعر ، مع أن العرب
كانوا يخصصون الشاعر بمنزلة وشأن ، ويلجأون إليه في المدح والهجاء وفي

ميدان المعركة وبث روح الحماسة في النفوس ، فيجتهد كثير من الناس على أن يكونوا شعراء ويتمنون نيل هذه الصفة.

أما النبي فإنه منزّه عن قول الشعر كما تدل سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عدم تعلمه الشعر أو السعي إليه ، ولم يكن يقول الشعر قبل وبعد البعثة النبوية .

وأراد المشركون صدّ الناس عنه بنعته شاعراً ، كما ورد في التنزيل ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾^(١).

ولم يترك الله عز وجل قولهم ، إنما رد عليه وأبطله قال سبحانه ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾^(٢). ومن إعجاز القرآن أن الله عز وجل لم يترك كلام المشركين ليذهب في أوانه ومحل نطقه وخاصة وأن أغلبهم دخلوا الإسلام ، إنما وثقه ليبقى بين الناس إلى يوم القيامة ، وفيه مسائل :

الأولى : بيان ضروب الأذى التي لاقاها النبي محمد وتلقاها بالصبر ، والإمتناع عن العنف والأذى ، لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شغل عن العنف ، ويعلم أن الله عز وجل يظهر دينه ، وكفاية التبليغ لتتجز ما وعده الله عز وجل ، قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) .

(١) سورة الأنبياء ٥.

(٢) سورة الحاقة ٤١.

(٣) سورة المائدة ٦٧.

ومن الآيات أن هذه الآية من آخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن لبيان أن التبليغ هو الوسيلة في حال ضعف وقوة المسلمين ، وقلة وكثرة عددهم .

فهذه الآية الكريمة حجة في صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لم يؤمر بالغزو ولن يختر القتال ولا يحتاج إليه ، إنما كان يدعو إلى الله عز وجل بالمعجزة والبرهان ، والإستمرار بذات المنهج السماوي الذي يتجلى بقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (١) .

إن الذي يلجأ إلى الإرهاب في هذا الزمان لم يتلق الأذى ، إنما صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولم يلجأ إلى العنف مع تلقيه الأذى من وجوه :

الأول : الدعوة إلى الله عز وجل .

الثاني : إعلان النبوة .

الثالث : تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن .

الرابع : دخول طائفة من الناس الإسلام ، فكلما يدخل فرد أو جماعة في الإسلام يشتد أذى كفار قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته ، فيقابله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر من غير أن يتخلى عن الدعوة إلى الله بتلاوة القرآن وبيان الإتصال بالوفود القادمة للحج والعمرة .

الخامس : صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أذى المشركين ، إذ كان هذا الصبر يغيظ الكفار ، وبدل أن يتدبروا في حقيقته وكونه من تجليات اعجاز النبوة في شخص وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونهج الرسالة ، وإتحاد سنخية الأنبياء في تلقيهم الأذى من قومهم بالصبر ،

فقد كان حنق وغضب وغیظ المشركين يزداد ، وملك يكتفوا بالقول أن النبي محمداً شاعر ، ليكون من مظاهره جمع الجيوش لمحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، كما في معركة بدر ومعركة أحد ومعركة الخندق .

(عن عبد الله قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلى جزور فيضعه على كتفي محمد إذا سجد - فانبعث أشقاهم، فأخذه فوضعه بين كتفيه، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته، والنبي صلى الله عليه وسلم ما يرفع رأسه، فجاءت فاطمة، وهي جويرية فطرحته عنه وسبّتهم، فلما قضى صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: اللَّهُمَّ عليك بقريش ثلاثاً، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: اللَّهُمَّ عليك بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وذكر السابغ ولم أحفظه. فوالذي بعث محمداً بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر.)^(١)

ومن الإعجاز في قوله تعالى أعلاه ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾^(٢) الدفاع عن الوحي والتنزيل ، اي حتى على فرض أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شاعر فان القرآن ليس من شعر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو شعر غيره إنما هو من سنخية أخرى أسمى وأرقى ،

(١) الذهبي / تاريخ الإسلام ٥٦/١.

(٢) سورة الحاقة ٤١.

لتكون الآية أعلاه تحدياً للمشركين بأنهم لو جمعوا قصائد الشعر العربي كلها فان آيات القرآن متميزة عنها ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعْتُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (١) .

لقد رمى المشركون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بأنه شاعر ، كما في قوله تعالى ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٢) .

فجاء القرآن بنفي صفة الشعر عن آيات القرآن ، ليكون نعتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه شاعر لا موضوعية أو شأن له ، فالملدار على آيات القرآن ، وهي التي كتبت قانوناً وهو أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليس بشاعر .

لقد ترشحت منافع التنزيل على الشعر في أيام النبوة وما بعدها بأن أنقلب الشعر على عادات الجاهلية ، وأصبح وسيلة في الدعوة إلى الله عز وجل ، وفضحاً للذين كفروا ، وهو من فيوضات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الناس والأولى أن يسخر شطر من الشعر في هذه الأيام لمحاصرة ومحاربة الإرهاب .

لتتضمن هذه الآية الدفاع عن كل من :

الأول : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة الإسراء ٨٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٥ .

الثاني : الوحي وخلافة الإنسان في الأرض ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) دفاع الأنبياء والمؤمنين عن الخلافة الخلافة في الأرض وتعاهدهم لسننها ومنه نبذ الإرهاب والنهي عنه قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

الثالث : التنزيل وآيات القرآن .

الرابع : الصحابة الذين صدّقوا ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذبوا عنهم بسيوفهم .
وهل نعت المشركين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه شاعر وأنه مجنون من الإرهاب الجواب نعم ، لأنه إفتراء يراد منه التحريض والفتك وسفك الدماء.

نعم ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعض المقولات التي هي من الإتفاق وليس من الشعر ، مثل : أنا النبي لا كذب .
(أنا ابن عبد المطلب)^(٣).

حين ثبت في موضعه يوم حنين ، لبيان أنه لم يغز لأنه نبي وأن الله عز وجل ينصره ، وكان هذا الثبات مقدمة لنصر المسلمين يومئذ بالوحي ولا يخشون السبب الذي يتعارض مع الوحي ، كما في عبور البحر الأحمر إذ توجه إليه موسى وبنو إسرائيل ليعبروه بالمعجزة .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنعام ٩٠.

(٣) البيهقي / السنن الكبرى ١٤٥/٩.

(عن ابن مسعود أن موسى حين أسرى بيني إسرائيل بلغ فرعون فأمر بشاة فذبحت ، ثم قال : لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط . فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر . فقال له : انفرق .

فقال له البحر : لقد استكثرت يا موسى وهل انفرقت لأحد من ولد آدم؟

ومع موسى رجل على حصان له فقال أين أمرت يا نبي الله بهؤلاء؟
قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه . فاقترح فرسه فسبح به ثم خرج .
فقال : أين أمرت يا نبي الله؟
قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه .
قال : ما كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ .

فأوحى الله إلى موسى : أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه موسى بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر طريقاً ، لكل سبط طريق يتراءون ، فلما خرج أصحاب موسى وتنام أصحاب فرعون التقى البحر عليهم فأغرقهم^(١) .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا استراب الخبر تمثل بيت طرفه ويأتيك بالأخبار من لم تزود^(٢) .

ومع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلو آيات القرآن من دون زيادة أو نقيصة حرف حالما ينزل بها جبرئيل ، ثم يتلوها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة وخارجها فإنه قد لا يقرأ بيت شعر كما هو ، وهو من الإعجاز في نبوته .

(١) الدر المنثور ٣٩١/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٨٩/٦ .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يميل إلى الشعر ، ولكنه كان يحث حسان بن ثابت على هجاء مشركي قريش عند اللقاء .
وسئلت عائشة (هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟

فقالت : كان الشعر أبغض الحديث إليه ،
قالت : ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا بيت أخي بني قيس طرفة:
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
فجعل يقول : من لم تزود بالأخبار^(١).
(عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، قال : قلت : يا رسول الله ، قد أنزل في الشعر ما قد أنزل ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده ، لكأنما ترمونهم نضح النبل)^(٢).

ومن خصائص الشعر في المقام مسائل :
الأولى : الإخبار عن عصمة المسلمين من الإرهاب .
الثانية : منع المشركين من الإستمرار بالإرهاب .
الثالثة : دعوة الناس لإجتناّب نصرّة المشركين في تعديهم وتماديهم في الظلم والإرهاب .

الرابعة : تفقه المسلمين في الدين ، والثبات في مقامات الإيمان .
الخامسة : نقض أشعار المشركين ، وإبطال أثرها ودفع ضررها .

(١) الكشف والبيان-الثعلبي ٢٩٤/١١.

(٢) صحيح ابن حبان ١٠٣/٢٤.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن : عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اهجوا قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل أي أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفع شرور قريش ومنع استمرار القتال بقصائد شعرية تضمن هجاء المشركين من قريش ، قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١).

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابن رواحة فقال : اجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت .

فلما دخل حسان قال : قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم دلح لسانه فجعل يحركه قال : والذي بعثك بالحق لأفرينهم فري الأديم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي فأثاه حسان ثم رجع .

فقال : يا رسول الله قد خلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لحسان :

إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : هجاهم حسان فشفي واشتفى قال حسان :

(هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء)

(هجوت محمدا برا حنيفا ... رسول الله شيمته الوفاء)

(فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء)
 (ثكلت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع من كتفي كداء)
 (ينازعني الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء)
 (تظل جياندا متمطرات ... تلطمهن بالخمير النساء)
 (فإن أعرضتم عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء)
 (وإلا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء)
 (وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفاء)
 (وقال الله قد يسرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء)
 (تلاقي من معد كل يوم ... سبايا أو قتالا أو هجاء)
 (فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء)
 (وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء)^(١)
 ومن خصائص المعجزة أنها تساعد في التغيير النوعي في المجتمعات بما
 يبعث على الإصلاح والإصلاح ، ولأن الشعر له موضوعية في حياة الناس ،
 وكانت العرب تعتني به ، وتجعله نبأ نزل القرآن لتهديه ، ليكون وسيلة
 هداية ورشاد ، وليس سبباً للقتل والقتال ، فلم يعد الشعراء يتفاخرون
 بالظلم والسطوة ، إنما يكون التفاخر بالإيمان والتقوى ، وهو من رشحات
 قوله تعالى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾^(٢).

الشاعر المتنبّي

قيل أن الشاعر المتنبّي ادعى النبوة ، ولا أصل له (وهو أبو الطيب
 اسمه أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي
 المتنبّي الشاعر المشهور. وإنما قيل له المتنبّي لأنه ادعى النبوة في بادية

(١) المعجم الكبير ٢٨/٤.

(٢) المعجم الكبير ٢٨/٤.

السماء ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيدي فأسره وتفرق أصحابه ، وحبسه طويلاً ، ثم استتابه وأطلقه .

وقيل كان قد قرأ على البوادي كلاً ما ذكر أنه قرآن أنزل عليه فمناه .
والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قانع بك زيف من الحذر في الدين وضل عن السبيل .
وكان إذا جلس في مجلس سيف الدولة أخبروه عن هذا الكلام فينكره ويحججه^(١) ، وإنكاره شاهد على عدم قوله ، وليس من دليل آخر ينقض هذا الإنكار .

وولد المنتبي في الكوفة (٣٠٣-٣٥٤) هجرية (٩١٥-٩٦٥) م ، والأصل أنه لم يدع النبوة ، فلو دار الأمر بين إدعاء مسلم النبوة ثم تاب عنه ، وبين عدم إدعائها وانتفاء البيئة عليه ، فالأصل العدم .
أما شعره فقد كان كثير المدح وكثير الهجاء ، للأمراء وفي آن واحد ، ولعله من أسباب قتله فقد ذكر أنه هجا ضبة بن يزيد ، وأم ضبة اخت فاتك بن أبي جهل الأسدي فأضمر له الشر .

وعندما بلغه أن المنتبي قادم من بلاد فارس اتبع أثره حتى لقيه في الطريق فقتله بالقرب من مدينة النعمانية قرب واسط من العراق ، في موضع يسمى الصافية .

وذكر أن قتله بسبب بيت من الشعر قاله ، إذ لاقاه جماعة من الأعراب وأراد الفرار فذكره غلامه : وقال له كيف تفر وأنت القائل :

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٩/١ .

الخيل والليل والبيداء^(١) تعرفني ... والضرب والطعن والقرطاس والقلم^(٢).

فعاد المتنبّي إلى القتال هو وابنه محسد ونفس غلامه واسمه مفلح .
وذكر سبب آخر لقتله أنه صاحب عضد الدولة في شيراز وصاحبه إلى
الأهواز ومدحه بقصائد عديدة ، فاجزل له العطاء ، ووصله بثلاثة آلاف
دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب فاخرة (ثم دس عليه من سألته :
أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟

فقال : هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً
، فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بني ضبة فقتلوه
بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم .

ولكن كلمة من المتنبّي بعد مدح وثناء متعدد لعضد الدولة وصحبه
معه لا تستلزم الأمر بقتله غيلة وإرسال جماعة ليقتلوه في طريق يعبد عن
دار عضد الدولة مسافة بعيدة ، وهزم عضد الدولة الترك في واسط
ومعروف عن عضد الدولة رعايته للعلماء وإحسانه إلى الفقراء وله في
اصفهان وحكم شيراز وما حولها .

ومع هذا فإن الخبر يتضمن التحذير والإنذار لحاشية الرئيس والملك من
التفوه عليه بما يغضبه ويؤذيه .

لقد جاء القرآن بالحث على الكلام الطيب ، قال تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا ۖ ﴾^(٣).

(١) البداء. المفازة والصحراء لأنها مبيدة ومهلكة قد لا يقطعها الإنسان.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣٠٥/٢.

(٣) سورة البقرة ٨٣.

فقال له غلامه أين قولك: من البسيط:
 الخيلُ واللَّيلُ والبيداءُ تعرفُنِي... وَالطَّعنُ والضَّربُ والقرطاسُ والقَلَمُ
 فقال: قتلني قتلك الله ، ثم قاتل فقتل.
 ويقال: إن الخفراء جاءوه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه ،
 فمنعه الشح والكبر، فتقدموه فوق له ما وقع.
 وكان قتله يوم الأربعاء لست بقين، وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين
 بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة.
 ومولده كان في سنة ثلاث بالكوفة في محلة تسمى كندة ، وليس هو من
 كندة التي هي قبيلة معروفة ، بل هو جعفي.
 وقيل: إن أباه كان سقاء بالكوفة، وكان يلقب بعبدان ثم انتقل إلى
 الشام بولده، وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال من الخفيف :
 أَي فَضْلٍ لِّشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْ ... لَ مِنْ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا
 عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَا ... ءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحْيَا^(١).
 وعضد الدولة أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة ، وأول من
 لقب في الإسلام بلقب شاهنشاه ، واسمه أبو شجاع فنا خسروا بن بويه
 ت ٣٧٢.

(وذكر مظفر بن علي الكاتب.

قال : اجتمعت برجل من بني ضبة، يكنى أبا رشيد ، فذكر أنه حضر
 قتل المتنبي، وكان صبياً ، حين راهق حينئذ.
 وكان المتنبي قد وفد على عضد الدولة ، وهو بشيراز، ثم صحبه إلى
 الأهواز، فأكرمه ووصله بثلاثة آلاف دينار، وثلاث كسى، في كل كسوة

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١٠/١.

سبع قطع، وثلاثة أفراس، بسروج محلاة، ثم دس عليه من سألته : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ابن حمدان؟ فقال المتنبّي : هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف، وكان سيف الدولة يعطي طبعاً.

فاغتاز عضد الدولة، لما نقل إليه هذا، وأذن لقوم من بني ضبة، في قتله ، إذا انصرف.

قال : فمضيت مع أبي ، وكنا في ستين راكباً، فكنا في واد ، فمر في الليل ، ولم نعلم به ، فلما أصبحنا، تبعنا أثره، فلحقناه ، وقد نزل تحت شجرة كمثرى ، وعندها عين، وبين يديه سفرة طعام.

فلما رأنا قام ، ونادى: هلموا وجوه العرب، فلم يجبه أحد، فأحس بالداهية، فركب ومعه ولده، وخمسة عشر غلاماً له، وجمعوا الرحال ، والجمال ، والبغال ، فلو ثبت مع الرجالة لم نقدر عليه ، ولكنه برز إلينا يطاردنا.

قال : فقتل ولده ، وأحد غلمانه ، وانهزم يسيراً.

فقال له غلام له : أين قولك؟ :

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والحرب والضرب والقرطاس والقلم فقال له: قتلتي، قتلك الله، والله، لا انهزمت اليوم ، ثم رجع كاراً علينا ، فطعن زعيمنا في عنقه، فقتله، واختلفت عليه الرماح ، فقتل. فرجعنا إلى الغنائم ، وكنت جائعاً، فلم يكن لي هم إلا السفرة ، فأخذت أكل منها.

فجاء أبي، فضربني بالسوط.

وقال : الناس في الغنائم ، وأنت مع بطنك؟

اكفأ ما في الصحف، وأعطيتها، فكفأت ما فيها، ودفعتها إليه، وكانت فضة، ورميت الفراخ والدجاج في حجري^(١).

لقد نال المتنبى بشعره وفطنته منزلة رفيعة عند الملوك والأمراء، وانفرد بصفة وهي أينما يحل من الأمراء يدنون مجلسه، ويكثرون له بالعطاء، ومع هذا فإنه يتناول، ولا يلتفت إلى المجاز المشهور: الملك عقيم لأنه يقطع الأرحام بالعقوق والقتل ومثله (ولا يجتمع فحلان على شول، والشول جماعة النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، فلا بد من وقوع التنازع والاختلاف وحدث الهرج والمرج عند ذلك)^(٢).

فنال من الشعراء والأدباء الآخرين الحسد الشديد ونعتوه بأنه تنبأ.

قانون التنزه عن الظلم

إذ يتجلى في القرآن وجوب الإمتناع عن الظلم وتأكيد مسألة وهي أن الظلم قبيح ذاتاً وأثراً، مع دعوة المسلمين والناس جميعاً للإنصاف والعدل وإشاعة مفاهيم الرحمة والمودة، وفي قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا تَسْ بَظْلًا لِلْعَبِيدِ﴾^(٣) مسائل:

المسألة الأولى: إبتداء الآية باسم الإشارة (ذلك) لإفادة البعيد، وأختتمت بنفي الظلم عن الله عز وجل، وأنه سبحانه لا يظلم الناس مجتمعين أو متفرقين، فمن الإعجاز في الآية أنها لم تقل، (وان الله ليس بظلام للعباد).

(١) نشوار المحاضرة ٢٣٩/١.

(٢) تفسير النيسابوري ٣٣٨/٥.

(٣) سورة آل عمران ١٨٢.

ومع إتحاد لفظ الفرد للعبيد والعباد وهو (العبد) فإن النسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق ، فالعباد من العبيد وليس العكس ، لذا جاءت الآية بلفظ العبيد ، كما وردت آية أخرى بقوله تعالى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(١) ويصدق لفظ العبيد لله عز وجل والعبيد للإنسان ، في ملكية العبيد والإماء .

أما لفظ العباد فهو خاص بعبادة وإتقياد الناس لأوامر الله عز وجل وفيه ترغيب للناس بالعبادة ومنع من الإرهاب .

وورد لفظ (للعبيد) في القرآن خمس مرات وهي كلها في ذات المعنى من تنزيه الله عز وجل عن ظلم الناس في أنفسهم وأرزاقهم وعامة أمورهم .

وهل يختص الأمر بالدنيا الجواب لا ، لأصالة الإطلاق ولورود آيات بذات المعنى بخصوص الآخرة ، كما يأتي أدناه في سورة (ق) ، إذ ورد لفظ (للعبيد) في الآيات التالية :

الأولى : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُطَٰلِمُ الْعَبِيدِ﴾^(٢).

الثانية : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُطَٰلِمُ الْعَبِيدِ﴾^(٣).

الثالثة : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ وَأَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُطَٰلِمُ الْعَبِيدِ﴾^(٤).

(١) سورة غافر ٣١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٢.

(٣) سورة الأنفال ٥١.

(٤) سورة الحج ١٠.

الرابعة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ﴾^(١).

الخامسة : ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٢).

ولم يرد لفظ (العبيد) في القرآن بينما ورد لفظ (عباد) (والعباد) و(عبادي) و(عباده) قال تعالى ﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾^(٣).

والمختار أن النسبة بين العبيد والعباد هي العموم والخصوص المطلق ، وأن ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٤) ، أعم من أن يختص بالقائلين بأن الله فقير ، قال قال تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُفُّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٥).

إذ احتجوا على دفع الزكاة وأرادوا الإمتناع عن الإنفاق على الفقراء فتوقفوا واختاروا المغالطة لقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٦).

(١) سورة فصلت ٤٦.

(٢) سورة ق ٢٩.

(٣) سورة مريم ٦١.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

(٥) سورة آل عمران ١٨١.

(٦) سورة الحديد ١١.

وأكثر ما ورد لفظ عباد في إكرام الأنبياء والمؤمنين ليكونوا أسوة يقتدى بهم في طاعة الله ، والإقرار بالعبودية له سبحانه وإقية من الإرهاب ، ومن الإضرار بالغير ، كما أن حب العبد لله تترشح عنه قيود تحبس الجوارح عن إيذاء الآخرين ، قال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(١).

(عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله .
إنهم يجعلون له ولداً ، ويشركون به وهو يرزقهم ويعافيههم)^(٢).
(عن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن غالب بن عجرد.
قال : حدثني رجل من أهل الشام.
قال : بلغني أن الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها ثمرة ، حتى تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم { اتخذ الله ولداً }^(٣).
فلما تكلموا بها اقتصرت الأرض وشاك الشجر .
وأخرج أبو الشيخ عن قتادة في قوله { وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه }^(٤).

قال : إذا قالوا عليه البهتان سبح نفسه)^(٥).

(١) سورة الأنبياء ٢٦.

(٢) الدر المنثور ١/٢٠٩.

(٣) سورة البقرة ١١٦.

(٤) سورة البقرة ١١٦.

(٥) الدر المنثور ١/٢٠٩.

وهناك قول لجمع من العلماء ، وهو عدم الفرق بين العباد والعبيد ، كما أن ليس للشيطان سلطان على العباد فليس من سلطان على الناس جميعاً ، ولكن الفرق بينهما أعم من موضوع إنعدام سلطان الشيطان على الناس ، ولا ينال الذي يتبعه إلا الخسران المبين في النشأتين (عن عقبة بن عامر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا جمع الله الأولين والآخرين، فقضى بينهم، ففرغ من القضاء، قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا، فمن يشفع لنا؟ فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم - وذكر نوحا، وإبراهيم، وموسى، وعيسى - فيقول عيسى: أدلكم على النبي الأُمِّي. فيأتوني، فيأذن الله لي أن أقوم إليه فيثور ﴿من﴾ مجلسي من أطيب ريح شمها أحد قط، حتى آتي ربي فيشفعني، ويجعل لي نورا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون هذا: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، فمن يشفع لنا؟ ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا، فيأتون إبليس فيقولون: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا. فيقوم فيثور من مجلسه من أتن ريح شمها أحد قط، ثم يعظم نحيبهم } وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ { (١).

وقال تعالى ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٢) وهل معنى الآية أن سواء عبدوا الله عز وجل وعبدوا غيره فإن الله عز وجل لا يظلمهم والجواب لا ، إنما المراد أن الناس جميعاً عبيد لله عز وجل وهذه التسمية إكرام وتشريف لهم .
(عن يحيى بن سعيد .

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٩٠.

(٢) سورة ق ٢٩.

قال : كنا عند علي بن الحسين فجاء قوم من الكوفيين .
فقال علي : يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، سمعت أبي يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها الناس ، لا ترفعوني
فوق قدرتي ، فإن الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً فذكرته لسعيد بن
المسيب .

فقال : وبعد ما اتخذني نبياً^(١) ونسبة العباد إلى عبادة الله عز وجل ثناء
من الله عز وجل عليهم ، وبيان للتباين الرتبي بين العباد والعبيد .
فليس في القرآن كلمة (عبيد الله) أو (عبيد الرحمن) مع ان الناس
جميعاً عبيد له سبحانه طوعاً وقهراً ، بينما ورد المدح لأهل الإيمان بقوله
تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢) .

المسألة الثانية : وينفي قوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣) (٤) ،
الظلم عن الله عز وجل للناس وفي سلطانه ، وتطالهم قدرته ، وتنزل
عليهم مصاديق مشيئته ، وتقهرهم إرادته ، ولا يقدرُونَ مخالفة ما يريد قال
تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) والله سبحانه لا
يرضى لعباده الظلم .

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١٤٢/١١ .

(٢) سورة الفرقان ٦٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٤) أنظر لجزء الثالث والتسعين بعد المائة من هذا السفر الذي جاء خاصاً بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٥) سورة التکویر ٩ .

والنسبة بين الظلم والإرهاب بمفهومه في هذا الزمان هي العموم والخصوص المطلق ، إذ أن الإرهاب وجه من وجوه الظلم ، فهو ظلم للذات والغير ، ويترشح عنه ظلم لكثيرين في ذات موضع الإرهاب وغيره من المدن والبلدان .

ومع هذا فالله سبحانه يتنزه عن ظلمهم ، وتقدير خاتمة الآية أعلاه ومتعلقها على وجوه :

الأول : وأن الله عز وجل ليس بظلام للناس جميعاً في أجيالهم المتعاقبة .

الثاني : وأن الله عز وجل ليس بظلام لأي إنسان وإن كان جاحداً كافراً وغرته الحياة الدنيا .

الثالث : وأن الله عز وجل ليس بظلام للمؤمن والكافر وعن (أبي ذر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله تعالى يقول: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه")^(١).

الرابع : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد في الدنيا والآخرة .

الخامس : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد رجالاً ونساءً .

السادس : وأن الله عز وجل هو الحكم العدل ، واللطيف الذي يتجاوز عن الذنوب ، وليس بظلام للعبيد على ظلمهم وتعديهم .

السابع : إحتجاج الله عز وجل يوم القيامة على الذين كفروا بقانون ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٢).

(١) تفسير ابن كثير ٧٧/٤.

(٢) سورة آل عمران ١٨٢.

الثامن : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد وإن قالوا إن الله عز وجل فقير فقد أمهلهم سبحانه ولم يؤاخذهم بذنبهم ، وأرجأ كتابة قولهم ومعصيتهم رجاء توبتهم .

التاسع : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد ، لأن الله عز وجل أبى إلا أن يرحم الناس جميعاً ، وفي التنزيل ﴿قُلْ لَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِّلَّهِ كُتُبٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

العاشر : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد مجتمعين ومتفرقين .
وتقدير الآية بصيغة المفرد ، وأن الله عز وجل ليس بظلام لأي عبد .
الحادي عشر : وأن الله عز وجل ليس بظلام لعبيده ، إذ خلقهم عبده ونفخ فيهم من روحه ، وجاء هذا النفخ في القرآن بخصوص آدم لتبقى مادته عند الأجيال المتعاقبة عنواناً للألفة والطف والتراحم بينهم (عن أبي أمامة الباهلي : أن رجلاً قال : يا رسول الله أنبي كان آدم؟

قال : نعم . مكلم . قال : كم بينه وبين نوح؟

قال : عشرة قرون قال : كم بين نوح وبين ابراهيم؟

قال : عشرة قرون قال : يا رسول الله كم الأنبياء؟

قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . قال : يا رسول الله كم كانت

الرسل من ذلك؟

قال : ثلاثمائة وخمسة عشر . جمأً غفيراً^(٢).

(١) سورة الأنعام ١٢.

(٢) الدر المنثور ١/٧٧.

الثاني عشر : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد ، ولكنهم يتظالمون بينهم ، ومن معاني قوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(١) أنه سبحانه يصرف كثيراً من مصاديق الظلم بين العباد ، فيحجب الملك عن ظلم الرعية ، والوزير عن التحريض لقتال مملكة أخرى ، ويجعل زعيماً لقبيلة ونحوه عاجزاً عن توفير أسباب القتال والتعدي والظلم على الغير ، وقد أخذ الله عز وجل قريشاً بالقحط والسنة ليمتنعوا طوعاً وقهراً عن مواصلة ظلم التنزيل والنبوة والمسلمين ، والإغارة والهجوم على المدينة توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء على قريش ، فقال (اللهم سبع سنين كسني يوسف).

فأصابهم من الجهد والجوع ما أكلوا الجيف والعظام والميتة والجلود ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع ،
فأتاه أبو سفيان بن حرب ،
فقال : يا محمد إنك حيث تأمر بالطاعة وصلة الرحم ،
وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فإنهم لك مطيعون .
فقال الله تعالى : فقالوا :

{رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} ^(٢) فدعا فكشف عنهم ،
فقال الله تعالى : {إِنَّا كَاشَفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَاَدُونَ} ^(٣) إلى
{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ} ^(٤) فعادوا فانتقم الله منهم يوم
بدر ،

(١) سورة آل عمران ١٨٢.

(٢) سورة الدخان ١٢.

(٣) سورة الدخان ١٥.

فهذه خمس قد مضين : الدخان،

واللزام،

والبطشة،

والقمر،

والروم^(١).

الثالث عشر : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد في خلقهم ونشأتهم.

الرابع عشر : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد ، إنما أكرمهم قال

تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢).

الخامس عشر : وأن الله عز وجل بظلام للعبيد في أرزاقهم ومعايشهم

، وقد يحارب أو يحسد بعضهم غيره في رزقه فيأبى الله عز وجل حجب الرزق عنه ، وفي دعوة لشكر الله عز وجل على اتصال النعم ، ومن مصاديق الشكر في المقام الرأفة بالناس .

السادس عشر : وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد إنما يصرف عنهم

البلاء .

السابع عشر : وما ربك بظلام للعبيد إذ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣).

الثامن عشر : وما ربك بظلام للعبيد إنما أنزل الكتب السماوية وبعث

الأنبياء والرسل .

(١) سورة الدخان ١٦ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١١٧/١٢ .

(٣) سورة الاسراء ٧٠ .

(٤) سورة العلق ٥ .

التاسع عشر : وما ربك بظلام للعبيد ، إنما هداهم للشكر له على النعم ، وإقامة الفرائض والزلفى إليه .

العشرون : وما ربك بظلام للعبيد ، إذ يتعاطفون برحمته ، وفي يوم القيامة ينشر الله عز وجل رحمته حتى يطمع إبليس بها ، (عن جندب بن عبد الله البجلي

قال : جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ، ثم صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم نادى : اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حظرت رحمة واسعة ، أن الله خلق مائة رحمة ، فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنّها وإنسها وبهائمها ، وعنده تسعة وتسعون ^(١) .

الحادي والعشرون : وما ربك بظلام للعبيد لإقامة الحجة عليهم يوم القيامة .

الثاني والعشرون : وما ربك بظلام للعبيد رافة بهم ، قال تعالى ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ ^(٢) .

الثالث والعشرون : وما ربك بظلام للعبيد برهم وفاجرهم ، ذكرهم وإنثاهم ، قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٣) .

(١) الدر المنثور ٤/٣٣٧ .

(٢) سورة النساء ٢٨ .

(٣) سورة النحل ٩٧ .

الرابع والعشرون : إن الله عز وجل ينجز وعده ، ولا يخلف قوله ، قال تعالى ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(١).

المسألة الثالثة : لقد أراد الله عز وجل أن ييقى قوله تعالى ﴿ وَأَنَّى اللَّهُ لِنَاسٍ ظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(٢) قانوناً مصاحباً للناس في كل من :

الأول : عالم الخلق والنشأة .

الثاني : أيام الحياة الدنيا ، فلا يظلم الله عز وجل الناس في أيام حياتهم ولا قبلها ولا بعدها .

وقد يولد إنسان وبه عاهة كالعمى أو الصمم ، وليس فيه ظلم من الله عز وجل ، إنما هو دفع للظلم والضرر الأشد منه .

وقد يكون هناك رجل أو امرأة عقيماً ، وهو من مشيئة الله عز وجل التي تلازمها الحكمة ، لذا قال تعالى ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾^(٣).

وهل يختص هذا القانون بموضوع الآية أعلاه ، الجواب لا ، لذا تكرر في مواضع من القرآن .

وهذا القانون إنذار للإنسان للتدبر قبل أن يقوم بالفعل وبعده ، قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(٤).

(١) سورة ق ٢٩.

(٢) سورة آل عمران ١٨٢.

(٣) سورة الشورى ٥٠.

(٤) سورة فصلت ٤٦.

ليكون من معانيه دعوة الناس إلى التوبة والإنابة ، لتقول الآية للناس :
توبوا إلى الله توبةً نصوحاً قبل أن يقال لكم يوم القيامة ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(١).

وهو من إعجاز القرآن الغيري بأن تبعث آيات الإنذار على المبادرة إلى
التوبة والإنابة ، ومن مصاديق التنزه عن الإرهاب وإجتنب إيذاء الناس
عامة والأبرياء خاصة .

ليرى المؤمن نفسه مع يوم القيامة وكيف أنجاه الله عز وجل من
عمومات الخطاب والإحتجاج الوارد في الآية أعلاه ، (وروى الشعبي أن
حارثة بن يزيد خرج محارباً في عهد علي ابن أبي طالب (عليه السلام)
فأخاف السبل وسفك الدماء وأخذ الأموال ثم جاء تائباً من قبل أن يقدر
عليه فأتى الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فطلب إليه أن
يستأمن له فأتى ابن جعفر فأبى عليه ، فأتى سعيد بن قيس الهمداني فقبله
وضمه إليه فلما صلى علي (عليه السلام) الغداة أتاه سعيد بن قيس . فقال
: يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله؟

قال : (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو
ينفوا من الأرض)^(٢) .

قال : ما تقول فيمن تاب قبل أن تقدر عليه فقال أقول : كما قال الله
عز وجل {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ}^(٣) .
فقال سعيد : وإن كان حارثة بن بدر.

(١) سورة آل عمران ١٨٢.

(٢) سورة المائدة ٣٣.

(٣) سورة المائدة ٣٤.

قال : نعم فجاء إليه فبايعه وآمنه وكتب له أماناً منشوراً.

فقال حارثة :

ألا أبلغا همدان إما لقيته على النأي لا يسلم عدو يعيها
لعمر أبيها إن همدان تتقي الا له ويقضي بالكتاب خطيها^(١).

المسألة الرابعة : ومن الإعجاز في نظم قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ﴾

^(٢) بالآيات المجاورة الإنذار من التعدي على مقام الربوبية والوعيد عليه ،
إذ توثق الآية السابقة لها ، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
أَغْنِيَاءُ سَنَكُوبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣) لبيان أن الله
سمع قول الجاحدين فأخبر به النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم
وأصحابه والمسلمين والمسلمات والناس جميعاً إلى يوم القيامة ، وفي هذا
الإخبار السماوي استئصال لمقدمات الإرهاب ، ومنع من الشح والعناد
والتكبر والخيلاء .

إذ جاءت إخباراً وحجة على الذين ذكرتهم الآية قبل السابقة ممن قالوا
إن الله فقير ونحن أغنياء لأن الله عز وجل سألهم في القرآن أن ينفقوا من
أموالهم في سبيله ، وعدَّ الله عز وجل هذا الإنفاق وإعانة الفقراء قرضاً له
سبحانه بقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٤).

(١) الكشف والبيان-للثعلبي ٧٨/٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٢.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

(٤) سورة الحديد ١١.

وتجلى هذا المعنى الجامع بخاتمة الآية قبل السابقة بقوله تعالى ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١) إذ يأتي خطاب التوبيخ الوارد في الآية السابقة لعامة أهل النار لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، فكل من يدخل النار يقول له الله عز وجل والملائكة ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢).

كما يتلقى وغيره من أهل النار الخطاب العام في الآية السابقة لزجر الناس عن فعل المعاصي وإرتكاب الآثام ، وعن الظلم وسفك الدماء ، وقد قامت الملائكة بالتحذير من الإرهاب والقتل من قبل أن يخلق آدم ويهبط إلى الأرض ، وفي التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ومن معاني الواو في قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ المعية كأن اشتكت الملائكة إلى الله عز وجل إجتماع الضدين في آن واحد وهما :

الأول : فساد الإنسان وسفكه الدماء .

الثاني : إنقطاع الملائكة للتسبيح والتهليل وتطهير الذات .

فأجابهم الله بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) ليرى الملائكة جهاد الأنبياء في الدعوة إلى عبادة الله .

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة الحج ١٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

وإجتهاد المؤمنين في كل زمان بالعبادة وتقييدهم بسنن التقوى ، ومنها التنزه عن الإرهاب والبطش بالغير .

لقد جعل له الحياة في الدنيا دار إختبار وامتحان ، تكون فيها قدرة للإنسان على الإختيار بين الحق والباطل ، وبين الهداية والضلالة ، ولكن كفتي لإختيار بين متساويتين ، إنما يكون الرجمان للحق والهدى بالبينات والمعجزات ورسالة الأنبياء (عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير)^(١).

وهو من مصاديق الإحتجاج في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢) أي بما قدمت أيديكم مع هدايتكم وإرشادكم إلى سبيل النجاة ، لذا دأب ويدأب المسلمون والمسلمات على قول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣).

وفي عدة مرات في الصلاة اليومية ، وهل ينجي هذا الدعاء في الدنيا صاحبه في الآخرة من قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٤).

الجواب نعم لما فيه من سبل الهداية والتوبة والرشاد ، كما أنه شاهد على إتيان المسلم له في أثناء الصلاة .

وسأل رجل ابن مسعود (ما الصراط المستقيم ؟

قال : تركنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أدناه ، وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مَرَّبِهِم .

(١) الدر المنثور ٢٧١/١٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٢ .

(٣) سورة الفاتحة ٦ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٢ .

فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة .

ثم قرأ ابن مسعود: (وأن هذا صراطي مستقيماً) ^(١).
قال أبو جعفر : واختلفت القراء في قراءة قوله : (وأن هذا صراطي مستقيماً) ^(٢).

فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (وأن) بفتح "الألف من أن ، وتشديد النون ، رداً على قوله : (أن لا تشرك به شيئاً) ^(٣).

بمعنى : "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً"، (وأن هذا صراطي مستقيماً) ^(٤).

المسألة الخامسة : ابتدأت الآية بالاسم الموصول (الذين) لإفادة تعلق موضوعها بالآية السابقة ، والتي اختتمت بقوله تعالى ﴿وَقُولُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ^(٥) بينما أختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي بَظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ^(٦).

والنسبة بين العبيد في الآية أعلاه وبين الاسم الموصول (الذين) المقصود في آية البحث عموم وخصوص مطلق ، فالذين

(١) سورة الأنعام ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام ١٥٣.

(٣) سورة الحج ٢٦.

(٤) تفسير الطبري ٢٣٠/١٢.

(٥) سورة آل عمران ١٨١.

(٦) سورة آل عمران ١٨٢.

قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(١) إنما هم من العبيد وعامة الناس ، وهم ممن يحتاج الله عز وجل عليهم في آية البحث والسياق ، ان الله هو الغني وغناه سبحانه مطلق ، وهو غني عن إيذاء الناس باسم الدين والعقيدة ، أو العداوة والإختلاف في الرأي والمال والسيادة ونحوها ، إذ أن هذا الإيذاء والظلم حرام .

وجاءت الآية التالية بصيغة الماضي

وهل يحتمل أن الاسم الموصول جاء مستقلاً في موضوع الجواب نعم ، ليكون معنى الآية متعدداً من جهات :

الأول : إتصال موضوع آية البحث بالآية السابقة ، والجامع هو الإنذار عن المعصية .

الثاني : استقلال آية البحث بموضوعها ، وهو مستأنف بلحاظ بيان حال طائفة من الناس إشتطت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بقربان ثم تنزل عليه نار من السماء فتأكله كشرط لتصديقهم بنبوته .

الثالث : بيان الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة الشروط التي جعلها الناس للتصديق بنبوته مع أنه جاء بالقرآن حجة وبرهاناً على صدق بنوته .

قانون السور المكية إنذار من الإرهاب

تتصف السور المكية بأنها نزلت وسط مجتمع أغلبه مشركون من عبدة الأوثان ، وكانت الآية القرآنية تنزل وتتلّى وسط الأصنام المنصوبة في مكة ، فتكشف زيفها ، وتبعث الرعب في قلوب الذين ينقطعون إليها ، ليكون من

معاني قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾^(١)
أي سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بنزول كل آية من القرآن .

ونزول القرآن والأصنام منصوبة في مكة من التضاد ، وصار من السهل على الناس الظن المعتبر بأن هذا التنزيل سيزيح عادات تقديس الأصنام التي دأب عليها المجتمع لمئات السنين .

وكانت الآية القرآنية تهز هذه الأصنام وعبادتها من أصولها ، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن ، وفي بلاغة القرآن زجر وصرف للناس عن إيذاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذين يتلون آيات التنزيل .

لقد نزل القرآن بلغة العرب ولسان أهل الجزيرة ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ولكن لغة القرآن ترتقي على الفصاحة والبلاغة التي كان العرب يتصفون بها ، وعن أنظمة وقواعد الشعر العربي ، وكانت بلاغة القرآن نوع طريق لتثبيت معالم الدين وأحكام الشريعة ، إذ جاءت السور المكية باقامة الصلاة ، وهي عمود الدين ، فكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقف في المسجد الحرام خاشعاً بين يدي الله عز وجل خمس مرات في الصلاة اليومية وتقف خلفه خديجة أم المؤمنين والإمام علي عليه السلام.

ليبان أنه عبد الله عز وجل وأن المسلمين يساوونه في مرتبة العبودية وأنه لا يطلب الغلو بشخصه ، ولا يبغي الدنيا وزيتها ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنَّمَا

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة يوسف ٢.

أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾.

فلم يكتف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى نبذ الأصنام ، بل جاء بالصلاة وقيامه بنفسه بأدائها ، وهو خير سبيل لإزاحة مفاهيم الشرك ، وأثر الأصنام .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢) أن الصلاة سيف قاطع للإرهاب ، وتهشيم لإركانه ، من وجوه:
الأول : تبعث الصلاة التذلل في النفس ، إذ أنها خضوع وخشوع مطلق ، ومن الآيات أن هذا التذلل عز وهيبة ، وزاجر عن التكبر ومانع من الإرهاب .

وكل فعل من أفعال الصلاة مصداق للتذلل ونبذ للعنف ، فمثلاً الركوع الذي هو ركن من أركان الصلاة ففيه إنحناء الظهر إنحناء تاماً طاعة لله عز وجل ، بحيث لو ألقيت ماءً على الظهر لبقى في مكانه مع التسليم بعظيم قدرة وسلطان الله عز وجل .

(وفي الحديث لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم)^(٣) ، قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم ، فلما نزل (سبح اسم ربك

(١) سورة فصلت ٦.

(٢) سورة البقرة ٢٥٤.

(٣) سورة الواقعة ٧٤.

الأعلى^(١)، قال اجعلوها في سُجودِكم . وكأنوا يقولونَ في الركوع اللهم لك ركعتُ، وفي السجودِ اللهم لك سجدتُ^(٢).

ويستحب في الركوع التذلل والخضوع لله عز وجل وعن الإمام الباقر عليه السلام كان يقول (اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت، ولك أسلمت وعليك توكلت وأنت ربي، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعصبي وعظامي وما أقلته قدماي لله رب العالمين)^(٣).

وقد وردت الأحكام بالتأكيد على الإتيان بالركوع لجزئيته من الصلاة، واجماع المسلمين على بطلان الصلاة عند ترك الركوع عمداً .
أما إذا تركه سهواً، ففيه وجوه :

الأول : ترك الركوع ملزم لإستئناف الصلاة من جديد .

الثاني : إذا تذكر الركوع وهو في هيئة السجود فإنه يقوم من سجوده من غير تكبير ويعتدل قائماً ثم يركع لأن الركوع يأتي عن قيام وانتصاب .

الثالث : إذا ذكر الركوع عند القيام إلى الركعة الثانية يركع في الحال .

الرابع : أما إذا ذكر وهو في القراءة في الركعة التالية فتلغى تلك الركعة المنسي ركنها .

وقد ورد في رسالتنا (الحجة) أن ترك الركوع سهواً أو عمداً مبطل للصلاة ويلزم إعادتها.

ويشترط في الصلاة الطمأنينة وهي حصن وواقية من استحواذ النفس الغضبية على الإنسان .

(١) سورة الأعلى ١.

(٢) تفسير أبي السعود ٤٩٩/٦.

(٣) البحار ١١٠/٨٢.

و(عن رفاعه بن رافع قال : كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه رجل فدخل المسجد فصلى فلما قضى الصلاة جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ارجع فصل فإنك لم تصل وجعل الرجل يصلي وجعلنا نرمق صلاته لا ندري ما يعيب منها فلما جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى القوم فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وعليك، ارجع فصل فإنك لم تصل .

قال همام : فلا ندري أمره بذلك مرتين أو ثلاثا فقال له الرجل : ما ألوت فلا أدري ما عبت علي من صلاتي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين

ثم يكبر الله تعالى ويشني عليه ثم يقرأ أم القرآن وما أذن له فيه وتيسر ثم يكبر فيركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله ويسترخي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قائما حتى يقيم صلبه ويأخذ كل عظم مأخذه ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه -

قال همام : وربما قال : جبهته - من الأرض حتى تطمئن مفاصله ويسترخي ثم يكبر فيستوي قاعدا على مقعده ويقيم صلبه - فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ ثم قال : لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك^(١).

وتضمنت الآيات المكية التصعيد الخطابي بلغة الإنذار، وفيه ودعوة للإجتهاد في محاربة الضلالة والجحود.

قال تعالى ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾^(١) وفيه دعوة لإقامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والمسلمات الصلاة بين ظهрани كفار قريش ، وعدم الخشية منهم .

وورد تقديم المفعول به في الآية أعلاه لبيان موضوعية الإجهاد والثبات على التوحيد ، والبشارة بالأمن والسلامة في هذه الدعوة ، مع لزوم عدم التقية فيه .

وقال تعالى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٢) أي إرادة عصمة المسلمين عن عبادة الاوثان او التقرب والتزلق إليها ، والرجز : الإثم .

والرجز هو العذاب ، وسميت الأوثان رجزاً لأنها سبب العذاب .
وقيل (أنزل الله سبحانه {يا أيها المدثر} ^(٣) إلى قوله سبحانه {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} ^(٤) . قبل : أن تفرض للصلاة) ^(٥) .

وهو لا يمنع من تأكيد السورة على الصلاة والتقيد بأدائها من غير خوف من الذين كفروا .

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} فيه ستة تأويلات :

أحدها : الرجز يعني الآثام والأصنام ، قاله جابر وابن عباس وقتادة والسدي .

(١) سورة المدثر ٣ .

(٢) سورة المدثر ٥ .

(٣) سورة المدثر ٣ .

(٤) سورة المدثر ٥ .

(٥) الكشف والبيان-للثعلبي ١٥٦/١٤ .

الثاني : والشرك فاهجر ، قاله ابن جبير .

الثالث : والذنب فاهجر ، قاله الحسن .

الرابع : والإثم فاهجر ، قال السدي .

الخامس : والعذاب فاهجر ، حكاه أسباط .

السادس : والظلم فاهجر ، ومنه قول رؤبة بن العجاج .

كم رامنا من ذي عديد منه ... حتى وقمنا كيده بالرجز .

قاله السدي : الرجز بنصب الرء : الوعيد .^(١)

ومن معاني قوله تعالى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٢) الأمر بإجتنب الظلم

والتعدي والبطش بالناس ، والإرهاب ، إذ كان النبي محمد صلى الله عليه

وآله وسلم منقطعاً إلى عبادة الله عز وجل ، صابراً على الأذى الذي يأتي

من الكفار من مقامات ولايتهم للبيت ، مع إخبار القرآن بأنهم ليسوا

أولياءه ، وكما يدل الواقع على هذا القانون لتبادر شرط الإيمان بالله عز

وجل والإقرار بالتوحيد لمن يتولى شؤون المسجد الحرام ، وقال تعالى ﴿وَمَا

لَهُمْ أَلَّا يَعْذِبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصْذَرُونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءُ إِلَّا
الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

و(عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل

الصيام ثلاثة أحوال . فأما أحوال الصلاة فإن النبي صلى الله عليه وآله

وسلم قدم المدينة فصلى سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس ، ثم أن الله

(١) النكت والعيون ٣٤٦/٤ .

(٢) سورة المدثر ٥ .

(٣) سورة الأنفال ٣٤ .

أنزل عليه { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا . . . } ^(١) الآية فوجهه الله إلى مكة هذا حول ، قال : وكانوا يجتمعون للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضاً حتى نفسوا أو كادوا ، ثم أن رجلاً من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم ، ولو قلت أنني لم أكن نائماً لصدقت .
 إني بينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصاً عليه ثوبان أخضران ، فاستقبل القبلة فقال : الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مثني مثني حتى فرغ الأذان ، ثم أمهل ساعة ثم قال مثل الذي قال : غير أنه يزيد في ذلك قد قامت الصلاة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علمها بلالاً فليؤذن بها . فكان بلال أول من أذن بها قال : وجاء عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله إنه قد طاف بي مثل الذي طاف به غير أنه سبقني فهذان حولان .
 قال : وكانوا يأتون الصلاة قد سبقهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببعضها ، فكان الرجل يسر إلى الرجل كم صلى فيقول واحدة أو اثنين فيصليهما ، ثم يدخل مع القوم في صلاتهم ، فجاء معاذ فقال : لا أجده على حال أبداً إلا كنت عليها ثم قضيت ما سبقتي ، فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببعضها فثبت معه ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاته قام فقضى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا . فهذه ثلاثة أحوال .

وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة ، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ، ثم إن الله

فرض عليه الصيام ، وأنزل الله { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم } إلى قوله { وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين } .

فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فاجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى { شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس }^(١) إلى قوله { فمن شهد منكم الشهر فليصمه } .

فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام ، فهذان حولان . قال : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائماً حتى إذا أمسى ، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح صائماً .

فراه النبي صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً فقال : ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً؟ قال : يا رسول الله إني عملت أمس ، فجئت حين جئت فألقيت نفسي فنمت ، فأصبحت حين أصبحت صائماً قال : وكان عمر قد أصاب النساء بعد ما نام ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزل الله { أحل لكم ليلة الصيام الرفث }^(٢) إلى قوله { ثم أتموا الصيام إلى الليل }^(٣) .

ومن الإعجاز في تشريع الصلاة تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في كل ركعة ، لتكون هذه التلاوة على وجوه :

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة ١٨٧ .

(٣) الدر المنثور ١/٣٥٤ .

الأول : في أداء الصلاة إبطال للمفاهيم الوثنية.

الثاني : في الصلاة إنذار من محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذه المحاربة إرهاب وإضرار بالفرد والجماعة.

الثالث : الصلاة زاجر عن عبادة غير الله سبحانه ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج)^(١).

ويبين الحديث موضوعية الصلاة في الارتقاء في مراتب الإيمان بلحاظ كونها ركناً من أركان الإسلام ، وجاءت بعد الشهادة بالتوحيد والرسالة . وتتضمن التلاوة الإعلان عن تشريع أصول الدين وأحكام خاصة بالعبادات والمعاملات ، وتهذيب الأخلاق والتذكير باليوم الآخر وأنه حق ولزوم الاستعداد له بالإيمان ونبذ الكفر وما يترشح عنه من التعدي والظلم ، قال تعالى ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

ليكون من معاني التضاد بين الإيمان والكفر ، تنزه المؤمنين عن الإرهاب ، فلقد زاوله الكفار ، واتخذوه منهاجاً لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، فأنعم الله على الناس بظهور الإسلام ، وعلو رايته ، وسيادة أحكامه ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣) .
ليكون من الشكر لله عز وجل إجتئاب الإرهاب والظلم .

(١) الدر المنثور ١/٣٥٤.

(٢) سورة العنكبوت ٤٥.

(٣) سورة التوبة ٣٣.

وجاءت السور المكية بالحث على العطف والرافة باليتيم ، وتضمنت نوع ملازمة بين الكفر وقسوة القلب والشح ، قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّنِّ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(١). والرؤية هنا بمعنى الإطلاع والمعرفة ووجود شواهد أيام التنزيل لمضامين الآية بفضح الذين يتصفون بالكفر كيلا ينقاد لهم الناس في إرهابهم وإيذائهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، ومنهم من يقوم بدفع اليتيم دفعاً وزجره وظلمه ، وذكر في سبب نزول الآية وجوه:

الأول : نزلت الآية في أبي جهل ، إذ كان وصياً على يتييم ، فجاء ذات اليتيم وهو عريان يسأله من ماله فدفعه ووبخه .

الثاني : ذكر أن الآية (نزلت في العاص بن وائل).

الثالث : نزلت في الوليد بن المغيرة.

الرابع : نزلت في أبي سفيان ، وذلك أنه نحر جزوراً فأثاه يتييم يسأله ، فقرعه بعصاه ، فذلك قوله تعالى ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾^(٢) أي : يدفعه بجفوة من حقه^(٣).

لقد أراد الله عز وجل تنمية ملكة الرحمة والرافة في النفوس واجتناب القسوة والغلظة لبيان قانون وهو هجران الإرهاب من باب الأولوية القطعية ثم انتقلت السورة إلى ذكر الصلاة والتعريض بالذين يغفلون عن أدائها في أوقاتها وبالمنافقين لبيان أن الصلاة حرز وواقية من الظلم والجور

(١) سورة الماعون ١-٣.

(٢) سورة الماعون ٢.

(٣) الوجيز للواحد ١/١١٤٣.

والتعدي، وهو من أسرار مصاحبة الصلاة لوجود الإنسان في الأرض، ففي كل زمان هناك أمة تعبد الله بالصلاة والذكر .

قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١).

لقد تضمنت السور المكية التخويف والإنذار ، وهي رحمة بالناس عامة ، إذ أن التلبس بالظلم والتعدي وإتخاذه منهاجاً في الحياة يستلزم العلاج وسبل الإصلاح ، وقد أنعم الله عز وجل على الناس بالوحي ، وهو أعظم صيغ الإصلاح .

ومن أسرار سلامة القرآن من التحريف في كلماته ومعناه ودلالته، إعجازه وحفظ الله له وتعاهد المسلمين لتلاوته كل يوم قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

وذكرت خصائص ووجوه للسور المكية منها :

الأول : كل سورة فيها لفظ ﴿كَأَنَّ﴾ مكية إذ تكررت في الغالب على نحو

التبكيث للظالمين منها قوله تعالى في ذكر شدة عذاب النار ﴿كَأَنَّهَا لَظَى﴾^(٣).

وورد ذات اللفظ أربع مرات في سورة المدثر ، وهو قوله تعالى ﴿كَأَنَّ

إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتَانَا عِنْدَ﴾^(١) ﴿كَأَنَّ وَالْقَمَرَ﴾^(٢) ﴿كَأَنَّ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾^(٣) ﴿كَأَنَّ إِنَّهُ تَذَكَّرَ﴾^(٤).

(١) سورة النساء ١٠٣ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

(٣) سورة المعارج ١٥ .

وليس في نصف القرآن الأول لفظ ﴿كَلَّا﴾ وقيل لم تنزل ﴿كَلَّا﴾ في المدينة .

الثاني : كل سورة فيها سجدة فهي مكية ، قال تعالى ﴿كَأَلَّا تَطْغَوْا لَسْجُدُ وَأَقْتَرِبُ﴾^(٥).

الثالث : المراد من السور المكية هي التي نزلت قبل الهجرة ، أما التي نزلت بعد الهجرة فتسمى السور المدنية وإن كان نزولها في مكة ، كما في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٦) وهذا التقسيم استقرائي ولليان .

الرابع : نزول خطاب العموم في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(٧) .

إذ كان الذين كفروا والذين توقفوا وانتظروا في مكة المزيد من الآيات والمعجزات أكثر من المسلمين .

والنسبة بين الناس والمسلمين هي العموم والخصوص المطلق ، فالمسلمون من الناس وليس العكس .

كما ورد لفظ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(١) في سور مدنية وهي .

(١) سورة المدثر ١٦.

(٢) سورة المدثر ٣٢.

(٣) سورة المدثر ٥٣.

(٤) سورة المدثر ٥٤ .

(٥) سورة العلق ١٩.

(٦) سورة المائدة ٣.

(٧) سورة البقرة ٢١.

الأولى : ورد مرتين في سورة البقرة كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنْ ثَمَرِ الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣).

الثانية : من إعجاز القرآن إبتداء سورة النساء وهي مدنية بالنداء العام لجنس الإنسان ذكوراً وإناثاً مسلمين وأهل كتاب وكفار مع تجلي مضمون النداء بالحث على التقوى والخشية من الله عز وجل بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٤).

لتأكيد لزوم التآخي بين الناس وإجتنب الإرهاب لأن الله عز وجل خلقهم من أب وأم ، وهما آدم وحواء .

وفي عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم . ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتנם أكلهم ،

فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطإ

(١) سورة البقرة ٢١.

(٢) سورة البقرة ٢١.

(٣) سورة البقرة ١٦٨.

(٤) سورة النساء ١.

فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه^(١).

وفي هذه الكلمات زجر لكل مسلم عن جرح المارة والقتل العشوائي وعن التفجير لأن الشعور بالرحمة بالناس واللطف بهم عصمة للذات من الإضرار بهم.

ومع أن سورة النساء مدنية فقد جاءت ثلاثة آيات منها تتضمن النداء العام وهي: قوله تعالى ﴿إِنْ يُشَاقِدْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾^(٢).

كما ورد نداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣) في سورة الحج وهي مكية وعليه الإجماع ، قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٤).

لييان مسألة وهي أن فرض حج البيت الحرام سابق لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن من علامات النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجديد الدعوة للحج في بدايات بعثته وإنذار المشركين من منع الناس من الحج أيام الدعوة قبل الهجرة خشية إصغائهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتلو آيات القرآن في الموسم ، ويدعو الناس إلى الإسلام .

(١) نهج البلاغة ٦٢/٣.

(٢) سورة النساء ١٣٣.

(٣) سورة الحج ٧٧.

(٤) سورة الحج ٢٧.

أو منع المسلمين من الحج بعد الهجرة حقناً وعقوبة ومنعاً من شيع الإسلام ومبادئه .

وهل هذا المنع عن الحج والعمرة من الإرهاب الجواب نعم ، وهو من أشهر ضروب الإرهاب.

وأسباب الفتنة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(٢). وفيه دلالة على عدم إحصار نداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(٣) بالسور المكية ، ولييان قانون وهو وجود وجوه مشتركة بين السور المكية والمدنية في الدعوة إلى التوحيد ، وحث الناس على التقوى وأداء الفرائض العبادية .
الرابع : من خصائص السور المكية تأكيد التوحيد ، والبعث والتذكير بالحساب في عالم الآخرة .

الخامس : قصر وقلة آيات السور المكية ، وجزالة ألفاظها وتقارب الفواصل ، وإيجاز العبارة .

وفيها حجة على الذين كفروا إذ عرفوا بالفصاحة والبلاغة ، لتصبح آيات القرآن حديث المنتديات والركبان ، وفيها سمو مرتبة في الموضوع بعد عناية العرب بالشعر ، صاروا ينجذبون إلى آيات القرآن والتدبر في معانيها ودلالاتها .

(١) سورة النساء ١٧٠.

(٢) سورة النساء ١٧٤.

(٣) سورة البقرة ٢١.

الخامس : صيغ التدبر والتخويف والتعنيف للذين كفروا ، وفيه زاجر عن الإرهاب ، وإرباك لسعي الكفار في الإضرار بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .
وقد تقدم ذكر وإحصاء السور المكية ^(١).

السادس : كثرة القسم بالله ويوم القيامة قال تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ ^(٢).

السابع : خلو السور المكية من الحدود والفرائض ، ومن ذكر المنافقين ، إذ ظهرت حال النفاق في المدينة ، وبعد نصر المسلمين في معركة بدر.

قانون نعمة الولد مانع من الإرهاب

لقد صاحبت نعمة الولد وجود الإنسان في الأرض وتأتي لكل من :
الأول : الذي يدرك عظمة نعمة الولد ، يشكر الله عز وجل عليها .
الثاني : الذي يدرك هذه النعمة العظيمة ولا يشكر الله عز وجل عليها .
الثالث : الذي لا يدرك عظيم هذه النعمة ، ولا يشكر الله عز وجل عليها .

الرابع : تصيب نعمة الولد البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، مع تباين في تلقي النعمة ، والإنتفاع منها ، ورجاء بلوغ الأبناء مراتب الفضل وإقامة السنة .

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَيْنِ إِمَامًا﴾ ^(٣).

(١) أنظر الأجزاء ١٨٦/١٩٠ من هذا السفر المبارك .

(٢) سورة القيامة ١-٢.

(٣) سورة الفرقان ٧٤.

ويمكن الإستدلال على نعمة الولد بالنظر إلى من حرم منها وما يصيبه من الحسرة والأسى ، ولكن نعمة الولد تخبر عن ذاتها في كل ساعة ، ويذهب الأولاد ذكوراً وإناثاً عن الآباء هموم الدنيا ، قال تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ * أَوْ يَزْوَجَهُمْ ذُكْرَاناً وإناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (١).

هم ريحانة القلب ، والأكباد التي تمشي على الأرض ، وصلة الإنسان بالمستقبل القريب والبعيد ، وعنوان بقاء الاسم والشأن بعد مغادرة الدنيا ، ليكون الميراث وكون الأولاد من الطبقة الأولى فيه لا يحجبهم حاجب سواء كانوا متعددين ذكوراً وإناثاً أو منفردين ، قال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ ذَيْنِ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (٢).

ويذكر القرآن في آيات عديدة بنعمة الأولاد كيلاً سبياً في أكل المال الحرام وجمع المال بالباطل ، أو اللجوء إلى البخل والإمتناع عن الزكاة

(١) سورة الشورى ٤٩-٥٠.

(٢) سورة النساء ١١.

والحقوق الشرعية ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمُ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) .

وقد تقدم الجزء الواحد والتسعون بعد المائة وهو خاص بالصلة بين قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^{(٢)(٣)}.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٤) بالآية التي قبلها ، واختص الجزء التسعون بعد المائة بتفسيرها .

وهل من أسباب البخل والإمتناع عن الإنفاق في سبيل الله الحرص على الإنفاق على الأولاد ، وجمع المال وزيادة التركة لهم ، الجواب نعم لذا أقام الله عز وجل الحجة على الناس إذ أخبر بأن رزق الأولاد معهم ، وقد ضمن الله عز وجل رزقهم قبل أن يولدوا ، قال تعالى ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(٥) .

(١) سورة المنافقون ٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٠ .

(٣) أنظر الجزء الرابع والثمانين بعد المائة من هذا التفسير الذي اختص بتفسير الآية أعلاه .

(٤) سورة آل عمران ١٨١ .

(٥) سورة الاسراء ٣١ .

فإن قيل أن كلاً من الآيتين وردت بخصوص النهي عن قتل الأولاد وزجر الآباء عن ظن نزول الفقر بهم بكثرة الولد ، بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(١).

والجواب من خصائص القرآن أن موضوع الآية أعم من سبب النزول ، وتبعث هذه الآيات الرأفة في قلوب الناس ، وإجتنب الإرهاب وما فيه من قتل الأولاد فينال الآباء والأمهات التي يستحضرون كل يوم بعد فقدهم مسألة وهي ما حملنا وسهرنا وربينا من أجل أن يقتل على الهوية مثلاً .

وإن أصاب الإرهاب الآباء فإن الأبناء يعيشون حرماناً ويصاحبهم الأسى والحزن طيلة أيام حياتهم ، وتحل بهم الكراهية للذي كان سبباً بفقد أبيهم .

ولأن الأولاد مسؤولية دنيوية وأخروية عظمى ، جاءت الآيات بالحث على الإلتجاء إلى الدعاء في صلاحهم ، وترتب النفع العظيم على هذا الصلاح في النشاطين ، وفي التنزيل حكاية عن زكريا ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٢).

(عن ابن عباس في قوله : { ذكر رحمة ربك عبده زكريا }^(٣) قال : ذكره الله برحمته منه حيث دعاه { إذ نادى ربه نداء خفياً }^(٤) يعني دعا ربه ربه { دعاء خفياً } في الليل ، لا يسمع أحداً ، أو يسمع أذنيه . فقال : {

(١) سورة الاسراء ٣١.

(٢) سورة آل عمران ٣٨.

(٣) سورة مريم ٢.

(٤) سورة مريم ٣.

رب إني وهن العظم مني {^(١) يعني ضعف العظم مني } واشتعل الرأس شيباً {^(٢) يعني غلب البياض السواد } ولم أكن بدعائك رب شقياً {^(٣) أي لم أدعك قط فخيبتني فيما مضى ، فتخيبني فيما بقي ، فكما لم أشق بدعائي فيما مضى ، فكذلك لا أشقى فيما بقي ، عودتني الإجابة من نفسك . } وإني خفت الموالى من ورائي {^(٤) فلم يبق لي وارث ، وخفت العصابة أن ترثني } فهب لي من لدنك ولياً {^(٥) يعني من عندك ولداً } يرثني { يعني يرث محرابي ، وعصاي وبرنس العربان ، وقلمي الذي أكتب به الوحي } ويرث من آل يعقوب {^(٦) النبوة } واجعله رب رضيعاً { يعني مرضياً عندك زاكياً بالعمل ، فاستجاب الله له ، فكان قد دخل في السن هو وامراته .

فبينما هو قائم يصلي في المحراب ، حيث يذبح القرбан ، إذا هو برجل عليه البياض حياله ، وهو جبريل فقال : { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ } {^(٧) هو اسم من أسماء الله ، اشتق من حي سماه الله فوق عرشه } لم نجعل له من قبل سمياً { لم يجعل لذكريا من قبل يحيى ولد له } هل تعلم له سمياً {^(٨) يعني هل تعلم له ولداً ، ولم يكن لذكريا قبله ولد ، ولم يكن

(١) سورة مريم ٤.

(٢) سورة مريم ٤.

(٣) سورة مريم ٤.

(٤) سورة مريم ٥.

(٥) سورة مريم ٥.

(٦) سورة مريم ٦.

(٧) سورة مريم ٧.

(٨) سورة مريم ٦٥.

قبل يحيى أحد يسمى يحيى قال : وكان اسمه حياً ، فلما وهب الله لسارة إسحق ، فكان اسمها يسارة .

ويسارة من النساء التي لا تلد .

وسارة من النساء : الطالقة الرحم التي تلد فسمها الله سارة وحول الياء من سارة إلى حي فسماه يحيى ، فقال : { رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً }^(١) خاف أنها لا تلد^(٢) .

و(عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام يسأل عن الناس ، والرجل يسأل عن أهله ، والمرأة تسأل عن بيت زوجها ، والعبد يسأل عن مال سيده)^(٣) .

و(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^(٤) والنحلة هي الهبة والعطية ابتداءً ومن غير بدل أو عوض .

ومن بديع صنع الله عز وجل في كيفية تكاثر الناس بالنكاح الشرعي والتكاثر نماء المحبة بين الأزواج ، بسبب الولد ، وبذل الجهود المضاعفة لنشاطهم وإعدادهم وإصلاحهم للحياة الدنيا ، ليكون هذا الحب والجهود سبباً للإنصراف والعزوف عن الإرهاب ، ومفاهيمه ، فلا يقرب لها الناس لبطلانها وعدم ترتب الأثر النافع عليها .

فنزل القرآن بالحرب عليها وإستئصالها ، وسمى الله شريعة محمد الإسلام ، وأمته المسلمين ليتنزهاوا عن الظلم والإرهاب .

(١) سورة مريم ٦ .

(٢) الدر المنثور ٦/٤٤٢ .

(٣) الدر المنثور ٤/١٩٢ .

(٤) المستدرک علی الصحيحین للحاکم ١٨/٤٤٤ .

ومن الإعجاز أن تسمية أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين تمت قبل بعثته ، قال تعالى ﴿مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(١) إذ أمر الله عز وجل المسلمين بالشهادة على الناس وإقامة الفرائض مما يدل في مفهومه على الإمتناع عن الإرهاب والظلم .

قانون الوصية رحمة عامة

من خصائص الحياة الدنيا مصاحبة الوصية بالتوحيد لحياة الأنبياء والأوصياء وعامة المؤمنين وذرائعهم .
وأن الله عز وجل هو الذي أوصى الناس باستدامة الشريعة وأحكامها ، قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢).

وثبتت وصية الأنبياء لأبنائهم بالإسلام وتعاهد سنن التوحيد ، وأنهم لم يتركوا أموالاً وثورات ، قال تعالى ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ

(١) سورة الحج ٧٨.

(٢) سورة الشورى ١٣.

لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾

وقد أوصى الله الأنبياء بالصلاة والزكاة والصوم ، وحثوا أتباعهم وأنصارهم ليمثلوا لأمر الله عز وجل ، وفي عيسى عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (١) كما أوصى الله عز وجل ببر الوالدين ، والإحسان إليهما في حياتهما وبعد وفاتهما ، وعلى نحو الإطلاق في مختلف الأحوال ، قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ (٢).

ليبيان مسألة في باب الأولوية وهي لزوم طاعة الوالدين باجتناب الإرهاب ، والقتل العشوائي ، وجلب الضرر للأسرة بالإضرار بالآخرين ، ولا يختص قانون البر بالولد أزاء والديه بل للولد حقوق على الوالدين ، ومنها لزوم إعانتة للحصانة من الإرهاب والعنف ، ووسائل القسر والتعدي ، وما فيه إيذاء عامة الناس .

وتتجلى الشواهد في هذا الزمان أن والدي الذي يقوم بعمل إرهابي يكونان في حال حرج شديد ، وقد يتعرضان للوم العام والمساءلة القانونية ، فيجب على الولد إجتنب تعرضهما لهذا الأذى إمتناعه عن الإرهاب ، وجاءت رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام حرباً على

(١) سورة البقرة ٣٣ .

(٢) سورة مريم ٣١-٣٢ .

(٣) سورة العنكبوت ٨ .

الإرهاب ووقاية منه ، ومما ورد فيها (وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته به من حسن الادب والدلالة على ربه عز وجل والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان إليه معاقب على الاساءة إليه. وأما حق أخيك فأن تعلم أنه يدك وعزك وقوتك، فلا تتخذ سلاحا على معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه، والنصيحة له فان أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه ولا قوة إلا بالله) (١).

وقد نزل القرآن بالوصايا العشر التي ذكرت في ثلاث آيات متتالية من سورة الأنعام ، وهي سورة مكية لبيان موضوعيتها في بناء صرح الإسلام في حصانه وسور مانع من الظلم والإرهاب ، إذ قال تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي

أَحْسَنَ وَفَصَّلَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ،
وسيا تي البيان في قانون مستقل .

وجاء القرآن بالوصايا في الأمور المالية والميراث ، ونحوه ومنه قوله
تعالى ، ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾ (٢) .

ولو أوصى لحيمن خاص به في بنك تخزين ، فالمختار هو لا أصل لهذه
الوصية ، إذ يجب إتلاف حيامنه التي في البنك عند وفاته ، نعم إذ كانت
هناك أجرة وتكلفة لحزن الحيمن فتدفع من الوصية أو من مطلق الدين ،
لقوله تعالى ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ ذُنْ﴾ (٣) .

مما يستلزم التنسيق بين الأسرة والدوائر المختصة وبين بنك الحيامن
بإخبار البنك عن الوفاة وتحديث البيانات .

في الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من شئ أحب إلى الله
عز وجل من بيت يعمر في الإسلام بالنكاح وما من شئ أبغض إلى الله عز
وجل من بيت في الإسلام بالفرقة يعني الطلاق لبيان أن الإسلام يتعاهد
حال وحدة الأسرة ، وهي واقية من الإرهاب والعنف والظلم .
والطلاق لغة : التخلية عن الوثاق .

واصطلاحاً هو إزالة قيد النكاح بالإيقاع وصيغة مخصوصة للطلاق مع
إجتماع شرائطه (٤) .

(١) سورة الأنعام ١٥١ - ١٥٤ .

(٢) سورة النساء ١١ .

(٣) سورة النساء ١١ .

(٤) أنظر رسالتنا العملية (الحجة) الجزء الخامس / كتاب الطلاق ص ١١٨ .

قانون التوحيد في القرآن زاجر عن الإرهاب

تقوم الملل السماوية بعقيدة التوحيد ، وإقرار الناس على نحو العموم الإستغراقي بالعبودية لله عز وجل ، وقد أخبر القرآن عن أخذ موثيق الناس بعرض واحد وهم في عالم الذر بلحاظ صفة الإنسان وسنخية البشر ، قال تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝﴾^(١) .

وفي الآية أعلاه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فخرجت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ونزع ضلعاً من أضلاعه فخلق منه حواء ، ثم أخذ عليهم العهد { ألسنت بربكم قالوا بلى }^(٢) ثم اختلس كل نسمة من بني آدم بنوره في وجهه ، وجعل فيه البلوى الذي كتب أنه يبتليه بها في الدنيا من الأسقام ، ثم عرضهم على آدم .

فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك . وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام .

فقال آدم : يا رب لم فعلت هذا بذريتي؟ قال : كي تشكر نعمتي . وقال آدم : يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً؟ قال : هؤلاء الأنبياء من ذريتك . قال : من هذا الذي أراه أظهرهم نوراً؟ قال : هذا داود يكون في آخر الأمم . قال : يا رب كم جعلت عمره؟ قال : ستين سنة .

(١) الأعراف ١٧١-١٧٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢ .

قال : يا رب كم جعلت عمري؟ قال : كذا وكذا .

قال : يا رب فزده من عمري أربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة .

قال : أتفعل يا آدم؟

قال : نعم يا رب . قال : فيكتب ويختتم إننا كتبنا وختمنا ولم نغير . قال :

فافعل أي رب . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فلما جاء

ملك الموت إلى آدم ليقبض روحه قال : ماذا تريد يا ملك الموت؟ قال :

أريد قبض روحك . قال : ألم يبق من أجلي أربعون سنة؟ قال : أو لم

تعطها ابنك داود؟ قال : لا^(١).

(عن هشام بن حكيم، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال: يا رسول الله، أبدأ الأعمال، أم قد قُضي القضاء؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله قد أخذ ذرية آدم

من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه" ثم قال:

"هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة،

وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار"^(٢).

(عن جوير قال : مات ابن الضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام ، فقال :

إذا وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عقده ، فإن ابني مجلس

ومسؤول .

فقلت : عم يسأل؟! قال : عن ميثاق الذي أقر به في صلب آدم ،

حدثني ابن عباس : أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو

خالقها إلى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً

(١) الدر المنثور ٤/٣٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٥٠٤.

وتكفل لهم بالأرزاق ، ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطي الميثاق يومئذ .

فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة^(١).

لقد أخذ الله عز وجل العهد من بني آدم وهم في صلب ظهر آدم بالتوحيد وأنه تعالى ربهم لا إله غيره سبحانه ، وقد أقرؤا بهذا العهد قبل أن يخلقوا لبيان أن العهد بالتوحيد شرط للولادة والنشأة .

ومن معاني التوحيد أنه سور جامع للأخوة الإنسانية بين عموم البشر ، ودعوة لهم للتآلف وترك البغضاء والغل وهو زاجر عن الحرب والقتال ، ولكن ما لبث أن قتل هابيل بن آدم أخاه قاييل بوسوسة من إبليس ليظهر الندم والحسرة ، كما في قوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٢﴾ .

ولم يرد لفظ ﴿ النَّادِمِينَ ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه لبيان قانون وهو أن مصاحبة الندم للقاتل ، وهو ظاهر بالوجدان للناس جميعاً ، فليس من قاتل إلا ويدب إلى نفسه الندم والحسرة على القتل ، ويقول مع نفسه لو امتنعت عن اجتماع هذا القتل لكان أحسن لي ولغيري ، ولو لم

(١) الدر المنثور ٤/ ٣٦٣ .

(٢) سورة المائدة ٣٠-٣١ .

يقع القتل كانت هناك فرصة للصلح ونحوه ، ويدرك معه أنه ليس للقتل علة تامة ، وليس فيه تغيير في الوقائع والأحداث ، قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

لذا فالآية أعلاه وقصة ولدي آدم دعوة للناس جميعاً للإمتناع عن الإرهاب .

(واختلف في قاييل هل كان كافراً أو عاصياً)^(٢).

والصحيح هو الثاني فلم يكن كافراً لوجوه :

الأول : أصالة الإيمان في الأرض ، قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً

وَاحِدَةً...﴾^(٣) .

الثاني : قرب زمان هبوط آدم من الجنة وحديثه كنبي لأبنائه عنها وعجائبها وعن كلامه مع الله عز وجل ، وإظهاره وحواء التقوى والزهد .

الثالث : إخبار آية البحث عن ندم قاييل بعد قتله لأخيه فقوله تعالى

﴿فَاصْبِرْ مِنَ التَّائِبِينَ﴾^(٤) أعم من أن يختص بالدفن ، إنما ندم على

القتل وأسبابه وخشيته من العقاب الأخروي لأن آدم كان ينقل لأبنائه حقيقة الجنة والنار ، ووجوب المعاد ، وهو من الوصية من الله عز وجل

لآدم وحواء معاً ، إذ قال تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي

(١) سورة الإنسان ٣٠.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٠٧/١.

(٣) سورة البقرة ٢١٣.

(٤) سورة المائدة ٣٠-٣١.

هُدًى فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ وقوله تعالى ﴿قَالَ﴾
 ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٢).
 أي أن الإقامة في الأرض مؤقتة ومن المنتهي ، وليأتي البيان والتفصيل
 في آيات أخرى تدل على المعاد ، منها قوله تعالى ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
 تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (٣) .

أي أن الله عز وجل هو الذي يبعثكم من الأرض بعد الموت ، ولا
 يقدر على هذا الإخراج إلا هو سبحانه ، لبيان التحذير من الإرهاب وأن
 صاحبه يقف بين يدي الله عز وجل للحساب ، وسيلتقي الذي أرهب
 وأضر بغيره ، والمرهوب والمتضرر من الإرهاب .

وهل يدل قوله تعالى ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ على استحالة سكن واستدامة
 عيش أمم من الناس في الكواكب الأخرى كما تجري عليه البحوث
 والرحلات الفضائية والدراسات الخاصة بها ، الجواب لا ، إنما أراد القرآن
 مخاطبة الناس عامة ، وبيان حقيقة وهي حتى سكن الناس في كواكب
 أخرى فهو فرد قليل بلحاظ مجموع أجيال الناس ، وأن طائفة منهم تعود
 لعمارة الأرض بعد انتهاء الحروب والإقتتال وأسباب مغادرتها طوعاً
 وقهراً .

وهل يبعث الله عز وجل نبياً وأنبياء للناس الذين يعمرون الكواكب
 الأخرى أم يبقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين ،
 الجواب هو الثاني .

(١) سورة البقرة ٣٨ .

(٢) سورة الأعراف ٢٤ .

(٣) سورة الأعراف ٢٥ .

وتحتمل صفة خلافة الإنسان حينئذ وجوهاً :

الأول : استمرار واستدامة صفة الخلافة حتى مع سكن الإنسان في السماء فهو ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ﴾^(١).

الثاني : القدر المتيقن من خلافة فهو الإنسان الذي يبقى ساكناً في الأرض فالذي يسكن السماء ليس بخليفة .

الثالث : تنقل الإنسان بين الأرض والسماء موضوع وعلة لاستدامة خلافته .

الرابع : المراد من الخليفة في الأرض هو الأنبياء والمعصومون والأولياء ، أو خصوص الأنبياء أو آدم بالذات ، لذا فان موضوع الخلافة ينقطع بمغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأرض .

لقد أنفرد آدم بخصوصية بين الأنبياء والناس جميعاً من جهات :

الأولى : خلق آدم في الجنة .

الثانية : ليس لآدم أب ، ولم يولد في رحم أو وعاء ، فحتى لو صار صنع المولود في أوعية وأنابيب خاصة ومناخ ملائم كالرحم تبقى معجزة خلق آدم متصلة ودائمة تتحدى الناس ، وتدعوهم للإيمان ، وكذا في ولادة عيسى من غير أب ونطفة ، وهو في المهد ، قال تعالى ﴿وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾^(٢).

(عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى عليه السلام .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ٤٦.

وكان من بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال : أجيئها أو أصلي؟

فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات . وكان جريج في صومعته ، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى ، فأتت راعياً فامكته من نفسها ، فولدت غلاماً فقالت : من جريج ؟ فأتوه فكسروا صومعته ، وانزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام؟ قال : الراعي ؟ فقالوا له : نبني صومعتك من ذهب قال : لا . إلا من طين .

وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني اسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله . فترك ثديها واقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثديها يمصه ، ثم مر بأمة تجزر ويلعب بها فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه . فترك ثديها فقال : اجعلني مثله فقالت : لم ذاك ؟

فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون لها زني وتقول حسبي الله ، ويقولون سرقت وتقول حسبي الله ^(١).

الثالثة : تفضل الله عز وجل بالنفخ من روحه في آدم عليه السلام، وكلمه الله قبلاً وفي الجنة .

الرابعة : إقامة آدم وحواء في الجنة قبل هبوطهما إلى الأرض .

الخامسة : حديث واختلاط آدم مع الملائكة في الجنة ، إن ابتداء حياة آدم في الجنة وقيامه بتعليم الملائكة الاسماء دعوة للناس للتوجه للعلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وباعث سماوي لأجيال الناس للتنزه عن الظلم والإرهاب .

(عن عطاء قال : لما سجدت الملائكة لآدم نحر إبليس نفرة ثم ولى مدبراً وهو يلتفت أحياناً ينظر هل عصى ربه أحد غيره . فعصمهم الله ثم قال الله لآدم : قم يا آدم فسلم عليهم فقام فسلم عليهم وردوا عليه ، ثم عرض الأسماء على الملائكة فقال الله للملائكة : زعمتم أنكم أعلم منه { انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك } .

إن العلم منك ولك ، ولا علم لنا إلا ما علمتنا ، فلما أقرأوا بذلك { قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم }^(١) فقال آدم : هذه ناقة ، جمل ، بقرة ، نعجة ، شاة ، فرس ، وهو من خلق ربي . فكل شيء سمي آدم فهو اسمه إلى يوم القيامة ، وجعل يدعو كل شيء باسمه حين يمر بين يديه حتى بقي الحمار وهو آخر شيء مر عليه .

فجاء الحمار من وراء ظهره فدعا آدم : أقبل يا حمار . فعلمت الملائكة أنه أكرم على الله وأعلم منهم ، ثم قال له ربه : يا آدم ادخل الجنة تحيياً وتكرماً ، فدخل الجنة فنهاء عن الشجرة قبل أن يخلق حواء . فكان آدم لا يستأنس إلى خلق في الجنة ، ولا يسكن إليه ، ولم يكن في الجنة شيء يشبهه ، فالتقى الله عليه النوم وهو أول نوم كان ، فانتزعت من ضلعه الصغرى من جانبه الأيسر ، فخلقت حواء منه .

فلما استيقظ آدم فجلس ، فنظر إلى حواء تشبهه من أحسن البشر ، ولكل امرأة فضل على الرجل بضلع ، وكان الله علم آدم اسم كل شيء ، فجاءته الملائكة فهنوه وسلموا عليه فقالوا : يا آدم ما هذه؟ قال : هذه امرأة قيل له : فما اسمها؟ .

قال : حواء فقيل له : لم سميتها حواء؟ قال : لأنها خلقت من حي .
فنفخ بينهما من روح الله فما كان من شيء يتراحم الناس به من فضل
رحمتها .^(١)

السادسة : آدم أول نبي في الأرض .

السابعة : عمارة آدم للأرض هو وحواء ليس معهم أحد من البشر .

الثامنة : آدم أول من صلى وصام وحج البيت الحرام .

التاسعة : إجماع أهل الملل على أن آدم أبو البشر على اختلاف في
تسميته بحسب اللغات واللهجات المتعددة .

(وقد ورد في تواريخ الهند والعجم : أن كيومرث هو آدم عليه السلام)
.^(٢)

العاشرة : أول من نزل عليه الوحي هو آدم .

لقد أكرم الله عز وجل الناس باتحاد الأب وأنهم جميعاً من أب واحد
وفيه دعوة لهم للتآخي والهداية والصلاح ونبذ الكراهية والعنف .

وربطت بعض الأحاديث النبوية بين العهد في أصل الخلقة وبين المعاد
وهو من الإعجاز في السنة النبوية والشواهد على أنها من الوحي (عن أنس
بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يجاء بالكافر يوم القيامة
فيقال له رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟

فيقول : نعم، فيقال لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك)^(٣) .

ليبان أن العهد الذي أخذه الله في الميثاق على الناس طريق ومدد
لهدايتهم إلى التوحيد وعون لأدائهم الفرائض العبادية .

(١) الدر المنثور ٧٩/١ .

(٢) الشهرستاني / الملل والنحل ١٥٣/١ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٣٤/٣ .

وهو من الشواهد على سبق اللطف الإلهي على كل إنسان قبل أن يخلق آدم وعند خلقه ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١) فان قلت لا يحس الإنسان بهذا الميثاق في حياته ، والجواب نعم .

وهل يمكن القول أن كل آية من القرآن تدعو إلى التوحيد أو تذكر به وما يمليه من الواجبات ، الجواب نعم ، وقد قسم القرآن من جهة الموضوع إلى أقسام :

الأول : التوحيد .

الثاني : الأحكام .

الثالث : الأخبار .

وهذا التقسيم استقرائي ويتغشى كل فرد منه بالتوحيد ، ولوائه ، إذ تدل الأحكام على صدورها من عند الله ، وأنه وحده سبحانه الذي يأمر وينهى الناس في أجيالهم المتعاقبة ، وبلدانهم المتفرقة ، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ

تَقْوَىٰ﴾^(٢) .

وكتب بمعنى فرض ، ولم تذكر الآية من الذي كتب واوجب الصيام للتسالم والقطع بأنه لا يفرضه ويكتبه على الناس إلا الله عز وجل .

(١) سورة الإسراء ٧٠ .

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

وكذا بالنسبة للنواهي ، فان قلت قد ورد قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) والجواب فيه بيان قانون وهو أن ما يأمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو ما ينهى عنه كله من الوحي .
وفيه حث على اتباع الرسول ، قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢).

لقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين والناس بحزمة الإرهاب لأنه من ضروب الظلم والتعدي .
وهل طاعة الرسول من الميثاق الذي أخذه الله عز وجل على الناس في عالم الذر ، الجواب نعم ، لتبقى سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القولية والفعلية حجة ، وضياء ينير دروب السلام ، والأمن للمسلمين والناس.

(عن عبد الرحمن بن يزيد قال : لقي عبد الله بن مسعود رجلاً محرمًا وعليه ثيابه ،

فقال : انزع عنك . فقال الرجل : اتقرأ عليّ بهذا آية من كتاب الله ؟
قال : نعم { ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فاتتوها }^(٣) .^(٤)
(عن مسروق قال : جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة ، أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) سورة النساء ٨٠ .

(٣) سورة الحشر ٧ .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ١٩٧/١٣ .

قال: بلى، شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول!.

قال: فما وجدت فيه: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } ^(١) ؟

قالت: بلى. قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن الواصلة ^(٢) والواشمة ^(٣) والنامصة ^(٤).

قالت: فلعله في بعض أهلك.

(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) الواصلة التي توصل شعرها بشعر غيرها زوراً وغشاً و (عن عائشة . أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت ، فتمعط شعرها ، فأرادوا أن يصلوها ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لعن الله الواصلة والمستوصلة) الدر المنثور ٢٥٠/٣ . والمستوصلة التي تأمر أن يوصل شعر غيرها بشعرها ، والملاك هو الضرر والتدليس.

(٣) الواشمة : التي تغرز الجلد بآبرة ، ثم يحشى بكحل أو نيل ، فيزرق لونه أو يخضر ، ويسمى الوشم .

(٤) النامصة : التي تتنف الشعر من وجهها ، أما التي تأمر بأن يفعل بها ذلك فتسمى المتنمصة ، يقال (في وجهها نمصٌ: شبه الزغب. ونمصته الماشطة بالنامص: تنفته. " ولعنت النامصة والمتنمصة " . وهو أنمص الحاجبين إذا رق مؤخرهما.

ومن المجاز: تنمص البهم إذا رعى أول العشب) أساس البلاغة ١/٤٩٠ .

قال: فادخلي فانظري. فدخلت فنظرت ثم خرجت، قالت: ما رأيتُ بأسا. فقال لها: أما حفظت وصية العبد الصالح: { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنَهَاكُمْ عَنْهُ }^(١) ^(٢).

واللعن هو الطرد والإبعاد عن الغير ، ولعنه الله أي غضب عليه وحرمه من النعم الطارئة وأسباب دفع البلاء ، ويقال رجل لعين وامرأة لعينة والجمع ملاعين ، وأكثر ما ذكرت اللعنة في القرآن للشيطان والكافرين إذ ذكر ابليس إحدى وعشرين مرة في القرآن ، وذكر الشيطان بصيغة الإفراد والجمع بنحو ثمان وثمانين آية وبلغة التحذير منه ، وبيان قبح فعله ، قال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

وقد لعن الله عز وجل إبليس لأنه لم يسجد لآدم ، فهل هذه اللعنة مبتدأة أم أن الله كان يلعن إبليس قبل أن يخلق آدم .
والجواب هو الأول ، إذ كان إبليس عابداً ساجداً بين الملائكة في الجنة ، وصلى ركعتين بستمائة ألف سنة من أيام الحياة الدنيا ، وكان الملائكة يظنون أنه منهم ، ولكن حينما أمرهم الله بالسجود لآدم امتنع إبليس من بينهم فعلموا أنه من جنس آخر ، قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَاذْأَسْوَيْتُهُ وَفَخَّخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *

(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦٧/٨ .

(٣) سورة الأعراف ٢٧ .

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَتَمُكَّتْ مِنْ الْعَالِينَ *
قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ
رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿١﴾ .

وهل ينفع لعن الله واللاعنين لإبليس في إجتناب الإرهاب ، وحصانة الأرض منه ، الجواب نعم ، فكل فرد من افراد لعنه سبب لإنحسار ضرره ووسوسته وكيدته ، وهو من أسرار وذخائر لعنة الله عليه مما يلزم إجتناب أسباب اللعنة .

وتضمن القرآن الأخبار وقصص الأنبياء والأمم السابقة ، وفيه تأكيد للتوحيد ، ودعوة للناس للإيمان والإقرار بالربوبية المطلقة لله عز وجل ، وذكر القرآن أسماء بعض المدن والبلدات وآثار أقوام ، وكيف أن بعض المدن نزل بها الدمار وبأهلها العذاب لسوء فعلهم ، وتماديهم في المعاصي ، وإعراضهم عن الإنذارات النبوية .

وينجي الله الذين آمنوا ليبقى ضياء الإيمان وعبادة الله متصلة في الأرض كما في قوم لوط ، إذ أنجاه الله عز وجل وأهل بيته والمؤمنين ، قال تعالى ﴿ فَتَجَنَّبْنَا وَاهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (٢) وفيه دلالة على استحضار نزول بطش الله عند التمادي في الذنوب وإرتكاب المعاصي والسيئات ، وفيه دعوة لتفويض الأمور إلى الله ، والقيام بالأمر بالمعروف

(١) سورة ص ٧١-٧٨ .

(٢) سورة الشعراء ١٧٠-١٧٣ .

والنهي عن المنكر وفق أحكام الشريعة مع التقيد بالقوانين الوضعية ،
ولاجتناب الإضرار بالذات والغير .

قانون الأحكام الشرعية مانع من الإرهاب

بحث أصولي

ينقسم الحكم إلى قسمين :

الأول : الحكم التكليفي .

الثاني : الحكم الوضعي .

ويرتبط الحكم التكليفي بفعل المكلف وقدرته وعلمه في الجملة وهو
المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً ، أو تركاً ومن الترك لزوم ترك
الإرهاب والقتل العشوائي ، فهذا الترك حكم تكليفي ولا يختص
بالمسلمين .

إنما جاءت به الشرائع السماوية كلها ، وهو سور الموجبة الكلية الذي
نزل به الوحي على الأنبياء ، قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى
بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾^(١) .

والتكليف لغة الإلزام .

أما الحكم الوضعي فهو ما اقتضى وضع شئ لشئ سواء كسبب أو
شرط له أو مانع منه ، أو وصفه بالصحة أو الفساد ، وهو على وجوه منها :

الوجه الأول : السبب وهو لغة كل ما يتوصل به إلى المقصود لذا سمي الطريق سبباً ، وقطع المسافة سبباً .

وفي الإصطلاح هو ما يلزم من وجوده الوجود ، ومن عدمه العدم ، وليس من سبب للإرهاب سواء كان عقلياً أو شرعياً ، وجاء الإسلام بالأخلاق الحميدة ، والإرهاب مناف لقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وهو علامة على الحكم ، ويرتبط وجود الحكم بوجوده ، وعدم الحكم بعدمه .

والسبب على أقسام :

القسم الأول : ما ليس من فعل المكلف وهو الذي جعله الله عز وجل أمانة على وجود الحكم ومن أمثلته :

أولاً : دخول وقت الصلاة كطلوع الفجر بالنسبة لصلاة الصبح ، قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢).

ثانياً : موت المالك سبب للميراث ، وفي نزول القرآن بأحكام الميراث على نحو الدقة والتفصيل بما يمنع الخصومة والخلاف فيه شاهد على كون التنزيل مانعاً وبرزخاً دون الشقاق فيه ، وبعد بيان السهام ، قال تعالى ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّكُمَا﴾^(٣).

(١) سورة ن ٤.

(٢) سورة الاسراء ٧٨.

(٣) سورة الفجر ١٩.

ثالثاً : رؤية هلال شهر رمضان أو ان للصيام الواجب ، قال تعالى

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١) ، بعد رؤية هلال شهر ذي الحجة .

وفي الآية أعلاه ، والإستهلال لمعرفة أو ان بداية شهر رمضان وكذا بالنسبة لإنقضائه برؤية هلال شهر شوال ، دعوة للمسلمين للإنقطاع إلى الفرائض والعبادات وفيه كفاية وسلامة وأحكام وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٢) .

ليان قانون وهو أن تهيئة وحضور أسباب العبادات والمستحبات رحمة ولطف من عند الله عز وجل لتقريب العباد إلى طاعة الله عز وجل ، وكذا بالنسبة لتعيين أو ان الحج برؤية هلال شهر ذي الحجة .

رابعاً : المرض سبب للإفطار ، قال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ

عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) .

وتبين الآية رافة الله عز وجل بالمسافرين والمرضى ، وسقوط الصيام عنهم ، لبيان أن الإرهاب والقتل العشوائي يأتي على السليم والمريض ، والمقيم والمسافر ، لذا فهو حرام ومخالفة للحكم التكليفي والوضعي .

خامساً : البلوغ سبب للتكليف .

القسم الثاني : السبب الذي من فعل المكلف ، وهو الذي يرتب عليه

الشارع الحكم ، ومن أمثلته :

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة الزمر ٣٦ .

(٣) سورة البقرة ١٨٤ .

أولاً : البيع سبب لانتقال الملك ، وكذا الشراء الذي هو سبب لقبض العين المشتراة ، قال تعالى ﴿ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَابِلٌ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) ، ^(٢).

ومعنى السنون ، والخروج عن حد الإستقامة الوارد في الآية أعلاه من وجوه :

الأول : تحريف الكتاب .

الثاني : الشهادة الزور .

الثالث : تغيير وتبديل الكتاب من جهة الأرقام ، وتاريخ الإستحقاق ، والشروط ونحوها .

الرابع : كتمان الشهادة ، ومن التقوى في المقام الخشية من الله عز وجل بكتاب الدين والوصية كاملة غير تحريف ، ومنها الشهادة من الصداقة ، لما فيها من بناء المجتمع سليم خال من الغبن وأسباب الضرر .
(و) عن أبي سعيد الخدري قال .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
﴿ لا ضرر ولا ضرار من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه ﴾ ^(٣) .

ثانياً : السفر سبب للإفطار في شهر رمضان ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ^(١).

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

(٢) أنظر الجزء التاسع والأربعين من تفسيرنا للقرآن الذي جاء خاصاً بتفسير هذه الآية.

(٣) تفسير القرطبي ٢٣١/٨.

ثالثاً : القتل الخطأ سبب للدية والقتل العمد سبب للقصاص ، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

رابعاً : عقد النكاح سبب وإعلان للزوجية .

القسم الثالث : من الأسباب ما يكون من فعل المكلف أو ليس من فعله بحسب اللحاظ وهذا التقسيم نؤسسه هنا مثل : الإستطاعة في الحج ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٣).

فقد تكون الإستطاعة بقصد وفعل المكلف وتوفير المال للحج وإن كانت مقدمة الواجب غير واجبة أو تأتي من حيث لا يحتسب أو بالبذل من الغير .

الوجه الثاني : الشرط وهو لغة إلزام الشيء والعلامة ، ومنه سمي حرف (إن) حرف شرط تقول : إن رأيت الهلال صمت ، والجمع شروط . وفي الحديث لا يجوز شرطان في بيع واحد فلا يجوز القول بعتك هذا الثوب بدينار نقداً ونسيئته بدينارين .

أما الشرط في الاصطلاح فهو الأمر الذي يلزم من وجوده تحقق الشروط ، ومن عدمه إنتفاء المشروط .

مثل الطهارة شرط للصلاة كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة ١٧٩ .

(٣) سورة آل عمران ٩٧ .

جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾.

ومع عدم الطهارة المائية أو الطهارة الترابية لا يحكم بصحة الصلاة.
ومن خصائص الشرط إنه خارج عن ماهية المشروط .
وقيل يلزم من عدم وجود الشرط عدم المشروط ، ولا يلزم من وجوده وجود المشروط ولا عدمه لذاته .

والنسبة بين السبب والشرط العموم والخصوص من وجه .
فمادة الإلتقاء يلزم من عدمهما العدم ، فإذا لم تنزل الشمس لا تجب صلاة الظهر بالنسبة للسبب ، وكذا بالنسبة للشرط إذا لم يتوضأ المكلف لا تصح الصلاة لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا صلاة إلا بطهور)^(١)
ويدعو الإسلام للزهد والطهارة من الآثام ، ومن الظلم والتعدي ، إذ يتكرر وضوء المكلف خمس مرات في اليوم أو أكثر أو أقل ، لبيان الحرص على طهارة البدن وهي مرآة ومقدمة لطهارة عالم الأفعال .

أما مادة الإفتراق فإن السبب يلزم من وجوده الوجود ، فإذا زالت الشمس دخل وقت صلاة الظهر ، أما الشرط فقد يتوضأ الإنسان ولكن وقت صلاة الظهر لم يدخل بعد

فالسبب الشرعي له موضوعية في الفعل سواء في حال وجود السبب أو عدمه ، أما بالنسبة للشرط الشرعي فإنه يؤثر في الفعل فقط في وجود حال هذا الشرط ، وليس في حال عدمه .

(١) سورة المائدة ٦.

(٢) تفسير أبي السعود ١١٥/٥.

ومن أمثلة الشرط :

الأول : اشتراط الطهارة لصحة الصلاة ، وكذا شرط الاستقبال

الثاني : تمام الحول بالنسبة للزكاة والخمس .

الثالث : شرط الإستطاعة بالنسبة للحج ، قال تعالى ﴿وَلِلّٰهِ عَلَىٰ

النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١).

ولا تنحصر شروط الحج بالإستطاعة في المال والسرب إنما تشمل :

أولاً : البلوغ ، ولو حج الصبي ثم بلغ فعليه إتيان الحج مرة أخرى ، وهل يشمل حديث الرفع الوارد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيْقَ ، أَوْ يَسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً)^(٢) الجواب لا ، لأن هذا الحديث بخصوص رفع العقوبة إنما ورد دليل خاص . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أيما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة أخرى)^(٣).

ثانياً : العقل .

ثالثاً : الإسلام .

رابعاً : الحرية .

خامساً : الإستطاعة .

سادساً : سلامة السرب ، وتخلية الطريق .

الرابع : تحقق وفاة المورث وحياة الوارث في قسمة سهام التركة .

(١) سورة آل عمران ٩٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢١٥ .

(٣) الكشف والبيان-للثعلبي ٣/٢٠١ .

الوجه الثالث : المانع وهو الحاجز بين شيئين ، وهو الذي يلزم من وجوده عدم تحقق الشئ أو العمل أو الأجرة أو عدم صحة الفعل ، فالكفر مانع من وراثة المسلم ، والحيف مانع من أداء الصلاة ، وهو من أقسام الحكم الوضعي ، ومنها :

الأول : الصحيح والفساد .

الثاني : الشرط والركن .

الثالث : السبب والعلة والمانع .

الرابع : الرخصة والعزيمة .

والقتل العشوائي والإرهاب فعل فاسد ، والنهي عنه عزيمة وليس من رخصة في إتيانه ، فهو محرم ذاتاً وأثراً .

قانون الهجرة إلى الحبشة فرار من الإرهاب

من خصال كفار قريش إيذائهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه الأوائل ، والإطراد المتصل في ضروب هذا الإيذاء ، وبلوغه مراتب من الضرر ، كما كانوا يحرضون الأب على ابنه المسلم وابنته المسلمة ، والأبناء على أبيهم المسلم ، والأخ على أخته ، والزوج على زوجته المسلمة ، فلجأ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله عز وجل ، وتطلع إلى الوحي بصبر ، قال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرْضِيكُمْ وَأَسِعَتْ فَيَايِي فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

فأشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم على طائفة من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، وهي معجزة له من جهات :

الأولى : إختيار الهجرة لطائفة من أصحابه .

الثانية : تحلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالصبر والرضا بما قسم الله سبحانه ، مع تعاهد الصلاة .

الثالثة : تأديب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وعامة المسلمين لقانون وهو الإعراض عن أرباب الإرهاب ، مع تحمل الأذى الشديد بسبب هذا الإعراض ، لما في الهجرة من المخاطر ، لولا فضل الله عز وجل .

الرابعة : إستجابة الصحابة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في موضوع الهجرة مع الخشية من عوارضها ، فإذا كان ذووهم وأهل بلدتهم ومجاوروا البيت الحرام يؤذونهم ، فمن باب الأولوية إيذاء غيرهم لهم ، لتسليم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بأمور :

الأول : التوحيد ونبد مفاهيم الشرك .

وفي التنزيل ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ^(١) .

الثاني : الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه رسول من عند الله عز وجل .

الثالث : التصديق بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

الرابع : الإيمان باليوم الآخر ، ولزوم الاستعداد له بالتقوى ، واجتناب الظلم والتعدي ، وإنذار قريش بعالم الحساب ، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(١).

قال (ابن إسحاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية من الله تعالى ثم من عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله تعالى لكم فرجا مما أنتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أرض الحبشة مخافة

الفتنة وفرارا إلى الله تعالى بدينهم فكانت أول هجرة كانت في الإسلام . وكانوا ، فيما قيل ، اثني عشر رجلا وامرأتين . وقيل عشرة رجال .

وبه قال ابن إسحاق وابن هشام وقيل اثني عشر رجلا وثلاث نسوة . وقيل اثني عشر رجلا وأربع نسوة . وقيل اثني عشر رجلا وخمس نسوة^(٢) .

لقد كان أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، وفيه دعوة للمسلمين للإعراض عن الأذى ، وعدم ملاقاته بمثله ليكون من باب الأولوية القطعية إجتناّب الإرهاب ، والظلم والتعدي

(١) سورة إبراهيم ٤٢ .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٦٣/٢ .

ولإخافة الناس ، أو بث الرعب في المجتمعات والمنتديات ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

لقد كانت الهجرة إلى الحبشة دعوة لقريش لمراجعة أفعالها وقبيح اقامتهم على عبادة الأصنام ، وزاجرا لهم عن إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهم فرضوا الحصار على بني هاشم وهو من الإرهاب ، والشواهد بأن الإسلام برئ منه ، ولا يقابله بالمثل ، ومن اللطف الإلهي أن المهاجرين وجدوا مندوحة في الحبشة فاقاموا الصلاة من غير أذى

قانون التضاد بين التنزيل والإرهاب

لقد جعل الله الحياة الدنيا دار التنزيل ، وليس من حصر لوجوه ومرات التنزيل إلى الدنيا ، وهو بذاته نعمة وكذا كثرت وماهية النازل من عند الله ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢). وكان آدم وحواء أول من أنزل الله عز وجل إلى الأرض من البشر لبيان أن النزول على وجوه منها :

الأول : هبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض ، ثم غلق هذا الباب إلى يوم القيامة ، فليس من بشر ينزل من السماء ، ومن الإعجاز في سنخية الناس أنهم لا يتوقعون نزول بشر بل صاروا يجتهدون بسبل العلم التي تجعلهم ينتقلون للعيش في الكواكب الأخرى ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣).

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة النحل ١٨ .

(٣) سورة العلق ٥ .

وعن (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : نزل آدم عليه السلام بالهند فاستوحش ، فنزل جبريل فنادى بالأذان : الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن محمداً رسول الله مرتين . فقال : ومن محمد هذا؟

قال : هذا آخر ولدك من الأنبياء) (١).

ليأتي العلم الحديث واكتشافات الجغرافية فتبين أن أعلى ارتفاع في الأرض هو قمة إفريست وهي من سلسلة جبال الهملايا في الهند .
لقد نزلت آيات القرآن على نحو النجوم والتدرج والتوالي ، ليكون ذات ترتيب وتجزئة الترتيب نفسه حرباً على الإرهاب واستئصالاً له ، ليكون الحرب على الإرهاب في موضوع التنزيل على وجوه :

الأول : نيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة الرسالة .

الثاني : الصلة المتصلة بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والوحي .

الثالث : نسخة الوحي التي تترشح عنها مصاديق الرحمة والرأفة .

الرابع : بقاء التنزيل في الأرض ، ليكون زاجراً يومياً عن الإرهاب .
وهناك نصوص أخرى في موضع هبوط آدم وحواء والكتاب والإجماع على أنهما هبطا من السماء بأمر من الله عز وجل بعد أن أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها .

وجاء هذا الأكل بتحريض من إبليس لبيان لزوم إجتنب الناس الإنصات إلى إبليس لأنه يدعو إلى المعصية وإلى غلبة الشهوة والغواية على الإنسان لدفعه إلى ما يضره في يومه وغده .

وفي التنزيل ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) لبيان أن الهبوط بداية السعي في طلب الهدى والرشاد ومناسبة لفعل الصالحات .

وعن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله لما خلق الدنيا لم يخلق فيها ذهباً ولا فضة ، فلما أن أهبط آدم وحواء أنزل معهما ذهباً وفضة ، فسلكه يتابع في الأرض منفعة لأولادهما من بعدهما ، وجعل ذلك صدقاً لآدم لحواء . فلا ينبغي لأحد أن يتزوج إلا بصدق^(٢) .

عن سلمان المحمدي (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن آدم أهبط إلى الأرض ومعه السندان ، والكلبتان ، والمطرقة ، واهبطت حواء بجدة)^(٣) .

الثاني : نزول الملائكة إلى الأرض ، فحينما أخبر الله عز وجل الملائكة بأنه سبحانه ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) لم تسأل الملائكة عن الأرض وصلاحها لعمارة الإنسان لها ، وإمكان الحياة فيها ، إنما قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٥) مما يدل على معرفتهم بالأرض وأنها مملوءة بالنعمة التي تكون بمتناول الذي يسكن فيها ، لذا ترى الإنسان والدواب على مختلف أنواعها تجدد في الأرض رزقها مع فضل كثير من عند الله عز

(١) سورة البقرة ٣٨ .

(٢) الدر المنثور ١/ ٨٧ .

(٣) الدر المنثور ١/ ٨٧ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٥) سورة البقرة ٣٠ .

وجل في الطعام والشراب واللباس ، وأسباب السكن والسياق وهذا الفضل وقربه من الناس دعوة لهم لنبد الإرهاب وإجتنابه ، وفي التنزيل (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) ^(١).

ولو دار الأمر بين هبوط الملائكة أو هبوط ابليس أولاً إلى الأرض ، فالمختار هو هبوط الملائكة فهم جنود الله وحراس خزائنه في السموات والأرض ، فقبل أن يخلق آدم وحواء كان الملائكة في استقبالهم وإعانتهم على الهدى الذي تذكره الآية ، وكانوا يرقبون هبوط آدم وحواء لإعانتها على الهداية وتعلم أحكام الشريعة .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فيُعرَّجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون وقال عبد الله بن مسعود: يجتمع الحرسان في صلاة الفجر، فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء) ^(٢) الحديث بيان وتفسير لقوله تعالى ﴿وَقَرَأَنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ^(٣).

ومن مقدمات غفران ذنوب بني آدم أن تسبق الملائكة ابليس في عمارة الأرض وفيه صد ومنع لإبليس من إغواء الناس .
وليبيان نكتة وهي ان السلامة من الإرهاب هي السابقة في عمارة الأرض ، وأن الإرهاب أمر عرضي زائل .

(١) سورة يونس ٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١٠٢/٥.

(٣) سورة الإسراء ٧٨.

الثالث : نزول الوحي والكتب السماوية ، ومن خصائص الوحي والتنزيل نزوله بواسطة ملك من كبار الملائكة وهو جبرئيل للدلالة على شأن القرآن والتنزيل بين أهل السماء ولزوم تعاهد الناس لأحكامه وسننه ومنها سيادة السلم المجتمعي والإمتناع عن الظلم والإرهاب .

قانون أدعية القرآن ذخائر وأحراز من الإرهاب

الدعاء توجه بالمسألة إلى الله وإقرار بأن مقاليد الأمور بيده سبحانه وأنه على كل شئ قدير ، لذا فإن الدعاء عبادة وتسبيح وتسليم بعظيم قدرة الله وسعة سلطانه ، فهو حرب على الإرهاب لأنه لجوء إلى الله ورجاء بديع صنعه .

ومن معاني ﴿وَفَتَحَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) أن طموحات الإنسان أكبر من واقعه ، ورغائبه أعم وأبعد مما في يده ويكثر من كلمة (لو) وهو حرف إمتناع لإمتناع ، أي امتناع جواب الشرط لإمتناع الشرط .
ففضل الله عز وجل وفتح للإنسان باب الدعاء ووعد عليه الإستجابة ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢) .

ليكون الدعاء عبادة وقربة إلى الله عز وجل ، وتسليم بربوبيته المطلقة ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (إن الدعاء هو العبادة)^(٣) .
وهل الدعاء توقيفي من الله ورسوله لا يجوز الزيادة فيه أم أنه أعم ، المختار هو الثاني ، إذ أن الدعاء على أقسام:

(١) سورة السجدة ١٠.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) الدر المنثور ١٧/٩.

الأول : الأدعية الواردة في القرآن ، وهي كثيرة ، وفيها كفاية للعبد إلا أن هذه الكفاية ليست برزخاً دون الإفاضة بالدعاء .

ومن الإعجاز في المقام أن المصحف الشريف يبدأ بالدعاء في سورة الفاتحة ، وينتهي بالدعاء والإستعاذة في سورة الناس ، قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(١) .

وسياتي قانون أدعية القرآن عصمة من الإرهاب .

الثاني : الأدعية التي جاءت في السنة النبوية ، وهي كثيرة ، وهي على جهات :

الأولى : ما يخص شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه الأدعية مدرسة للمسلمين ، إذ تصلح لأن يدعو بها كل مسلم ومسلمة .
(عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم إني أسألك الهدى ، والتقى ، والعفة ، والغنى)^(٢) .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من التسبيح والتهليل ، ويستعيز بالله بصوت مسموع لتأديب المسلمين ، وتعليمهم على الإستعاذة ولزوم تعاهدهم لها ، إذ يحتاج المسلمون الإستعاذة من الوسوسة .

ومن أسباب الإرهاب والتحريض عليه .

(١) سورة الناس ١-٦ .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ١٣/١٢٢ .

(عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل والهزم، والجبن والبخل وعذاب القبر. اللهم، آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم، إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها")^(١).

الثانية : دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته وأصحابه وعن (أم سلمة تذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها، فأتته فاطمة، عليها السلام، ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: "ادعي زوجك وابنيك".

قالت: ف جاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله، عز وجل، هذه الآية: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } . قالت: فأخذ فضل الكساء فغطاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"، قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال: "إنك إلى خير، إنك إلى خير"^(٢).

لتنغشى رحمة الله أهل البيت وأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالثة : تعليم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين الدعاء وبيانه لكيفية الدعاء لمن يسأله عنه .

(١) تفسير ابن كثير ٤١٣/٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٣/٦.

(سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي قَالَ : قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي . وَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ إِلَّا الْإِبْهَامَ : فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ لَكَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ) ^(١).

الرابعة : دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة وذرائعهم كما في دعائه للأنصار وأبناء الأنصار (عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأزواج الأنصار ولذرائع الأنصار كرشى وعييتي ، ولو أن الناس أخذوا شعباً وأخذت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار ، ولو لا الهجرة كنت امرأة من الأنصار .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن الحارث بن زياد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب الأنصار أحبه الله حين يلقاه ، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله حين يلقاه) ^(٢).

الخامسة : إجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء للمسلمين والمسلمات .

ليكون هذا الدعاء ميراثاً تتعاهده أجيال المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة ، وعن (ثَابِتِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ: "أَكُنْتَ تَدْعُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ وَتَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟، قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبَنِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا تَسْتَطِيعُهُ أَوْ لَا تُطِيقُهُ،

(١) سنن ابن ماجه ٤٤٥/١١.

(٢) الدر المنثور ١٤٦/٥.

أَلَا قُلْتُ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفِي^(١).

وتتجلى مدرسة الدعاء عند أهل البيت بوجوه منها الصحيفة السجادية وما فيها من التحميد والتقديس لمقام الربوبية والصلاة على النبي وآله وعلى الملائكة ومصدق الرسل، وفي المهمات والإستعاذة مطلقاً ومن الشيطان وعداوته وكيده.

والدعاء في الصباح والمساء ومنه (اللهم أجعل لنا في كل ساعة من ساعاته حظاً من عبادك، ونصيياً من شكرك، وشاهد صدق من ملائكته). ولو اختار الإنسان دعاءً من عنده غير الدعاء التوقيفي الوارد في الكتاب السنة، فهل هو بدعة، الجواب لا، فكما أن باب الدعاء للناس لا يحجبه حاجب عن الله عز وجل فكذا فان موضوع وكلمات الدعاء باب مفتوح للناس إلى يوم القيامة شرط خلوه من الحرام، ويدل على العموم قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢).

الثالث: الأدعية المستقرأة من الجمع بين آيات القرآن ومضامينها القدسية، وهو علم متصل من أيام التنزيل وإلى يوم القيامة، بلحاظ أن هذا الدعاء يكون ابتداءً ودلالة واقتباساً واستنباطاً في كل زمان، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال (يا ميسر ادع ولا تقل: إن الامر قد فرغ منه، إن عند الله عز وجل منزلة لاتنال إلا بمسألة)^(٣).

(١) تفسير ابن ابي حاتم ٢٩/١١.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) الكافي ٤٦١/٢.

الرابع : استقراء الدعاء من تفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن ، ولجوئه إلى الدعاء ، وتحريضه المسلمين على الإكثار من الدعاء فهو زينة لحياة الدنيا .

وهل الدعاء من خلافة الإنسان في الأرض ، الجواب نعم ، فحينما رزق الله عز وجل الإنسان مرتبة الخلافة فانه سبحانه فتح له باب الدعاء ، لتتقوم الخلافة بفتح باب الدعاء للناس إلى يوم القيامة ، فيمكن القول بقانون وهو الملازمة الرباعية من أمور :

الأول : الوجود الإنساني في الأرض .

الثاني : الدعاء .

الثالث : استجابة الدعاء .

الرابع : إنتفاء الحاجب بين الدعاء وبين الله عز وجل .

وهذه الأمور الأربعة مجتمعة ومتفرقة من فضل الله عز وجل وألطافه على الناس في كل زمان إذ يفزعون إلى الدعاء في الشدة والرخاء ، ومن الدعاء سؤال الله الوقاية من الإرهاب وأضراره .

قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَاةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١).

وقال تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

وهل المقصود من الإعتداء المنهي عنه في الآية أعلاه خصوص موضوع الدعاء أم المراد المعنى الأعم ، الجواب هو الثاني لوجوه :

الأول : أصالة الإطلاق .

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) سورة الأعراف ٥٥.

الثاني : القبح الذاتي للتعدي مطلقاً .

الثالث : ورود آيات أخرى بالنهي عن التعدي في غير باب الدعاء ،
منه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) ومنه قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

وقد تقدم التفصيل في بيان أن تعلق موضوع الآية أعلاه بحال الدفاع مع تقييده بعدم التعدي ، وقال تعالى ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وقال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٤).

ليبان قانون الزجر عن الإنتقام والبطش عند إنتهاء القتال ، أو عند عدم وقوعه ، وهذا المعنى العام في النهي عن التعدي في آية الدعاء لا يتعارض مع لزوم إجتتاب الدعاء الذي يتضمن الضرر والإضرار بغير حق ، وما يناقض حكمة الله وأوامره .

ليكون عدم التعدي طريقاً لحسن الدعاء ومقدمة لإستجابته .
ومن خصائص الإجتهداد في الدعاء التنزه عن أكل الحرام والباطل ، والذي يعتاد لسانه على مناجاة الله عز وجل واللجوء إليه في طلب الحاجات يمتنع عن الكذب وتنفر نفسه من الإفتراء ، ليكون التنزه عن الإرهاب والإبتعاد عنه من باب الأولوية .

(١) سورة المائدة ٨٧ .

(٢) سورة البقرة ١٩٠ .

(٣) سورة البقرة ١٩٣ .

(٤) سورة الأنفال ٦١ .

وعن (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم }^(١) وقال { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم }^(٢).

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك)^(٣).

والدعاء على أقسام :

الأول : الدعاء بالمأثور وهو الوارد في القرآن والسنة .

الثاني : الدعاء عند الحاجة وخصوص موضوع ابتلاء .

الثالث : الدعاء بالعربية الفصحى .

الرابع : دعاء الإنسان بلسانه ولغته .

الخامس : الدعاء شعراً .

السادس : الدعاء بالعامية واللهجة الدارجة ، إن الله عز وجل يسمع دعاء العباد وبأي لغة ، والأولى أن يكون بالفصحى ولغة القرآن .

ومن خصائص الدعاء أنه ينمي ملكة الصبر عند الإنسان ويجعله يتطلع إلى فضل الله وإحسانه في الليل والنهار .

والدعاء عصمة من الإرهاب وتفقه في الدين ، وإدراك الإنسان لقانون مصاحبة الحاجة له ، ورجاء الرأفة من عند الله عز وجل ، وفيه تنمية لملكة الرحمة عند الناس .

(١) سورة المؤمنون ٥١.

(٢) سورة البقرة ١٧٢.

(٣) الدر المنثور ١/٣٣٧.

(عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل". قالوا: وكيف يستعجل؟ قال: "يقول: قد دعوتُ ربي فلم يَسْتَجِبْ لي")^(١).

ترى ما هي النسبة بين الدعاء والإرهاب ، الجواب هو التنافي والتباين في الطريق والموضوع ، فالدعاء باب لجلب الخير في الدنيا والآخرة ، أما الإرهاب فانه أذى وضرر بالذات والأثر .

لقد هدى الله عز وجل الناس إلى الدعاء لما فيه من الغنى عن العنف والمشقة ، والإضرار بالذات والغير .

وقد لا يأتي العنف ونحوه بالقصد والغاية في أغلب الأحيان ، وفيه أذى في كل الأحوال ، وتحتل حاجة الإنسان إلى الدعاء وجوهاً :
الأول : عند الإبتلاء والمحنة .

الثاني : عند الشدائد وحال الحرج ، قال تعالى ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٢).

الثالث : في حال الرخاء والسعة .

الرابع : في كل حال من أحوال الحياة ، وفي السراء والضراء ، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ، فليكثر من الدعاء في الرخاء)^(٣).

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٨/١.

(٢) سورة النمل ٦٢.

(٣) سنن الترمذي ١٢ / ٢٨١.

وهل يصح الدعاء بالسلامة من الإرهاب ودفع ضرره عن الذات والغير الجواب نعم ، إذ أنه فتنة ويستحب الدعاء للتنزه والعصمة من الفتنة ، ومن إعجاز القرآن بيانه لأضرار الفتنة ، ولزوم إجتنابها .
وبين الفتنة والإرهاب عموم وخصوص مطلقاً ، وقد تتفرع عن الإرهاب الشخصي فتنة عامة مما يدل على قبحه وشدة ضرره .

الأحكام الوضعية ورشحات التنزيل

لقد برزت في هذه الأزمنة القوانين الوضعية ، وصار عليها الحكم والفصل في كثير من الأمور الحياتية ، أما الشريعة الإسلامية فهي وحي وأحكامها منزلة من عند الله ، ومناسبة لكل الأزمنة .
وقيل أن الفرق بين الفقه الإسلامي وبين الأحكام الوضعية كالفرق بين الخالق والمخلوق ، وهذا القول ليس بتمام ، لأن كثيراً من الأحكام الوضعية تتصف بخصائص:

الأولى : اقتباس عدد من الأحكام الوضعية من التنزيل .

الثانية : موافقة عدد من الأحكام الوضعية للتشريع الجنائي الإسلامي ، فمثلاً قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ، فان كثيراً من الدول الإسلامية ودول العالم تحكم بقتل القاتل عن عمد ، وفي الإسلام مندوحة وسعة لعدم وجود حد وقيد للتنازل في المقام ، وترك القود والعدول إلى الدية أو العفو من الأصل ، قال تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢) .

الثالثة : مراعاة المشرعين لحال المجتمعات وغلبة التدين فيها .

(١) سورة البقرة ١٧٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٣٧ .

الرابعة : الإقرار العام بعدم التعارض بين الأحكام الشرعية وبين حكم العقل ، فحينما يلجأ المشرع إلى العقل لصياغة مسألة في الفقه الدستوري أو التشريعي يجد الحكم الشرعي أمامه ويتعذر عليه الإعراض عنه .

الخامسة : تجلي قانون وهو ترشح النظام والأمن عن الأحكام الشرعية والعمل بها .

ولابد من جعل موضوعية للأنظمة والقوانين المعمول فيها بالبلد عند التعامل مع الآخرين ، وتحرم هذه القوانين الإرهاب ونشر فلسفة التخويف والتفجيرات ، فلا بد من إحترام هذه القوانين ، والتقييد بها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

إن إبتداء نزول القرآن بالأمر للنبي ويلحق به عموم المسلمين بـ ﴿اقْرَأْ﴾^(٢) شاهد على تنزه الإسلام عن الإرهاب ، وما يترشح عنه من الأذى والضرر والشقاء ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿طه﴾ * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَتَشْتَكِيَ^(٣) فمن الشقاء مزاولة الإرهاب من قبل المشركين ، لتتضمن الآية أعلاه سلامة النبي والمؤمنين من الشقاء الذي في الإرهاب ، أو الذي يترتب عليه ، ومن الشواهد عليه أنه إذا قام الذي ينتمي إلى ديانة بعمل إرهابي وفق العرف العام في هذا الزمان يصير سخط وملامة ودم نحو تلك الديانة مع أنها بريئة منه ، ولا تأمر به .

(١) سورة المائدة ١٠٥ .

(٢) سورة العلق ١ .

(٣) سورة طه ١-٢ .

وترى المؤمنين والمؤمنات في بلاد الغرب خاصة يشعرون بالخرج إذا قام أحد الذين ينتمون إلى الإسلام بالتعدي أو القتل العشوائي ، ليقضى قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(١) وكونه أول ما أنزل من القرآن شاهداً على تنزه تنزه الإسلام عقيدة ، وسنناً عن الإرهاب والظلم والتعدي ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

ولم يغادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحياة الدنيا إلا بعد أن نزل عليه تمام آيات وسور القرآن ، وهو من أسرار عصمته من إرهاب المشركين وسلامته من خطط الإغتيال التي كانت قريش تحيكها له سواء قبل هجرته إلى المدينة أو بعدها .

حتى أنهم كانوا يشعلون المعارك الكبيرة ضد المسلمين ومن غاياتها قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في معركة أحد التي استعد لها المشركون لمدة عام واحد ، وكانوا يبعثون رسائل التهديد إلى المدينة ، ومما تتضمنه من عزمهم على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورميه بالسهم والحجارة في ميدان المعركة ، ومن قبل أشخاص متعددين .
منهم :

الأول : عتبة بن أبي وقاص .

الثاني : ابن قمئة الذي أشاع في الصنفين بأنه قتل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم (لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجر فكسر ربايعيته وشج وجهه ، أقبل يريد قتله فذب عنه صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم

(١) سورة العلق ١.

(٢) سورة البقرة ٢٢٩.

بدر ويوم أحد ، حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : قد قتلت محمداً .

وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل . وقيل : كان الصارخ الشيطان ، ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : إليّ عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه ، فلامهم على هربهم ، فقالوا : يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي :

أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين : ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان . وقال ناس من المنافقين : لو كان نبياً لما قتل ، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم . فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : يا قوم ، إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه .

ثم قال : اللهم إني أعذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل^(١).

الثالث : أبي بن خلف الجمحي الذي تقدم شاهراً سيفه نحو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتله .

وعن (عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلف ، أخو بني جُمَح ، قد حلف وهو بمكة لَيَقْتُلَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلفته قال : "بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ ، إِنْ شَاءَ الله". فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مُقَنَّعاً ، وهو يقول : لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا مُحَمَّد .

فحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد قتله ، فاستقبله مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، أخو بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تَرْقُوةَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ مِنْ فَرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الدَّرْعِ وَالْبَيْضَةِ ، وَطَعَنَهُ فِيهَا بِمِجْرَبَتِهِ ، فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ عَنْ فَرْسِهِ .

لم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خُوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خدش ؟ فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "أَنَا أَقْتُلُ أُنْبِيَاءَ" . ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعُونَ . فمات إلى النار ، فسحقا لأصحاب السعير ^(١) .

وفي هذا الخبر شاهد على أن كفار قريش يحملون لواء الإرهاب ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لم يهجموا ولم يغزوا ، إنما كانوا في حال دفاع واضطرار وسعي وجهاد لإستصال الإرهاب ، وهو الذي تجلّى بسيادة وشيوع الأمان في الجزيرة بعد فتح مكة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٢) وسواء كان المراد من الفتح في الآية أعلاه صلح الحديبية أو فتح مكة فإن كلا منهما سبب لإستصال الإرهاب والوآد والنهب والسلب لبيان المنافع الإجتماعية والإقتصادية لنزول الآية القرآنية .

(عن مجمع بن جارية قال : لما كنا بضجنان رأيت الناس يركضون ، وإذا هم يقولون : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فركضت مع الناس حتى توافينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

(١) تفسير ابن كثير ١٤٠/٢ .

(٢) سورة الفتح ١ .

فإذا هو يقرأ { إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً }^(١) فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال : ليهنك يا رسول الله ، فلما هنأه جبريل عليه السلام هنأه المسلمون^(٢).

لقد أسس القرآن والسنة النبوية منهجية السلم المجتمعي بما فيه خير الدنيا والآخرة ، وتأکید تعاھد الضروریات الخمس وهي :

الأولى : حفظ الدين والشريعة وأحكامها .

الثانية : حفظ النفس ، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾^(٣) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ولا يدري المقتول على أي شيء قتل)^(٤) وورد (أنه سأله سائل ، فقال : يا أبا العباس ، هل للقاتل للقاتل من توبة ؟ فقال ابن عباس كالمعجب من شأنه : ماذا تقول ؟ فأعاد عليه مسأله .

فقال له : ماذا تقول ؟ مرتين أو ثلاثا ، ثم قال ابن عباس : أنى له التوبة ؟ سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديه ، متلبياً قاتله بيده الأخرى ، تشجب أوداجه دما

(١) سورة الفتح ١.

(٢) الدر المنثور ٩/٢١١.

(٣) سورة الفرقان ٦٨-٦٩.

(٤) صحيح مسلم ٤/٢٣٢١.

، حتى يأتي به العرش ، فيقول المقتول لرب العالمين : هذا قتلني ؟ فيقول الله للقاتل : تعست ، ويذهب به إلى النار^(١).

الثالثة : سلامة العقل ، وحق التفكير والإختيار .

الرابعة : تعاهد المال ، والمنع من التعدي عليه .

الخامسة : حفظ النسل .

ومن معاني الضروريات في المقام أي الأسباب والمقاصد والغايات والأنظمة التي تستديم معها الحياة وتجعل الناس في سعادة وتحفظ حقوقهم ، وتحقق المصالح ، ويتحصن المجتمع من التعدي والظلم .

ومن معاني الضروريات في المقام عدم استغناء الناس عنها في حياتهم العامة والخاصة ، وقد يطلق عليها الكليات الخمس ، جاءت بها الملل السماوية كلها ، وهي (الدين ، النفس ، العقل ، النسل ، المال) وجاء التفصيل في (قانون الضروريات الخمس دافع للإرهاب)^(٢).

ونزلت آيات قرآنية عديدة بحرمة القتل ، وهل المراد بالأنفس بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٣) النهي عن الإنتحار أم المعنى الأعم ، الجواب هو الثاني ، إذ تشمل الآية النهي عن قتل الغير ، وعن تعريض النفس بسبب هذا القتل إلى القصاص والإعدام والسجن وتعطيل الحركة ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرُنَا لَنُصَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

(١) المعجم الأوسط / الطبراني ٤٢١/٩.

(٢) أنظر ص ١٤٢ من هذا الجزء.

(٣) سورة النساء ٢٩.

(٤) سورة الأنعام ٧١.

قانون سورة المدثر ترغيب بالتقوى

لقد أكرم الله عز وجل الأنبياء بان ذكر عدداً منهم بأسمائهم في القرآن ، وخاطب بعضهم ، وهو من مصاديق اصطفايتهم وكذا تلقيهم الخطاب الإلهي ، والتوفيق للعمل بمضامينه ، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنَسِتُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾^(٣).

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(٤).

ولم يرد لفظ ﴿لِتُصْنَعَ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وقال تعالى ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة ٣٥.

(٢) سورة هود ٤٨.

(٣) سورة هود ٣٧.

(٤) سورة طه ٣٩.

(٥) سورة البقرة ٧٨.

وخاطب الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقوله
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾^(١).

ولقد أكرم الله سبحانه النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه
بأوصاف تدل على الثناء عليه ، والدعوة إلى التصديق به منها :

الأول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾^(٢) ووردت في مواضع متعددة من القرآن منها
قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ليبان لزوم رضا المؤمنين بما أنعم الله عز وجل عليهم ، وبما قسم لهم
وأصلحهم وهداهم لعدم التعدي والظلم للناس .

الثاني : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾^(٤) ، إذ ورد هذا الخطاب إلى النبي محمد صلى
الله عليه وآله وسلم في القرآن مرتين ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ
الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ
وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لَقَوْمٌ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ

(١) سورة الطور ٤٨-٤٩.

(٢) سورة الأنفال ٦٤.

(٣) سورة الأنفال ٦٤.

(٤) سورة المائدة ٤١.

فَاَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْهُ اللَّهُ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(١).

وفيه دعوة للصبر وعدم البطش بالناس والإضرار بهم بدلالة النهي عن الحزن الذي يدل بالأولوية على عدم التصعيد والانتقام ، لأن الحزن كيفية نفسانية.

فالآية تمنع عنها ، مما يدل على المنع من الإيذاء بالجوارح حتى اللسان ، لأن الله عز وجل جعل الدنيا دار الصبر ، والشكر له سبحانه ، ولأن المعجزات تترى على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه دعوة للهداية والصلاح .

والمدثر هو من الدثار ، وهي الثياب التي فوق الشعار ، والشعار هو الثوب الذي يلي الجسد ، سمي به لأنه يلي شعر الجسد ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأَنْصار (أَنْتُمْ الشَّعَارُ وَالنَّاسُ الدَّثَارُ)^(٢).
وقام الإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة : أَنْتُمْ الشَّعَارُ دُونَ الدَّثَارِ ، ونسب القول للإمام الحسن .

فبادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع إلى خديجة .
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (فَنَزَعَنِي الْوَحْيَ مَرَّةً فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي أَتَانِي بِحَرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى الْكَرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِثَّتْ مِنْهُ فِرْقاً

(١) سورة المائدة ٤١.

(٢) مسند أحمد ١٣٢/٢٧.

حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي فقلت زملوني فأنزل الله سبحانه يا أيها المدثر^(١).

كما نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾^(٢) لبيان خطاب الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على هيئة في لباسه ، ولأنه حينما جاءه جبرئيل في غار حراء وجواره وبلغه الرسالة رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خديجة ، وقال (زملوني زملوني) فنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾^(٣) .

وفي مصحف ابن مسعود وابي بن كعب (يا أيها المتزمل)
لقد رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بداية البعثة جبرئيل على كرسي بين السماء والأرض فأصابه الفزع والرعب ورجع إلى خديجة وقال : زملوني زملوني ، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(٤) وذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتدثر بقطيفة .

ثم نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل جابر بن عبد الله بخصوص أول ما نزل من القرآن فقال جابر (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٤١٣/١٣.

(٢) سورة المزمل ١.

(٣) سورة المزمل ١.

(٤) سورة المدثر ١.

(٥) سورة المزمل ١-٢.

فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثت منه رعباً .

فرجعت فقلت دثروني فدثروني ، فنزلت { يا أيها المدثر قم فأندر^(١) } إلى قوله : { والرجز فاهجر^(٢) } .

وحينما نزل الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتلا عليه جبرئيل القرآن ، وأيقن أنه نبي الزمان لم يحمل سيفاً لمحاربة المشركين ، ولم يقيم بهدم الأصنام التي في البيت إنما لجأ إلى خديجة وطلب أن تدثره في الفراش ، لتكون ساعة خلوة وتدبر ، فلم يختار الدثار لينام .

لقد أراد الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن حين بدايتها العصمة من الإرهاب ، والإمتناع عن مقدماته ، وفيه دعوة للناس للتآلف واللجوء إلى الإحتجاج وإقامة البرهان مع بسط الأمن والأمان في الأرض .

قانون الإيثار حصن من الإرهاب

لقد أخبرت قوانين القرآن عن الملازمة بين الإيمان والإيثار ، وأن كلاً منهما باب للرزق الكريم ، قال تعالى ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٣) .

وآثره إيثاراً ، أي اختاره وفضله ويقال : آثره على نفسه .
والإيثار في الإصطلاح تقديم الغير على النفس في الإنفاق والعطاء والإستحقاق .

(١) سورة المدثر ١-٢ .

(٢) الدر المنثور ١٠/١٣٠ .

(٣) سورة الحشر ٩ .

وقد تجلّى بآيات منها قوله تعالى ، في الشاء على أهل البيت
﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١).

وتجلت أبها معاني الإيثار في رشحات التآخي بين المهاجرين والأنصار ،
إذ كان الأنصار يقسمون أرزاقهم بينهم وبين أخوتهم من المهاجرين .
يجود بالنفس إذا ضن البخل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
قاله الشاعر مسلم بن الوليد ، وكان يسمى صريع الغواني (٧٥٧-
٨٢٣) ميلادية وتوفى سنة (٢٠٨) هجرية ولد بالكوفة لأب حائك ،
والمختار أنه فارس الأصل مولى أبي أمانة اسعد بن زرارة الخزرجي من
الأنصار ، وليس منهم نسباً .

أنتقل إلى البصرة مع أخيه سليمان الذي كان أعمى ، وأتهم بالزندقة ،
وليس في شعره ما يدل عليه .

وهو أستاذ دعلب الخزاعي ، ورائد مذهب التصنيع الذي تجلّى في شعر
أبي تمام وابن المعتز .

وسبب نعته بصريع الغواني هو قصيدته في مدح هارون الرشيد ومنها
(وما العيش إلا أن تروح مع الصبي ... وتغدو صريع الكأس والأعين
النجل

فلقبه صريع الغواني فجرت عليه ، وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة
الهاشمية ، وفيه:

أما والحبالات الممرات بيننا ... وسائل أدتها المودة والوصل
يروي الممرات بكسر الميم الثانية والممرات بفتحها ، فمن كسرهما فهي
الناصبة لقوله وسائل ، ومن فتحها جعل وسائل بدلاً من الحبالات. وفيه:

يذكرنيك الدين والفضل والحجى ... وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل

وهذا أخذه من قول أبي الشغب العبسي يرثي بني الزهراء، واسمه عكرشة العبسي وقيل يرثي بنه:

غطارفة زهر مضوا لسيلهم ... ألهني على تلك الغطارفة الزهر

يذكرنيهم كل خير رأيت ... وشرّ فما أنفك منهم على ذكر^(١).

وانقطع مسلم بن الوليد إلى يزيد بن يزيد أد قادة الرشيد وقربه مزيد ، ثم مدح البرامكة وأكثر من الثناء عليهم ، ولما وصلت الوزارة إلى الفضل بن سهل أيام المأمون قربه ومنحه ، وولاه أعمالاً في جرجان ثم الضياع باصبهان وتجمع الأموال الطائلة من عمله ولكنه انفقها في ملذاته وشهوته .

والفصل بين سهل السرخسي (١٥٤-٢٠٢) هجرية (٧٧١-٨١٨) ميلادية

سليل ملوك المجوس إذ اتصل أبوه سهل بسلام بن الفرّج مولى يحيى بن خالد البرمكي أيام الرشيد ، والسلم على يديه وسهل له سلام التقرب من البرامكة ، والذي جاء بولدية الفضل والحسن فجعلهما في خدمة البرامكة ، وقام الفضل بترجمة كتاب من الفارسية إلى العربية فاعجب به يحيى وقربه إلى الرشيد ، ثم أمر يحيى أبنه جعفر إذ يدخل الفضل على المأمون ، وكان ولي العهد .

فاسلم على يدي المأمون ، فوهبه أموالاً وخدماء وحشماً ورزقاً جارياً . وكان الفضل ملازماً لجعفر ، فلما حدثت نكبة البرامكة لزم الفضل المأمون وصار وزيره ، وكان حسن الرأي كلياً ، تأتي الوقائع لتدل على رجحان عقله وفوض له المأمون أموره .

وسماه المأمون ذا الرياستين وهما :

(١) سمط اللألي ١٢٢/١.

الأول : السيف .

الثاني : القلم .

وكان الفضل يتشيع ، وكانت ولاية العهد آنذاك للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وأمر الفضل جنوده بطرح اللباس الأسود شعار العباسيين ، ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين وغضب المأمون على الفضل لأنه كان يخفي عليه الفتن والثورات التي تقع في العراق ، إذ كان المأمون في مرو من خراسان .

وخشي المأمون على ملكه وسلطانه من الفضل الذي قال أبيات من الشعر نسب فيها تولى المأمون الحكم لهم ولجهدهم .

قد نصرنا المأمون حتى حوى الملك ففينا طريقه وتلاوه

فقرر المأمون الانتقال إلى بغداد ، وفي الطريق وفي مدينة سرخس قُتل الوزير الفضل بن سهل وهو من الحمام وتظاهر المأمون بالبراءة من قتله وقتل عدداً من الرجال وخادمه سراجاً به ، وعزى أخاه الحسن بن سهل ، ورثاه مسلم بن الوليد الذي اعتكف بعدها ، ومات مسلم سنة (٢٠٨) هجرية (٨٢٣).

وقال (التنوخي ، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني ، قال: حدثنا أبو بكر بن محمد بن القاسم الأنباري ، قال: حدثنا أبو الحسن بن البراء ، عن شيخ له ، قال: قال مسلم بن الوليد ، ثلاثة أبيات ، تنهى فيها ، و زاد على كل الشعراء ، أمدح بيت ، وأرثى بيت ، وأهجى بيت .

فأما المديح ، فقلوه:

يجود بالنفس إذ ضن البخل بها ... و الجود بالنفس أقصى غاية الجود
و أما المراثية فقلوه:

أرادوا ليخفوا قره عن عدوه ... فطيب تراب القر دل على القبر

و أما الهجاء فقولہ:

حسنت مناظره فحين خبرته ... قبحت مناظره لقبح المخبر^(١).
وهذا الإطلاق في التفضيل ليس بتام فقد أنعم الله على الناس بتعدد المواهب والملكات مع اختلاف الأذواق والتباين في الحكم وملكه.
لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار التراحم بين الناس ، وهو من رشحات رحمة الله عز وجل بهم ، إذ يرثهم الله ليتراحموا بينهم ، كما أن هذا التراحم سبب لنزول رحمة الله عليهم من غير أن يلزم الدور للتباين الجهتي ، لذا تفضل الله عز وجل وأوجب على كل مسلم ومسلمة قراءة سورة الفاتحة سبع عشرة مرة والتي تبدأ بالبسملة ثم آية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم آية ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ومن رحمة الله عز وجل هداية الناس إلى الإيثار في جلب النفع ودفع الضرر ، إذ يختار الإنسان إيثار وتقديم غيره في بعض المنافع والمصالح والحاجات الدنيوية إبتغاء الأجر والثواب ، وجاءت آيات القرآن ببيان عظيم ثواب الإحسان مطلقاً والإيثار على نحو خاص ، قال تعالى ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقِيبَةً * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾^(٢) وبين الجود والسخاء عموم وخصوص مطلق مطلق فالجود أعم إذ أن الجواد يعطي الكثير سواء بقي عنده مثله أو أقل ، أما السخاء فهو الكرم والبذل بما لا يشق عليه .
وبين الإيثار والجود عموم وخصوص مطلق ، إذ أن الإيثار هو تقديم الغير على الذات مع حاجة الذات والنفس لذات الشيء .

(١) نشوار المخبر ١/ ٣٣٧.

(٢) سورة البلد ١١-١٤.

وفي هذه الضروب الثلاثة مع تباين مراتبها برزخ دون الإرهاب ، ومانع لها ، إذ أن الذي يسعى في إيثار غيره على نفسه يجتنب الإضرار بالغير ، نعم من الناس من يقوم بإيثار غيره على نفسه من أهل ملته أو عشيرته أو بلده بينما تجده على الضد مع الغير ، فجاء القرآن بلزوم الإطلاق في حسن الخلق والمعاملة الحسنة مع الناس جميعاً ، وهو أعم من الإيثار ، قال تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١).

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالأخلاق الحميدة والجهاد من أجل تثبيتها ، ويعضد النبي فيها القرآن والوحي ، لذا قام المشركون والمفسدون بإيذائه وأخل بيته ، وتعذيب عدد من أصحابه حتى أضطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى دعوة طائفة منهم للهجرة إلى الحبشة ، ومنهم من لم يخشى على نفسه من أذى قريش لأن عشيرته تحميه ، ولكنه هرب بدينه ، وإرادة سلامة عقيدته ، فصحيح أن العشيرة تحميه من أذى كفار قريش إلا أنها تضغط عليه بترك الإسلام ، وينعتوه بأنه صبا وترك ما كان عليه الآباء ، ليكون فيه شاهد على حبه أبي طالب وتحمله الأذى في الذب عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونشر الإسلام ، قال تعالى ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٢).

وقد فرض الله عز وجل الزكاة والخمس لتنمية ملكة الإيثار عند عموم المسلمين ، فحتى الذي لا تتعلق الزكاة بماله يقوم بالكرم والسخاء

(١) سورة البقرة ٨٣.

(٢) سورة آل عمران ١٦٢.

لصيرورتها ملكة عند المسلمين ، ولكبرى كلية وهي إقرار كل مسلم ومسلمة ليوم الآخر وعالم الجزاء والثواب .

فمن خصائص القرآن أنه يجعل عالم الحساب حاضراً في الوجود الذهني ، وفيه واقية من الإرهاب والانتقام والبطش ، ولا عبرة بالقليل النادر الذي يظن أن الإرهاب طريق إلى النعيم ، فهذا الظن لا أصل له ولن يجد له تربة وحاضنة في أي زمان لا سيما في زمان العولمة وتقارب الحضارات ، وتجليات مفاهيم الإيمان للناس جميعاً ، إذ أن تلاوة المسلمين آيات القرآن دعوة قدسية لهم للتدبر في معاني الآيات وآيات السلم والرحمة والرفق والتسامح ، وللإنشغال باصلاح الذات ، ورد عن الحسن ان ابن مسعود(سأله رجل عن قوله { عليكم أنفسكم } فقال : أيها الناس ، إنه ليس بزمانها فإنها اليوم مقبولة ، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا ، أو قال : فلا يقبل منكم ، فحيثذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)^(١).

قانون الضرورات الخمس دافع للإرهاب

لقد خلق الله عز وجل الإنسان بعظيم قدرته ، وجعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) وصيره محتاجاً .

فلازمته الحاجة في كل لحظة من حياته ، وليس من حصر لهذه الحاجة كما ونوعاً ، ومنها الحاجة إلى ضروريات الحياة وهي الحاجات لأموال التي لا غنى له عنها ، ولا يقدر عليها إلا الله عزو جل .

(١) الدر المنثور ٥/٤ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

والضرورة غير الإضرار الذي يعني الإرغام على الشئ واللجوء إليه والإكراه عليه ، قال تعالى ﴿أَتَنْتَبِهُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١) ، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(٢) .

ومن أسماء الله عز وجل النافع الضار فهو خالق الأشياء كلها ، وهي مستجيبة لأمره ، ومن النفع العظيم الذي يتفضل به الله عز وجل تهيئة الضروريات للناس ، وليس لأحد أن يسعى في الإضرار بالناس من غير حق .

وهل الإرهاب من هذه الإضرار الجواب نعم ، فهو أذى للذي يتوجه له ولعامة الناس حتى البعيد عنه بواسطة وسائط الإعلام الحديثة .
وهل الحاجات والمستلزمات التي يطلبها الإنسان على مرتبة واحدة ، الجواب لا ، إنما هي متباينة ومتفاوتة ، ويمكن تقسيمها إلى مراتب :
الأولى : الضروريات وهي التي يحتاج إليها الناس ولا يستطيعون الإستغناء عنها ، ومنها الكليات الخمسة .
وسياتي أدناه التفصيل .

الثانية : البلغة : وهو اصطلاح جديد نذكره في المقام لما يحتاجه الناس مقدمة لتحقيق مصالح هامة في حياتهم ، تكون هناك مشقة في غيابها أو فقدانها .

الثالثة : التحصين وهو نوع تكميل ، وفيه المندوحة والسعة في الإستعمال والتصرف في المأكل والملبس والسكن ونحوه .

(١) سورة النمل ٦٢ .

(٢) سورة البقرة ١٧٣ .

وهناك مدارس في علم الاجتماع والنفس بحيث أطلقت تصنيفاً آخر ،
فذكروا عنوان احتياجات الإنسان الأساسية تكون ملازمة لصفته الإنسانية
منها .

الأول : الوجود (العيش) وما يتفرع عنه من الصحة البدنية والعقلية
والغذاء والمأوى والعمل ، الحالة الاجتماعية ونحوه .

الثاني : الحماية والأمن والرعاية الطبية ، والثبات مع المجتمع واستقلال
الشخصية .

الثالث : المودة والتراحم ، والصدقة والكرم ونحوه .

الرابع : الإدراك والفهم ، والحدس والمهارات .

الخامس : المشاركة والإيثار والبذل والتضحية والإحسان والمسؤوليات
وعمارة المساجد ودور العبادة والجمعيات .

السادس : الإبداع والجرأة والفضول .

السابع : الهوية والانتماء والولاء واللغة والدين والعادات والقيم ،
والحكم الخاص ، وإكرام الذات ، قال تعالى ﴿وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا
تَفْضِيلًا﴾^(١).

الثامن : الحرية .

وهناك تقسيم آخر قريب منه .

وأقل في أفرادهِ ويبدأ الوجود بالولادة والعيش ، والإملاك والعمل ،
ويلاحظ في عموم هذه التقسيمات خلوها من أفراد ومعاني الإرهاب
والعنف وسفك الدماء والقتل العشوائي واستعمال السكاكين والآلات

الجراحة مما يدل على أن الإرهاب خلاف الملل السماوية وعلوم الاجتماع الحديثة منها ، والضروريات أو الكليات الخمسة هي :

الأولى : حفظ الدين : وهو علة وجود الإنسان في الأرض ، لقد ارتقى المسلمون في سلم المعارف الإلهية بآية واحدة وهي قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

وهل في الآية أعلاه وعد من الله عز وجل بهداية الناس إلى عبادته أم أن القدر المتيقن منها هو وجوب تقيد الناس بعبادة الله عز وجل ، الجواب هو الأول وهو من اللطف الإلهي إذ يأمر الله عز وجل الناس بأسباب الإمثال له ، وينهاهم عن أمر ويصرف عنهم مقدماته ويبعدهم عنه .

ومن معاني ضرورة حفظ الدين سعي الإنسان لحفظ ملة التوحيد وأداء الفرائض وتنظيم الشعائر ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢).

وتترشح عن حفظ الدين منافع في النشاطين وضروب كثيرة ومتداخلة من الخير والفضيلة .

قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ومن الدين الإيمان بالله عز وجل ورسله وكتبه ، وملائكته واليوم الآخر .

(١) سورة الذاريات ٥٦ .

(٢) سورة الحج ٣٢ .

(٣) سورة الروم ٣٠ .

والتدبر في الآيات الكونية بلحاظ أنها برهان عقلي ، وشاهد حسي على عظيم قدرة الله عز وجل ووجوب عبادته ، وقد ندب الله عز وجل الناس للتدبر فيها واتخاذها وسيلة للإمتناع عن الظلم والتعدي بالإرهاب ، قال تعالى ﴿وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُرَوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(١).

ومن مصاديق اللطف الإلهي في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) فرض العبادات على نحو مخصوص في الماهية والكيفية والوقت ، والوجوب العيني وموارد العزيمة ، والرخصة وضبط دقيق سواء في الصلاة أو الصيام أو الحج أو الزكاة أو الخمس بما يجعل الناس يتعاهدون عبادة الله عز وجل في الأرض وفيه تركة الأجيال المتعاقبة . ومن الآيات توالي الثناء على الإنسان العابد الزاهد في حياته وبعد موته .

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : (وما تقرب الي عبدي بشئ احب الي مما افترضت عليه وما زال يتقرب الي بالنوافل حتي احبه فإذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني عبدي اعطيته ولئن استعاذني لاعيذنه)^(٣).

وقيل شرع الجهاد لحفظ الدين ، والقصاص لحفظ النفس وحد السرقة لحفظ المال ، وحد الزنا والقذف لحفظ العرض وحد الشرب لحفظ العقل .

(١) سورة يوسف ١٠٥.

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٣٤٦ .

ولكن هذه الأفراد من باب المثال والمصداق وإلا فإنه ليس من حصر لمصاديق كل ضرورة من الضرورات الخمس ، إذ تكون الضرورة حاضرة في كل قول وفعل للإنسان .

ومن خصائص الحياة الدنيا أنها دار امتحان وإبتلاء ، فيأتي الإمتحان والإختبار دفعة أو تدريجياً ليختار الإنسان الفعل أو الترك ، ليكون الترك هنا أمراً وجودياً بلحاظ إختياره عن قصد ، لذا فإن ترك الأكل والشرب في شهر رمضان طاعة لله عز وجل أمر وجودي وليس عديماً ، ولا يختص حفظ الدين بالجهاد والقتال .

إذ جاءت آيات القرآن بحفظه بواسطة أمور منها :

الأول : البشارات التي وردت في الكتب السماوية السابقة بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وظهور شريعته ، وتجليات أحكام الإسلام ، قال تعالى ﴿أَبْيَكُمُ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فِئْتُمُ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(١).

الثاني : الأوامر الإلهية بأداء الفرائض العبادية والزجر والتخويف من تركها والإستخفاف بها ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢) أي مفروضاً وقتاً بعد وقت ، كما أدى المسلم صلاة فريضة كصلاة الصبح تعقبها صلاة أخرى قد حان وقتها وهي صلاة الظهر التي

(١) سورة الحج ٧٨.

(٢) سورة النساء ١٠٣.

تجب عند زوال الشمس عن كبد السماء ، لينشغل المسلم بالعبادة عن الأخلاق المذمومة وعن الظلم والتعدي .

الثالث : ذكر القرآن للنواهي والمفاسد التي يجب إجتنبها ، ومنها الظلم والجور .

الرابع : إنذارات القرآن ، والتخويف باليوم الآخر والوقوف يومئذ للحساب (عن معاذ بن جبل : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الله ينادي يوم القيامة يا عبادي ، أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ، أحضروا حجتكم ويسروا جواباً ، فإنكم مسؤولون مُحَاسَبُونَ ، يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب) ^(١).

وليس من حجة للإرهاب ، ويعجز صاحبه عن الجواب حين السؤال وعندما يتقدم ضحاياه بشكواهم إلى الله ، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ بظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ^(٢) في النشاطين .

قانون كثرة وتنوع الوفود إلى النبي محمد (ص)

تدل آيات كثيرة من القرآن على أن الإسلام دين التسامح والرافة ، ونزل الأمر من عند الله عز وجل بالإكتفاء بالتبليغ وإقامة البرهان ، ومن غير التعرض للمشركين بأذى حتى مع قوة دولة الإسلام .

قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣).

(١) الدر المنثور ٦/٣٧١.

(٢) سورة الأنفال ٥١.

(٣) سورة التوبة ٦.

ويدل لفظ ﴿اَسْتَجَارَكَ﴾ في خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقام رئاسة الدولة والشأن والقدرة على حماية المشرك الذي يستجير به ، ولم تذكر الآية الذي استجار منه المشركون ليفيد التنكير الإطلاق أي أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عنده القدرة على الإجارة من أي قوة وقبيلة ودولة يستجير منها الناس ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يمنع إجارته عن المشرك للأذى الذي يترتب عليه ، أو لقوة الطرف الآخر الذي يطلبه ، إذ نزل الأمر من عند الله ﴿فَأَجْرُهُ﴾ وتقديره فأجره وأن الله عز وجل هو الذي يجعل هذه الإجارة ناجحة ومفلحة .

لتكون آية (الإجارة) معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتتضمن نبذ الإرهاب ومنع المسلمين والمسلمات منه ، وتحصينهم والناس منه ، لدلالة أن الإجارة حفظ للمستجير ، ومناسبة لإسماعه آيات القرآن وليس في الآية الإنتقام والثأر .

وحتى لو قام المشركون بإيذاء المؤمنين ، والإضرار بهم فإنهم حينما يأتون لطلب الأمان يجارون ويكون لهم الأمان عن الذات والغير فيدفع عنهم الضرر ، وتتلّى عليهم آيات القرآن .

و (قال الضحاك والسدي : هي منسوخة بآية الأمر بقتل المشركين)^(١) والدليل بخلافه والآية محكمة ، فإن جاء بعض المشركين للإستغاثة ، ولطلب الحكم والقضاء فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين

مأمورون بإغاثته ، والحكم بالحق ، ومنع تجدد الظلم عليه ، ليكون من معاني قوله تعالى ، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(١) وجوه :

الأول : سماع آيات القرآن من لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة .

الثاني : سماع آيات القرآن عند أداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الصلاة وتلاوتهم للقرآن فيها ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) .

الثالث : سماع الحكم الشرعي وذات الحكم فرع التلاوة وآيات القرآن.

فمن معاني الإحكام في الآية وعدم النسخ لها ، عدم إختصاص موضوعها بإرادة سماع القرآن أو القدوم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإختيار دخول الإسلام أو عدمه أو لإستقراء صيغة الرسالة أو أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما الإجارة عامة في موضوعها وزمانها ومنه دفع الظلم فاذا كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مأموراً بإجارة وحماية المشرك وإعانتة وتوفير أسباب المعيشة له مدة الإجارة ، وهذا التوفير من رشحات سماعه لآيات القرآن طوعاً وقهراً ، من خلال تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لها وكيف أنها تدعو إلى الرحمة والعصمة من الظلم ، وهو من أسرار تلاوة القرآن جهراً في الصلاة ، فان قلت قد يكون المستجير هو الظالم ، الجواب تصفه الآية بالمشرك وهو

(١) سورة التوبة ٦.

(٢) سورة الأعراف ٢٠٤.

أشد الظلم للنفس والغير ، قال تعالى ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) . ومع هذا تأمر الآية باجارتها حتى يتبين الحق .

ومن معاني الآية وإستجارة المشركين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليم الناس جميعاً بأنه يحكم بالحق ولا يرضى بالظلم والتعدي والجور .

ولا يأتي المستجير من نفسه فقد تشير عليه عائلته وغيرهم بالذهاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى ﴿فَأَجِرْهُ﴾^(٢) بصفة النبوة والرسالة والولاية .

لقد جاءت وفود العرب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم على أقسام :

الأول : الذين يأتون ليدخلوا الإسلام .

الثاني : الذي يبعثهم قومهم لإستقراء حقيقة أمر الرسالة ومعجزاتها .

الثالث : مجئ عدد من المشركين إلى المدينة طلباً للأمان من قبائل وجماعات أخرى تعتدي عليهم أو لانتزاع حقوق لهم ، كما لو قامت قبيلة بإستضعاف قبيلة أو أغارت عليها وأخذت السبايا ، واستولت على أموالهم ، فيأتون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإستجارة فأمره الله عز وجل أن يجيرهم ، ويدفع عنهم الظلم .

لتدل هذه الآية على جانب من وظائف الإمامة الكبرى للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس ، ويكون أماناً لأهل الأرض ، وهو

(١) سورة لقمان ١٣.

(٢) سورة التوبة ٦.

من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) لبيان أن
رشحات من مفاهيم الآية أعلاه ينتفع منها عامة الناس ، ومنهم المشركون .
وبعد معركة بدر جاء رجال من كبار مشركي قريش إلى المدينة لطلب
فك أسراهم ودفع الفدية الخاصة بهم ، فلم يتعرض لهم أحد بشئ ، بل
دخل أبو سفيان رئيس جيش المشركين في معركة أحد إلى بيت النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة والذي فيه قبره الآن .

فبعد صلح الحديبية في السنة السادسة نقضت قريش شروط الصلح
باشترائها وتعريضها لهجوم بني بكر على قبيلة خزاعة التي دخلت في
حلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج وفد من خزاعة
برئاسة بديل بن ورقاء إلى المدينة ، وأخبروا النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بما لحقهم من القتل والجراحات وسيأتي بيانه .

وفيه شاهد على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يغزو
أحداً ولا يحث على الغزو فحتى الذين يحالفون النبي صلى الله عليه وآله
وسلم كقبيلة خزاعة يجتنبون القتال والغزو .

وبعد غزو بني بكر وقريش معهم لخزاعة ، ذهب وفد منهم للنبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبروه بنقض الصلح ، ثم انصرف وفد
خزاعة قافلاً إلى مكة فلقاهم أبو سفيان بعسفان^(٢) وقد بعثته قريش ليجدد
عقد الصلح ويزيد في المدة إذ أنهم خافوا من تبعات فعلهم ، وعلموا أن
خزاعة لتحيط النبي صلى الله عليه وآله وسلم علماً .

(١) سورة الانبياء ١٠٧.

(٢) وقد مر على عسفان عدد من الأنبياء منهم صالح وهود وإبراهيم والنبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وفيها شرعت صلاة الخوف ، وتبعد عن مكة ثمانين
كيلوا متراً .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) موضوعية موضوعية نسبة الجعل حصناً إلى الله ، فهو الذي جعل الخليفة في الأرض مما يدل على تفضله بتعاهد سنن الخلافة ومنها أن الغدر والخيانة يظهرها الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٢) نعم بين الغدر والمكر عموم وخصوص مطلق ، فالغدر نقيض العهد ، وأمتناع تعاehده ، أما المكر السيئ فهو ابتداء الإضرار بالغير من غير عهد وفاء ، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣).

قال أبو سفيان : من أين أقبلت يا بديل ؟
فأجابه بديل جواب تورية ولم يخبره أنه ذهب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشكو له إعانة قريش لعدوهم .
إذ قال بديل : سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بعض هذا الوادي.

قال أبو سفيان : أو ما جئت محمداً .
أي هل ذهبت إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تشكو له .
قال : لا ، ثم توجه بديل والنفر الذين معه وقيل كان عددهم أربعين رجلاً إلى مكة .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة فاطر ٤٠.

(٣) سورة النحل ٩١.

فقال أبو سفيان لمن معه : لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى ،
فاتى مبرك راحلة بديل فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى ، بلحاظ أن
أهل المدينة يعلقون إبلهم التمر .

فقال أبو سفيان : أحلف بالله عز وجل لقد جاء بديل محمداً ، فلم يبق
أبو سفيان صامتاً بل بادر للخروج من مكة إلى المدينة ، وحالما دخلها
توجه إلى بيت رسول الله صلى عليه وآله وسلم ، فدخل على ابنته أم
حبيبة ، ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن آباء عدد
من أزواجه من المشركين ، ولم يمنع هذا الموضوع من الزواج منهم لإيمانهم
، قال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١).

لقد قدم أبو سفيان من مكة وهو من ساداتها ، وقائد جيش المشركين
في معركة أحد ، ولم يخش الثأر إذ قتل وأصحابه يومئذ سبعين من
المسلمين منهم حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على أن
الإسلام حرب على الإرهاب ، ولا يلجأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم
إلى الإنتقام .

وتدل هذه الواقعة ونحوها على الضبط الذي كان عليه المسلمون من
قبض اليد عن المشرك الذي حاربهم وقتل منهم ، ليكون من باب الأولوية
إمتناعهم عن إيذاء أو تعيير من دخل الإسلام من المشركين ، وعن النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إن الاسلام يجب ما قبله)^(٢) .

والمبادر ان البنت ترحب بأبيها عندما يقدم من بلدة بعيدة خاصة في
تلك الأزمنة ، ولما لأبي سفيان من الشأن ، ولكن حينما دخل على أم حبيبة
وأراد الجلوس (عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَوْتُهُ

(١) سورة الأنعام .١٦٤.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣٦٨/٧ .

عَنْهُ فَقَالَ يَا بَنِيَّ مَا أَذْرِي أَرْغَبْتُ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغِبْتَ بِهِ عَنِّي ؟
قَالَ بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَأَنْتَ رَجُلٌ
مُشْرِكٌ نَجِسٌ وَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ يَا بَنِيَّ بَعْدِي شَرٌّ .
ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ لَمْ يَرِدْ
عَلَيْهِ شَيْئًا .

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ أَنَا
أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ
إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ .

ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ
بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَعِنْدَهَا حَسَنُ
بْنِ عَلِيٍّ غُلَامٌ يَدُبُّ بَيْنَ يَدَيْهَا .

فَقَالَ يَا عَلِيُّ ، إِنَّكَ أَمَسَ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا
أَرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ، فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ .

فَقَالَ وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فِيهِ .

فَالْتَمَتَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ يَا ابْنَةَ مُحَمَّدٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي
بُنَيْكَ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونَ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟

قَالَتْ وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بَنِي ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنِّي أَرَى

الْأُمُورَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ فَانْصَحْنِي ؛ قَالَ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ لَكَ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ فَقُمْ فَأَجْرِ بَيْنَ النَّاسِ ثُمَّ الْحَقَّ بِأَرْضِكَ ؛ قَالَ أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا ؟
 قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّهُ ، وَلَكِنِّي لَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ . فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ . ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ فَانْطَلَقَ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ ، قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟
 قَالَ جِئْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَجَدْتُهُ أَعْدَى الْعَدُوِّ .
 ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلَيْنَ الْقَوْمِ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي هَلْ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا أَمْ لَا ؟
 قَالُوا : وَبِمِ أَمْرِكَ ؟ قَالَ أَمَرْنِي أَنْ أَجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَفَعَلْتُ ،
 قَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟
 قَالَ : لَا .

قَالُوا : وَيْلَكَ وَاللَّهِ إِنْ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ بِكَ ، فَمَا يُغْنِي عَنْكَ مَا قُلْتَ . قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ^(١) .

ويطلق على العام التاسع للهجرة عام الوفود وهل يعني هذا أن الوفود بدأت تفد على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم أنه أكثر الأعوام وفوداً .

المختار هو الثاني ، ومن الدقة في التسمية أن مؤرخي السنة النبوية لم يسموا هذا العام عام وفود المسلمين ، أو عام الذين يفدون لدخول

الإسلام ، إنما ورد لفظ (الوفود) على نحو الإطلاق من غير تقييد ، لأن أغراض وغايات الوفود متعددة كما تقدم البيان .

وبلغ عدد الوفود إلى المدينة في هذا العام أكثر من سبعين وفداً جاءت في أيام وأشهر مختلفة من السنة ، مما يدل على الأمن والأمان في طرق وأنحاء الجزيرة العربية عند سيادة أحكام الإسلام ، وعدم إختصاص الأمان بالأشهر الحرم وموسم الحج ، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ومن الوفود التي جاءت إلى المدينة في السنة التاسعة للهجرة :

الأول : وفد قبيلة أسد ، إذ جاء عشرة رجال ، من بني أسد بن خزيمة ، ليعلموا إسلامهم ، إذ قدموا في أول السنة التاسعة ، وكان منهم :

الأول : حضرمي بن عامر ، وهو رئيسهم .

الثاني : طليحة بن خويلد ، وادعى هذا فيما بعد النبوة ثم أسلم

وحسن إسلامه .

الثالث : نفاذة بن عبد الله بن خلف .

الرابع : ضرار بن الأزور .

الخامس : وابصة بن معبد .

السادس : قتادة بن القائف .

السابع : سلمة بن حبيش^(٢).

(١) سورة التوبة ٣٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢٦٦/٦.

(عن ابن عباس قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقالوا يا رسول الله : أسلمنا وقاتلك العرب ولم نقاتلك ، فنزلت هذه الآية { يمينون عليك أن أسلموا }^(١) فليس للمسلم أن يميناً باسلامه ، أو أن يعتدي على الناس بسببه فالإسلام عصمة من الإرهاب ، وزاجر عنه ، وهو نعمة متجددة على الذات والذرية .

(و) عن محمد بن كعب القرظي قال : قدم عشرة رهط من بني أسد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أول سنة تسع وفيهم حضرمي بن عامر وضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وقتادة بن القائف وسلمة بن حبيش ونفاعة بن عبد الله بن خلف وطلحة بن خويلد .

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد مع أصحابه فسلموا وقال متكلهم : يا رسول الله إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له ، وأنت عبده ورسوله ، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً ، ونحن لمن وراعنا سلم ، فأنزل الله { يمينون عليك أن أسلموا }^(٢) .

لقد ابتدأ متكلهم بالقول : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا شهدنا ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله .

ومن أسباب نزول الآية أعلاه أنهم قالوا (ولم نقاتلك كما قاتلك العرب ، وفي رواية بنو فلان)^(٣) .

(١) سورة الحجرات ١٧ .

(٢) الدر المنثور ٩/٢٤٧ .

(٣) سورة الحجرات ١٧ .

(٤) الدر المنثور ٩/٢٤٧ .

(٥) سبل الهدى والرشاد ٦/٢٦٦ .

ليبان مسألة وهي أن دخول الإسلام خير محض ، ونفع لصاحبه ، وأن عدم محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نعمة من عند الله تستلزم الشكر له سبحانه ، فلم تجلب هذه المحاربة لأهلها إلا الضرر وكثرة القتل والخزي وسوء العاقبة (وكان فيهم قبيلة يقال لهم بنو الرثية ، فغير النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمهم فقال: أنتم بنو الرشدة).

وقد استهدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نقادة بن عبد الله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها ، فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاء بها ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحلبها ، فشرب منها وسقاه سؤره ثم قال: " اللهم بارك فيها وفيمن منحها ".

أي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا للذي أهدى له الناقة وإن لم يعرفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبان مدرسة النبوة في الشكر للناس أيضاً ، وفيه دعوة للمسلمين في دول الغرب بالشكر على حسن إيوائهم وإكرامهم ، وتجلت في سيرة وسلوك المسلمين في تلك البلاد سنن حميدة ، وخدموها أحسن خدمة ، ولا عبرة بالفرد النادر المخالف .

فقال: يا رسول الله وفيمن جاء بها.

فقال: " وفيمن جاء بها " .^(١)

ويدل حديث بني أسد وقولهم (ولم نقاتلك كما قاتلك العرب)^(٢) على أن المشركين وقبائل العرب هم الذين كانوا يغزون المدينة ويهجمون على سرايا الإسلام ، وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا في حال دفاع .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١٧٠/٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢٦٦/٦.

فأخبرت الآية الكريمة أن الله عز وجل هو الذي هداهم للإيمان ، ومن وجوه هذه الهداية إجتناب قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابه .

ومن قدم إلى المدينة في السنة التاسعة للهجرة وفد بني فزارة وكانوا بضعة عشر رجلاً فيهم :

الأول : خارجه بن حصن .

الثاني : الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم ، وهو ابن أخي عينية بن حصن ونزلوا في دار زينب بنت الحارث .

ودخلوا المدينة على ركاب عجاف ، وكان يظهر عليهم الضعف والفاقة .

فبادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى سؤالهم عن بلادهم ، فقال أحدهم (يا رسول الله أسنت بلادنا ، وهلك مواشيننا ، وأجذب جنابنا ، وغرث عيالنا ، فادع لنا ربك .

فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، ودعا فقال: " اللهم اسق بلادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً مطبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار ، اللهم اسقنا سقياً رحمة لا سقياً عذاب ، ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء " .

فمطرت فما رأوا السماء ستاً ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فدعا ، فقال: " اللهم حوالينا ولا علينا ، على الأكام ، والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر " . قال: فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب^(١) .

ومن الوفود التي قدمت المدينة في السنة التاسعة للهجرة :

الأول : وفد بني سعد بن هذيم من قُضاة .

الثاني : وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدي بن حاتم الطائي ، وكان نصرانياً عظيماً في قومه ، وقد تقدمت قصة دخوله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : وفد كندة قبيلة باليمن ، وفيهم الأشعث بن قيس ، وكان وجيهاً في قومه فاسلم وارتد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعاد إلى الإسلام أيام أبي بكر .

الرابع : وفد بني زيد .

الخامس : وفد عروة الخراذي .

السادس : وفد بني مرة ، إذ قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا (ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف .

فقال يا رسول الله إنا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال للحارث أين تركت أهلك قال بسلام وما والاها قال فكيف البلاد قال والله إنا لمستنون^(١) وما في المال مخ فادع الله لنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياماً ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مودعين له فأمر بلالا أن يميزهم

(١) يقال : أسنت القوم فهم مستنون إذا أصابتهم السنة والجدب التي ليس فيها غيث وزرع (قال ابن الزبيري :

عَمَرُوا الْعُلَاهُ شَمَّ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... وَرَجُلٌ مَكَّةَ مُسْتَنُونَ عِجَافٌ) الصحاح في اللغة ٣٣٣/١ .

فأجازهم بعشر أواقى عشر أواقى فضة وفضل الحارث بن عوف أعطاه اثنتى عشرة أوقية ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا متى مطرتم فإذا هو ذلك اليوم الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وأخصبت بعد ذلك بلادهم^(١).

السابع : وفد أزد شنودة ، وفيهم صرد بن عبد الله الأزدي ، وأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من أسلم من قومه .

الثامن : وفد الحارث بن كعب .

التاسع : وفد رفاعة بن زيد الخزاعي .

العاشر : وفد همدان إذ لقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرجعه من تبوك ، ومنهم مالك بن نمط أبو ثور ذو المشعار ، ومالك بن أيفع ، وعمير بن مالك الخارقي .

(عن أبي إسحاق السبيعي الهمداني قال : قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم مالك بن نمط أبو ثور وهو ذو المشعار ومالك بن أيفع وصمام بن مالك السلماني وعميرة بن مالك الخارقي فلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية على الرواحل المهرية الأرحية . ومالك بن نمط (وَرَجُلٌ آخِرُ يَرْتَجِزَانِ بِالْقَوْمِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا :

هَمْدَانُ خَيْرٌ سَوْقَةً وَأَقْيَالُ ... لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالُ
مَحَلَّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ ... لَهَا إِطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالُ
وَيَقُولُ الْآخَرُ

إِلَيْكَ جَاوَزَنَ سَوَادَ الرَّيْفِ ... فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ

مُخَطَّمَاتٍ بِحِبَالِ اللَّيْفِ) ^(١).

وذكروا للملك بن نمط كلاما كثيرا حسنا فصيحاً . فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه . فأمر عليهم مالك بن نمط واستعمله على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه وكان مالك بن نمط شاعراً محسناً فقال :

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص قلائص تعتلي ... بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جعدة ... تمر بنا مر الهجف الخفידد
حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
لما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى لحد المشرفي المهند

(٢).

وقدوم الوفود على المدينة لدخول الإسلام من مصاديق قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ^(٣) وتؤكد هذه السورة من قانون الملازمة بين قوة الإسلام واللجوء إلى الاستغفار ، وليس اللجوء إلى الغزو أو الهجوم .

(١) السيرة لابن هشام ٥٩٦/٢.

(٢) الاستيعاب ٤٢٣/١ .

(٣) سورة النصر ١-٣.

وقد أعلنت الوفود أنها جاءت طواعية إلى المدينة لدخول الإسلام ، وقد تقدم أن بعضهم كان يتفاخر بعدم محاربته للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، لبيان أن الإسلام لم يكن خطراً عليهم في ديارهم وأموالهم حتى مع بقائهم على الكفر للسنة التاسعة للهجرة . وفيه دعوة للصبر على الناس في عقائدهم وعدم استعمال العنف معهم خاصة وهم مستقرون في ديارهم ، قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) .

قانون تقطيط المدن درء للإرهاب

قال تعالى ﴿تَزْعُوزُ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّأَ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾^(٢)

تتعلق هذه الآيات بقصة يوسف ، وسلطان ملك مصر وحياة عامة أهلها بواسطة رؤيا رآها الملك ، ولم يتم الإنتفاع منها إلا بواسطة النبي يوسف عليه السلام وتأويله الصادق لها مع أنه قابع في السجن ظلماً . وهل كان سجنهم ليوسف من الإرهاب ، الجواب نعم ، ليأتيه الملك ، ويحارب الإرهاب بالعدل والعفو وحسن تدبير شؤون الدولة ، ويمنع من السرقة والجنايات التي تترشح عن المجاعة العامة ، تلك المجاعة التي منع الله

(١) سورة القصص ٥٦.

(٢) سورة يوسف ٤٧-٤٩.

عز وجل منها ، وصرفها عن أهل مصر ببركة تولي يوسف عليه السلام الوزارة .

إذ رأى الملك رؤيا في المنام كأن سبع بقرات سمان يخرجن من نهر يابس ، وتعدو في أثرهن سبع بقرات مهازيل وضعاف فقامت البقرات العجاف المهازيل بأكل البقرات السمان ، فتعجب الملك وهو في منامه كيف وسعت بطون البقرات العجاف هذه البقرات السمان .

ورأى سبع سنبلات خضر قد إنعقد حبها ، وسبع سنبلات يابسات . فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها ، وفسر العلماء اليابسة بأنها استحصدت وأدركت ، وأنها التوت على الخضر^(١) ، ولعل موضوع اليابسات أعم ، وهو كناية عن عدم الربيع حتى مع الحرث والبذر .

ليبين لهم يوسف عليه السلام أن دلالة البقرات السمان والسنبلات الخضر على سنين خصب وريع .

أما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فتدل على السنين المجدبة . ثم يأتي عدم غيث وأمطار ، بحيث يرتفع منسوب ماء النيل فيسقي الأراضي القريبة والبعيدة عنه ، وتمتلئ معه الجداول وتصير وفرة بالمحصول.

وتبين هذه الآيات الخطة العامة للدولة وهي على شعبتين :

الأولى : الخطة طويلة الأمد لخمس عشرة سنة .

الثانية : الخطة السنوية المتجددة في كل عام من هذه السنوات مع تداخلها بالخطة طويلة الأمد الأخرى القريبة منها .

(١) أنظر الكشف والبيان-للثعلبي ١٧٤/٣.

أن الناس قد يسكتون عن الظلم ولا يغيرونه ولا ينكرونه فيعمهم البلاء ، فيصيب البر والفاجر ، وهو ظاهرة من تمادي الظالم في ظلمه من عدم زجره وردعه ، وكذا الفاسد والسارق .

وقال تعالى ، في ذم قوم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

عن عطاء بن يسار قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل للمدينة سوقاً أتى سوق بني قينقاع ، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله .

وقال : هذا سوقكم ، فلا يضيق ، ولا يؤخذ فيه خراج^(٢) ، لبيان لزوم عدم زحف الدور والمرافق العامة والخاصة على السوق بل يبقى بذات مساحته طولاً وعرضاً كما أنه لا تفرض الضرائب على أهله لغرض استقرار الأسعار كي لا يسبب هذا الفرض بارتفاع الأسعار .

ونقترح عند توزيع أحياء سكنية جديدة وقطع أراضي على الجمعيات والإستثمار أن تكون الشوارع الرئيسية في الحي والتي خلفها بلوكاً كاملاً ملكاً للدولة للبلدية ونحوها ، لتنشأ عليها عمارات خاصة للشباب العاطل ، والورشات والمجموعات الهندسية والحرفية الصغيرة والمتوسطة ، ومكاتب المحامين والمهندسين وعيادات وصيدليات ، وغيرهم بأجور زهيدة.

وفق خريطة مدروسة من الجهات الهندسية والاقتصادية وغيرها .

(١) سورة المائدة ٧٩.

(٢) تأريخ المدينة المنورة ٣٠٠/١.

مع مسجد في البلاد الإسلامية وكنسية في دول تدين بالنصرانية ،
وعمارة مرآب أو أكثر للسيارات ، ومستشفى وحدائق وساحات خضراء ،
بالتنسيق بين التخطيط العمراني والبلديات ووزارة التخطيط ، وفيه إعانة
للشباب .

ولا يختص هذا الاقتراح بمدن وقصبات بلد مخصوص خاصة مع
المبادرة لتوزيع قطع أراضي وأنشاء أحياء جديدة في المدن والقصبات وفيه
إعانة للشباب وحرب على البطالة واستئصال للعنف .

وفيه نشاط إقتصادي ، ونمو للتجارات ، وحرب على الفساد ، قال
تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَّيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

قانون مكة شعار يومي لمحاربة الإرهاب

الحمد لله الذي أكرم مدناً وبقعاً من الأرض وذكرها في الكتب
السماوية وبارك فيها ، ومن مصاديق ذكره وعبادته فيها لإستدامة عمارتها
، وبيان مصداق من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيعْبُدُونِ﴾^(٢) بقيد وشرط عمارة المدن بعبادة أهلها لله عز وجل ، لبيان
التفصيل في مضامين وسنن الآية أعلاه ، وفازت مدينة مكة بالشرف
والرفعة ، منذ أيام أبينا آدم إذ سكنها بلحاظ أن المراد من الألف واللام في
(الناس) إفادة الإستغراق ، أي ما دام الناس يعمرّون الأرض فإن الله عز
وجل وضع لهم البيت الحرام ، ولو أعرض الناس عن البيت ردهاً من
الزمن فهل يبقى مصداق لعلّة وضع البيت الجواب ، لا يحدث هذا
الإعراض أبداً ، فلا بد من وجود أمة مسلمة تتعاهد البيت وفي التنزيل

(١) سورة التوبة ١٠٥.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ^(١).

وذكر في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) خصائص للبيت الحرام ينفرد بها وهي :

الخاصة الأولى : أول بيت وضع في الأرض ، وهل وضع البيت بعد هبوط آدم وحواء ، ويوم لم يكن عندهم بيت في الأرض ، وأن الله عز وجل علمهم بناء البيت كما جعل غراباً يعلم قاييل كيف يدفن أخاه هابيل إذ ورد قوله تعالى ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النََّادِمِينَ﴾ ^(٣).

الجواب هو الأول فوجود البيت الحرام سابق لهبوط آدم وحواء إلى الأرض ثم أن لم يوضع للسكن ، إنما وضع للعبادة ، وتقدير الآية على وجوه :

الأول : وضع الله عز وجل البيت للناس يستقبلوه في صلاتهم .
الثاني : وضع الله عز وجل البيت للناس وعين موضعه ليطوفوا حوله .
الثالث : وضع البيت للناس ليعبدوا الله عز وجل ، ويذكروهم بالعبادة.

(١) سورة البقرة ١٢٨.

(٢) سورة آل عمران ٩٦.

(٣) سورة المائدة ٣١.

الرابع : وضع البيت للناس لحاجتهم إلى العبادة ، ولأنها نفع لهم ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشْكِرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾^(١).

الخامس : وضع البيت للناس ليحجوا إليه ، وفي خطاب إلى إبراهيم قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢) لبيان مسألة وهي حاجة الناس إلى البيت ليحجوا إليه.

لذا فإن وضع الله عز وجل البيت الحرام ، حصن من الشرك ، ومنع للطواغيت من صيرورة قصورهم وقبورهم بيوتاً تقُدس وتعبَد ، وهل قوله تعالى ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾^(٣) إذن بوضع بيوت عبادة لله عز وجل أخرى في الأرض ، الجواب نعم ، وفي بيت المقدس ورد في التنزيل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤).

السادس : وضع البيت الحرام قاهر لإبليس ، ومانع من سلطانه على الناس .

لقد فازت مكة باختيارها بمشيئة الله عز وجل لتكون أول بيت للناس ، ولا بد أن منافع عظيمة تترشح على الحرم ومجاوريه ، ومنها الأمن والرزق الكريم .

(١) سورة لقمان ١٢.

(٢) سورة الحج ٢٧.

(٣) سورة آل عمران ٩٦.

(٤) سورة الاسراء ١.

السابع : يدل قوله تعالى ﴿وَضِعْ لِلنَّاسِ﴾^(١) على انتفاع الناس جميعاً من إفاضات البيت الحرام .

الثامن : وضع للناس ليلجأوا إليه .

وأكتب هذه الأسطر بتاريخ ٢٩/٢/٢٠٢٠ الموافق الخامس من رجب ١٤٤١ حيث أنتشر مرض كورونا فمنعت السلطات المختصة في بلاد الحرمين وفود المعتمرين من الدول الأخرى خشية تفشي وانتشار هذا الداء نسأل الله عز وجل سلامة المسلمين والناس جميعاً من كل الأمراض ، وأن تجد الجهات الصحية والطبية العلاج المناسب لكل داء ، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا مَرَضْتُمْ فَهَوْشِفِينَ﴾^(٢) .

(قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الوباء : إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ﴿ وسئل أيضا عن البلدة يقع فيها الموت وأمراض فهل يكره الخروج منها ؟ فقال : ما أرى بأسا خرج أو أقام .

وفي قوله عليه السلام : ﴿ إذا وقع الوباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ﴾^(٣) .

عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه ، قال : كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو على الباب : إنا قد بايعناك فارجع^(٤) .

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) سورة الشعراء ٨٠

(٣) تفسير الطبري ٢١٨/٣ .

(٤) الطبري / تهذيب الآثار ٤٦٥/٣ .

وعن (أبي هريرة) قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فَرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ^(١).

والمجذوم هو الذي أصيب بمرض يشوه جسمه وتسقط بسببه أطرافه ، وقيل هوام الجذام على هيئة الأسد شكلاً.

(عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الله كره لكم أيها الأمة أربعاً وعشرين خصله، ونهاكم عنها - وساق الحديث إلى أن قال: - كره أن يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينه وبينه قدر ذراع وقال: فر من المجذوم فرارك من الأسد)^(٢).

وعن الإمام الحسن عليه السلام (عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُمِينَ وَإِذَا كَلَّمْتُمُوهُمْ فَلْيَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قَيْدٌ رُمَحٌ)^(٣).

التاسع : وضع للناس جميعاً بعرض واحد فليس لأفراد أو قبيلة أو أهل بلدة أو ملة التفاخر على غيرهم بأنهم أولى بالبيت الحرام ، نعم وردت الولاية خاصة للمؤمنين قال تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

وبين الموضوع لهم البيت وولاته عموم وخصوص مطلق ، وكون الناس شرع سواء في مواضع البيت الحرام لهم تأديب للمؤمنين ودعوة لهم للتراحم بينهم ، وإظهار معاني الرحمة للناس جميعاً .

(١) مسند أحمد ٣٨٨/١٩.

(٢) البحار ١٤/٧٢.

(٣) مسند أحمد ٥٤/٢.

(٤) سورة الأنفال ٣٤.

وهل تدل الآية على المنع من وضع القيود على عمارة وزيارة البيت الحرام الجواب نعم ، إلا ما يدل عليه الكتاب والسنة قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) إلى جانب عمومات الأدلة كقاعدة لا ضرر ولا ضرار ، وسد الذرائع ودفع المفسدة .

العاشر : قدسية مكة وتقدم خلقها قبل خلق الأرض لبيان قانون وهو تفضل الله عز وجل باعداد موضع العبادة للناس قبل أن يخلقوا ، وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه (قال : إن مكة بلد عظمه الله وعظم حرمة ، خلق مكة وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الأرض يومئذ كلها بألف عام ووصل المدينة ببيت المقدس ، ثم خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقاً واحداً) ^(٢) .

(أخرج الأزرقى عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لما وضع الله الحرم نقل له الطائف من فلسطين . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم الطائفي قال : بلغني أنه لما دعا إبراهيم للحرم { وارزق أهله من الثمرات } ^(٣) نقل الله الطائف من فلسطين .

وأخرج ابن أبي حاتم والأزرقى عن الزهري قال : إن الله نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام . وأخرج الأزرقى عن سعيد بن المسيب بن يسار قال : سمعت بعض ولد نافع بن جبير بن مطعم وغيره ؛ يذكرون أنهم سمعوا : أنه لما دعا

(١) سورة التوبة ٢٨ .

(٢) الدر المنثور ١/٢٤٠ .

(٣) سورة البقرة ١٢٦ .

إبراهيم بمكة أن يرزق أهله من الثمرات نقل الله أرض الطائف من الشام فوضعها هنالك رزقاً للحرم^(١).

والظاهر هناك تباين زمني فيما ذكره التابعون أعلاه بالنسبة للحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي يتصف بالدقة إذ أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن كون النقل تم من حين خلق الأرض ، وليس أيام دعاء إبراهيم ، ومن الشواهد عليه مصاديق قوله تعالى ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾^(٢) عدم إنحصار مجئ هذه الثمرات بجلبها من الطائف ، إنما تأتي الثمرات والتجارات إلى مكة من جميع البلدان ، ليأتي هذا الزمان فتجلى مصاديق أخرى بأن أصبحت أرض مكة مزرعة ومراعي وحيطان للفاكهة ، ليكون معاني الآية أعلاه على وجوه :

الأول : وارزق أهله من الثمرات التي تأتي من الأمصار .

الثاني : وارزق أهله التجارات والمكاسب .

الثالث : وارزق أهله الأولاد المؤمنين ، الذين يتعاهدون البيت الحرام .

الرابع : وارزق أهله زراعة الثمرات في الحرم .

وهل كانت تجارة قريش بين مكة والشام ، ومكة واليمن من دعاء إبراهيم الجواب نعم ، لتكون مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويكون تقدير قوله تعالى (وارزق أهله) من الثمرات توطئة ومدداً لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأسباب إطلاع الناس من الأمصار على معجزاته .

(قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فألقى ذلك أم إسماعيل ، وهي تحب الأنس فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا

(١) الدر المنثور ٢٤١/١ .

(٢) سورة البقرة ١٢٦ .

كانوا بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنسهم وأعجبهم حيث شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه .

فقالت : خرج يبتغي لنا ، وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم .

فقالت : نحن بشر^(١) نحن في ضيق وشدة وشكت إليه ، فقال إذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام .

وقولي له : يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد؟

قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد ، وشدة .

فقال : هل أوصاك بشيء قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها ، وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه .

فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل .

فقال : وما طعامكم؟

قالت اللحم .

قال : وما شرابكم .

قالت : الماء .

(١) أي في أذى ونقص في المؤن.

قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم :
ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه ، قال : فهما لا
يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه وفي رواية فجاء .

فقال : أين إسماعيل ؟

فقالت امرأته : قد ذهب يصيد ، فقالت امرأته : ألا تنزل عندنا فتطعم
وتشرب .

قال : وما طعامكم وشرابكم .

قالت : طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم
وشرابهم .

قال : فقال أبو القاسم بركة دعوة إبراهيم .

قال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما
جاء إسماعيل .

قال : هل أتاكم من أحد ؟

قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته
فسألني كيف عيشنا ؟

فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء .

قالت : نعم اقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك .

فقال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء
الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبكي نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ،
فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد .

ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر .

قال : فاسمع ما أمرك ربك . قال : وتعينني قال وأعينك .

قال : فإن الله أمرني أن أبني بيتاً هنا هنا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاءه بهذا الحجر فوضعه له ، فقام إبراهيم عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)^(١) .

وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام ، فجعل يناوله الحجارة ويقولان : (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) ، وقيل : إن امرأة إسماعيل قالت لإبراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت عند شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه)^(٢) .

ومن إعجاز نظم القرآن وانتفاء التعارض بين آياته وإن اتحد الموضوع إخبار الآية أعلاه عن وضع البيت الحرام للناس بصيغة المبني للمجهول ، بما يدل على أن الواضع غير الناس ، وهو الله عز وجل ومجئ القرآن بالإخبار عن قيام إبراهيم وإسماعيل عن رفع قواعد البيت بقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣) . أي أن قواعد البيت موجودة قبل إبراهيم ، وليكون ما رفعاه هو غير القواعد الأصلية :

الخاصة الثانية : إتصاف البيت الحرام بالبركة ودوام النعم ، لأن أصل البركة من الثبات والاستقرار .

(١) سورة البقرة ١٢٧ .

(٢) تفسير الخازن ٩٥/١ .

(٣) سورة البقرة ١٢٧ .

يقال : (بَرَكَ البعيرُ يَبْرُكُ بَرُوكًا ، أي استَناخ) ^(١)

والبركة : النماء والزيادة بعد النقصان ، ويقال تبارك الله عز وجل ، أي من العلو والرفعة وليس من النماء ، ولا يقال تبارك إلا لله عز وجل ، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٢) .
(وذكر أبو زيد أنه سمع أعراب قيس ، يقولون : ما أبرك هذا الطعام ، أي ما أنماه .

وذكر أبو مالك أنه سمع : طعام بريك ، في معنى مبارك .
وبَرَكَ البعيرُ يَبْرُكُ بَرُوكًا ، وهو أن يلصق بركه بالأرض .
والبراكاء : الثبات في الحرب ، كأنهم برکوا فيها .
قال الشاعر :

ولا يُنْجِي من الغَمَرَاتِ إلَّا ... بَرَاكَةُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارُ
ويقال في الحرب : بَرَاكَ بَرَاكٍ ، أي أبرك ^(٣) .

وترشح النماء والنفع وزيادته بسبب البيت من وجوه :
الأول : توارث الأنبياء حجة ، وحينما أراد شعيب عليه السلام ، تزويج ابنته لموسى عليه السلام قال له ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٤) .

(١) الصحاح في اللغة ٤٠/١ .

(٢) سورة الملك ١ .

(٣) جمهرة اللغة ١٤٥/١ .

(٤) سورة القصص ٢٧ .

ولم يقل له ثماني أعوام أو ثماني سنوات ، لبيان أن الأنبياء وابناءهم كانوا يتعاهدون حج البيت ، ويتخذونه آلة الحساب والآجال .
وعن الإمام الباقر عليه السلام ، (قال : حج موسى بن عمران ومعه سبعون نبيا من بني إسرائيل ، خطم إبلهم من ليف يلبون وتجيهم الجبال ، وعلى موسى عبايتان قطوانيتان يقول : لبيك عبدك ابن عبدك)^(١) .

وتحتمل بركة البيت الحرام بلحاظ موضوع النبوة وجوهاً :

الأول : إفاضة بركة النبوة على البيت الحرام .

الثاني : بركات البيت الحرام على الأنبياء .

الثالث : إجتماع بركات البيت والنبوة على الناس .

الرابع : عمارة البيت بالعباد وهم في هيئة السجود والركوع والطواف وتلاوة القرآن ، قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢) ، (وحكى الضحاك أن إبراهيم لما حضر أساس البيت وجد لوحاً ، عليه مكتوب : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن قدّرت على يديه الخير ، وويل لمن قدرت على يديه الشر)^(٣) .

الخامس : من البركة في البيت أن الصلاة فيه مضاعفة من حيث العدد (عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فضل

(١) البحار ١١/١٣ .

(٢) سورة البقرة ١٢٥ .

(٣) النكت والعيون ١١٢/٢ .

الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة ، وفي مسجدي ألف صلاة ، وفي مسجد بيت المقدس بخمسائة صلاة^(١).

السادس : استجابة الدعاء في البيت الحرام ، ومن الآيات ذكر القرآن لاستجابة دعاء إبراهيم لذريته والناس ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

السابع : حفظ البيت الحرام لشعائر الإسلام (عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله ان قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده أن يرده بأجر أو غنيمة)^(٣).

الثامن : إنتفاع الأرض من بركة البيت في استقرارها ، وإخراج كنوزها من البيت الحرام ، فهو من أوتادها .

وانتفاع الناس من بركات النبوة إلى يوم القيامة ، وهو الذي تجلّى بقيام آدم والأنبياء بحج البيت وبناء إبراهيم وإسماعيل له ، وتفضل الله ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جوار البيت الحرام وصيرورة فتح مكة استئصالاً للكفر ومفاهيم الشرك .

ولا تعارض بين الوجوه الأربعة أعلاه ، وكلها من مصاديق بركة البيت التي هي من اللامتناهي بلحاظ مصاحبتها لأيام الحياة الدنيا . ومن بركات البيت أنه حرب يومية على الإرهاب ، ومانع منه ، وباعث للتعاون للزجر عن الإرهاب ومقدماته .

(١) الدر المنثور ٢/٣٨٦ .

(٢) سورة البقرة ١٢٤ .

(٣) الدر المنثور ٢/٣٨٦ .

ومن بركات البيت الحرام تعدد الموضوع والحكم الذي يحارب البيت به الإرهاب من وجوه :

الأول : توجه عموم المسلمين لاستقبال البيت الحرام بقصد العبادة ، وإنشغالهم اليومي بهذا التوجه .

الثاني : استحضار المسلمين لصبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحمله أذى المشركين وهو بجوار البيت الحرام .

الثالث : حب المسلمين للبيت الحرام مانع من إيذائهم لأنفسهم ولغيرهم .

الرابع : إقامة الله الحجة على الناس بتفضله بالإخبار بأنه وضع البيت الحرام لهم جميعاً ، قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(١) ولم تقل الآية : وإذ جعلنا البيت مثابة لكم وأمناً أو مثابة للمؤمنين وأمناً ، فمن إعجاز القرآن العموم الإستغراقي للناس جميعاً بخصوص أمور :

الأول : وضع البيت الحرام .

الثاني : رجوع الناس إلى البيت الحرام لقوله تعالى ﴿مَثَابَةً﴾ وعن (ابن عباس : يعني معاذاً وملجأً)^(٢) .

والمثابة والرجوع إلى البيت الحرام أعم من موضع الكعبة ودخول البيت ، ومن معاني ومصاديق استقبال البيت الحرام أنه مثابة ورجوع من الناس إليه .

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣٣١/١.

الثالث : تفضل الله عز وجل بجعل البيت الحرام أمناً للناس ، ولا يختص هذا الأمن بالذين يطوفون بالبيت ويعمرونه ، إنما هو أمن لمن في المشرق والمغرب .

الرابع : مجئ آيات القرآن بالأمر وبالحجج على الناس جميعاً ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١) وإذ ورد الاستثناء في الحج بمنع المشركين من دخول البيت الحرام قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(٢) . ولكن لم يستثن أحد من الناس بالنسبة لكل من :

الأول : وضع البيت .

الثاني : إتصاف البيت الحرام بأنه مثابة ورجوع وملاذ للناس .

الثالث : كون البيت الحرام أمناً للناس .

الصفة الثالثة : الهدى والرشاد ، وكون البيت الحرام سبباً لهداية الناس لقوله تعالى في ذات آية وضع البيت ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾^{(٣)(٤)} .

ومن الإعجاز ذكر العالمين في الآية وبينه وبين الناس عموم وخصوص مطلق ، فالعالمين أعم ، والذي يقع عليه الإرهاب أو يخشاه ممن يحسب على البيت الحرام يضره في أسباب ومقدمات هدايته فاليست الحرام زيادة هدى للمسلمين وهدى لغيرهم ، ومن الجامع المشترك في المقام نبذ الإرهاب .

(١) سورة آل عمران ٩٧ .

(٢) سورة التوبة ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ٩٦ .

(٤) أنظر تفسير هذه الآية في الجزء الخامس والستين من هذا السفر ص ١٥٩ .

ومن الهدى اهتداء الجن بالبيت الحرام ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وسيقى ضياء البيت الحرام ينفذ خمس مرات في اليوم إلى قلب كل مسلم ومسلمة يدعوهم إلى نبذ العنف والظلم والإرهاب ، ويأمرهم بالتآخي ومد يد العون للناس جميعاً ، فقوله تعالى ﴿مُبَارَكًا﴾ أي أن البيت الحرام بذاته مبارك ، وهو يضيفي البركة على الناس في أقوالهم وأفعالهم ، ويحث على السلم المجتمعي ، وينشر الأمن في المتدييات العامة والخاصة ، وهو من أسرار دحو الأرض من تحت البيت الحرام ، لتغشى بركته أهل الأرض جميعاً وفي كل زمان ، في أشخاصهم وأعمارهم وزراعاتهم ومعاشهم ، قال تعالى ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾^(٢).

ومن رحمة الله عز وجل تفضله يجعل البيت الحرام هدى للناس جميعاً ، فهو مصدر للهداية والرشاد والتحلي بسنن التقوى ، ويقتبس الناس جميعاً المواعظ من أداء المسلمين والمسلمات مناسك الحج العبادية كل عام .

وكذا من استقبالهم له بمقاديم أبدانهم في الصلاة واستقباله بعقولهم إذ أنه يدعو للأمن والتراحم والتوادر تحت لواء التوحيد ، واستحضاره في الوجود الذهني والانتماء إليه رادع عن الإرهاب والتفجير العشوائي وإخافة الناس .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اختصاص التلييات الأربعة الواجبة في الحج بكلمة التوحيد بالقول (ليك اللهم ليك

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) سورة فصلت ١٠.

، لييك لا شريك لك لبيك) لبيان اكتفاء المسلمين والناس بكلمة التوحيد ، وهو من معاني وضع البيت للناس جميعاً ، والبيت الحرام هدى للفوز بالجنة .

الصفة الرابعة : في البيت الحرام آيات وعلامات إعجازية ظاهرة وجلية لقوله تعالى ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ^(١) .

ومن الآيات :

الأولى : مقام إبراهيم وأثر قدمه على الحجر الصلد .

الثاني : الشأن العظيم للبيت الحرام .

الثالث : تراحم الناس فيه .

الرابع : عدم خلو البيت الحرام من العمار والزائرين على مدار الساعة لذا فان صلاة الإستسقاء يستحب الإصحار بها وتصلى خارج البنيان والبلدة ، إلا في مكة المكرمة كيلا يبقى البيت الحرام فارغاً .

الخامس : إكرام البيت الحرام من قبل الناس حتى في أيام الجاهلية .

السادس : الآيات العرضية والطارئة كما في هلاك أبرهة وأصحابه عندما اقتربوا من البيت هم وفيلهم من أجل هدمه ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ♦ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ♦ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ♦ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ♦ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ ^(٢) .

السابع : الأمن في البيت الحرام للخائف والمستجير ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ ^(٣) .

(١) سورة آل عمران ٩٧ .

(٢) سورة الفيل ١-٥ .

(٣) سورة آل عمران ٩٧ .

الثامن : الأمن من القتال في البيت الحرام .

التاسع : صيرورة استقبال المسلمين للبيت الحرام أمن لهم ولغيرهم ،
ولا يعلم موضوعية اتحاد قبلة المسلمين في نبذ القتال بينهم ، وفي لجوئهم إلى
الصلح والوثام ، حياءً من الله إلا هو سبحانه للجامع المشترك بينهم ، وهو
استقبال البيت الحرام .

العاشر : البيت الحرام واستقباله أمن من الإرهاب بين المسلمين وبينهم
وبين غيرهم .

الحادي عشر : البيت الحرام مانع من تكفير المسلمين بعضهم لبعض .
الثاني عشر : مشاعر البيت وحدود الحرم وتعيينها وعدم طرو التغيير
على أركان الكعبة أو حدود الحرم ، من أسباب الأمن والأمان ، وفيه
بعث للسكينة في النفوس .

الثالث عشر : الضبط والانضباط في أداء أجيال المسلمين الحج ، وورد
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (خذوا عني مناسككم) ^(١)
ليكون أداء المسلمين الحج كل عام وبذات الصيغة والكيفية التي أداها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات البيّنات التي تتجدد كل
عام .

الرابع عشر : شوق المسلمين للبيت الحرام .

الخامس عشر : الطمأنينة بجوار البيت الحرام ، وكان العرب في
الجاهلية يقتتلون في الأطراف بعيداً عن البيت الحرام ، ويجتنبون القتال فيه
(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَرَّقَ جَيْشَهُ مِنْ ذِي طُوًى ، أَمَرَ الزَّيْبَرَ بْنَ الْعَوَّامِ

أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كُدَى ، وَكَانَ الزَّيْبُ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيَسْرَى ،
وَأَمَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كَدَاءٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ سَعْدًا حِينَ وَجَّهَ دَاخِلًا ،
قَالَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحَرَمَةُ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْمَعْ مَا قَالَ
سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، مَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَدْرَكَهُ فَخُذْ الرَّايَةَ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ
الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا كَدَاءً وَكُدَى .

وَذَكَرَ كَدَاءَ بَفَتْحِ الْكَافِ وَالْمَدِّ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، وَكُدَى وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ
عَرْفَةَ وَبِمَكَّةَ مَوْضِعٌ ثَالِثٌ يُقَالُ كَدَا بِضَمِّ الْكَافِ وَالْقَصْرِ وَأَنْشَدُوا فِي كَدَاءٍ
وَكَدَى :

أَقْفَرْتُ بَعْدَ عَبْدِ شَمْسٍ كَدَاءً ... فَكُدَى فَالرَّكْنُ وَالْبَطْحَاءُ
وَالْبَيْتُ لِابْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ يَذْكُرُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّينَ
رَهْطَ سَهِيلِ بْنِ عَمْرِو .

مَوْقِفُ إِبْرَاهِيمَ بِكَدَاءَ
وَبِكَدَاءَ وَقَفَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ دَعَا لِذُرِّيَّتِهِ بِالْحَرَمِ كَذَلِكَ رَوَى
سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ { فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
{^(١) فَاسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ وَقِيلَ لَهُ أُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ، أَلَا
تَرَاهُ يَقُولُ يَأْتُوكَ ، وَلَمْ يَقُلْ يَأْتُونِي ، لِأَنَّهَا اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَتِهِ فَمِنْ ثَمَّ - وَاللَّهُ
أَعْلَمُ - اسْتَحَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى لِمَكَّةَ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ
كَدَاءَ ، لِأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي دَعَا فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ .

وَذَكَرَ نَزْعَ الرَّايَةِ مِنْ سَعْدٍ حِينَ قَالَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ . وَزَادَ غَيْرُ ابْنِ
إِسْحَاقَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ ضَرَارَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ يَوْمَئِذٍ شَعْرًا حِينَ سَمِعَ قَوْلَ
سَعْدٍ اسْتَغْطَفَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشٍ ، وَهُوَ مِنْ أَجْوَدِ
شَعْرِ لَهُ

يَا نَبِيَّ الْهُدَى إِلَيْكَ لَجَاحٌ ... يَا قُرَيْشُ وَلَاتِ حِينَ لَجَاءَ
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الْأَرْضِ ... ضِيقٌ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ
وَأَنْتَقَتِ حَلَقَتَا الْبَطَانِ عَلَى الْقَوْمِ ... وَمَنْ وَنَدُوا بِالصَّلَاحِ الصَّلَاءِ
إِنْ سَعْدًا يُرِيدُ قَاصِمَةَ الظُّلَمِ ... رِجَالُ الْحَجُونَ وَالْبَطْحَاءِ
خَزَرَجِي لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْغِي ... ظَرَمَانَا بِالنَّسْرِ وَالْعَوَاءِ
فَلَنْ أَقْحَمَ اللِّوَاءَ وَنَادَى ... يَا حُمَاةَ اللِّوَاءِ أَهْلَ اللِّوَاءِ
لَتَكُونَنَّ بِالْبَطْحِاقِ قُرَيْشُ ... بُقْعَةُ الْقَاعِ فِي أَكْفِ الْإِمَاءِ
فَحَيْثُ انْتَزَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِيمَا
ذَكَرُوا^(١).

مع قيام جماعات من قريش بملاقاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وأصحابه بالسيوف يوم فتح مكة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حرص على صبغة السلم في فتحها ، وعدم إراقة الدماء ، وهو من
مصاديق البركة في البيت وللإعلان عن بداية صفحة مشرقة تتغشى الجزيرة
بالسلم والسلام إلى يوم القيامة .

اليوم العالمي للقرآن

من خصائص القرآن أنه رحمة للناس جميعاً ، ومعجزة لله عز وجل
في الأرض ، وكلامه الباقي بين أهل الأرض إلى يوم القيامة ، فمن أعظم
النعم على الناس لغة الخطاب والتفاهم بينهم ومع التباين في اللغة واللهجة

بين الشعوب والأمم فإن الصورة الذهنية والمعنى الذي يرمز إليه اللفظ واللهجة مشترك .

ولقد اقترضت في سنة ١٩٩٩ أن يكون يوماً خاصاً باسم (اليوم العالمي للقرآن) ونشر يومئذ في بعض الصحف ، وجرى الإحتفال به في بعض المؤسسات التربوية في العراق والبحرين ، وصحيح أن القرآن نزل في ليلة القدر من شهر رمضان ، إلا أنه نزل تدريجاً ، ويمكن تعيينه بالحساب الميلادي بالرجوع لأوان التنزيل وفق التقويم :

فيكون تخصيص يوم عالمي للقرآن وفق الحساب الميلادي ، لتجلى فيه معالم التنزيل ومصاديق الإعجاز .

وهذا اليوم حرب على الإرهاب وتعاون بين الأمم ومناسبة لإكرام القرآن والتنزيل مطلقاً ، وبيان قانون وهو أن القرآن يدعو إلى التسامح ونبد العنف والإرهاب ، ولتنهل منه الشعوب ما يكون حجة في التآخي والإقرار بالملل والأديان الأخرى .

لقد شرع في الأمم المتحدة قبل سنتين اليوم العالمي لضحايا الإرهاب ويوافق اليوم الحادي والعشرين من الشهر الثامن من السنة .

ويدعو القرآن إلى تعاهد حقوق الإنسان ، ومواساة الضحايا ، والمنع من وقوع الضحايا من لإصل إذ أنه يحرم الإرهاب ، ولمعالجة أصل الإرهاب بالحكمة والموعظة والتفقه في الدين موضوعية في المقام .

لقد أكرم الله عز وجل الناس ، ورزقهم الخلافة في الأرض ، وأنزل الكتب السماوية على الأنبياء على الانبياء ، لتكون ضياء ينير للناس عامة سبل الهداية والرشاد .

إن تخصيص يوم عالمي للقرآن مناسبة للإحتجاج بآياته وإكرام لأكثر من مليار مسلم ، ودعوة لهم وللناس جميعاً للنفرة من الإرهاب لأن

القرآن جاء بمحاربته والنهي عنه ، ولا بد أن تختار المؤسسات العالمية والتربوية لآيات التي تكون في معناها الظاهر الجلي مناوته واستئصال الإرهاب ، وإن كان الأصل هو أن كل آية من القرآن تعادي الإرهاب ، وتدعو للتنزه عنه ، وكذا الجمع بين كل آيتين أو أكثر من القرآن ، ولا يختص موضوع اليوم العالمي للقرآن بموضوع معين إنما هو استحقاق له بالذات والآثر وعظيم النفع في الأحكام وبناء المجتمعات ، وتهذيب الأخلاق ، والسمو والرفعة والصلاح .

ولا بد من ذكر آيات تدل صراحة وبوضوح على عصمة القرآن من الدعوة إلى الإرهاب ، وعلى محاربته للعنف والقتل العشوائي بالإضافة إلى قانون وهو إلتفاء التعارض بين آيات القرآن ، فدلالة من الآيات على محاربة الإرهاب شاهد على أن جميع آياته تدعو إلى نبذ الإرهاب ومن هذه الآيات :

الأولى: آيات خلافة الإنسان في الأرض ، وبيانها لقانون وهو التعارض بين الخلافة العامة والخاصة وبين الفساد والقتل على نحو القضية الشخصية أو الإمتثال والغزو والقتل العشوائي ، وإضافة الناس بغير حق ، ونشر الرعب ومفاهيمه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

لقد ضجت وتوسلت الملائكة إلى الله عز وجل لتنزه الأرض عن الإرهاب ومفاهيمه ، وتعلم الملائكة أن من مصاديق الخلافة الإمتناع عن الإرهاب ، إذ يشترك الناس جميعاً في مفهوم الخلافة .

الثانية : من خصائص القرآن انه يتضمن التفسير للوقائع والأحداث والإخبار من علوم الغيب ، ولا تختص بعالم الآخرة ، إنما تشمل الحياة الدنيا وما يقع في الغد للأشخاص والأمم ، ومنها ما يستقرأ من قصص القرآن ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

الثالثة : اليوم العالمي للقرآن حصانة للناس من الشرور والأخطار ، وقول تعالى ﴿نَحْنُ نُقِصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قُلُوبِنَا الْغَافِلِينَ﴾^(٢).

الرابعة : الآيات التي تدعو إلى التراحم والنوادر بين الناس وتبين آيات القرآن انه الرائد في هذا التراحم سواء بالنص والرحمة كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ويستحب البعث على التراحم والرحمة بين الناس ، والدعوة إلى السلم ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).

الخامسة : لقد نزل القرآن في وسط قوم مشركين ، بيدهم السلطة ، ولهم الشأن والجاه ، ولم يكتفوا بالجحود وعدم التصديق بالقرآن ، إنما قالوا بإيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفرض الحصار على أهل

(١) سورة يوسف ١١١.

(٢) سورة يوسف ٣.

(٣) سورة الانبياء ١٠٧.

(٤) سورة يونس ٢٥-٢٦.

البيت ، وتعذيب عدد من الصحابة ، فلم ينقطع نزول القرآن ، ولم يقف عن ذمهم وتقبيح فعلهم ، ومنه أسباب نزول آيات وسور مكية عديدة .
ومن إعجاز القرآن أنه نزل نجوماً وعلى نحو التدرج والتوالي ، فما أن يسمع المشركون آية قرآنية تتضمن الإنذار من الإقامة على الكفر حتى تنزل آية أو آيات أخرى ، تذكرهم والناس جميعاً بالنار ، وفيه رحمة لهم وسبيل لهدايتهم ورشادهم .

ومن إعجاز القرآن آيات الإنذار لم تأت على نحو الإستقلال وحدها ، إنما تأتي معها آيات البشارة ، لتكون رحمة على وجوه :
الأول : تثبيت الذين آمنوا في منازل الإيمان خاصة وأنهم حديثوا عهد بالإسلام ويلاقون الأذى والتعذيب من المشركين .

الثاني : تبليغ أهل مكة وعموم وفد الحاج والمعتمرين آيات القرآن ومضامينها القدسية .

الثالث : نقل الركبان وزوار البيت الحرام آيات القرآن إلى أهليهم وغيرهم ، فلأول مرة في التاريخ يأتي الحاج والمعتمر ليرجع إلى أهله ، بتحفة وهبة وهي :

كلام الله عز وجل الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجوار بيت الله عز وجل ، مع إدراك الناس بأن آيات القرآن تترى في نزولها ، وأدناه البيان الخاص بيوم القرآن العالمي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ
صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن
لأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق في الحوزة العلمية

م/ اليوم العالمي للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمد لله الذي جعل آيات القرآن مصدراً دائماً للضياء المحض ومنبعاً للمعارف المستفيضة، وخزائن علمية لا تنفد كنوزها ومأدبة سماوية ينهل منها الناس على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ليقى القرآن وما فيه من الإشراقات الغيبية حاجة مستديمة وملازمة لأهل الأرض خصوصاً وإن الإنسان ممكن وكل ممكن محتاج، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١).

وفي أيام العولة وتقارب الأمم وتداخل الأفكار طوعاً وقهراً اقترح تخصيص يوم باسم "اليوم العالمي للقرآن" تقدم فيه النشاطات والدراسات الخاصة بالقرآن وتقام فيه المعارض والفعاليات المناسبة، مع السعي لتثبيت هذا اليوم في المنظمات والمؤسسات العالمية والوطنية مثلما جرى تخصيص أيام للمواضيع المختلفة، بل بالأولوية لما في القرآن من أسباب السمو والرفعة، وصفات الكمال الإنساني، وإعجاز ذاتي وغيري وجامع لهما، وافاضات كلية مشككة تترشح على الإنسانية جمعاء وعلى المسلمين بصورة خاصة، والأولى أن يطلق هذا العنوان التشريفي على اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك، وما يقابله من الحساب الميلادي، ولو على نحو التقريب.

وقيل فيه اول نزول الوحي في السنة الحادية والأربعين من عمر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه وقعت معركة بدر ونزل قوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾^(١).

و(الفرقان) من اشهر اسماء القرآن بعد اسم القرآن، ولعلهما مرجع جميع اسمائه كما ترجع صفات الله عز وجل مع كثرتها الى معاني الجلال والجمال، وفي المعنى الأعم لالتقاء الجمعين ومفهومه اشارة الى تقارب الحضارات في هذا الزمان، وظواهر مستقبلية غيبية، ومقدمة لصيغ الحوار والتداخل والتزاحم بين الأديان والأمم، ومواجهة نوعية للمفاسد العرضية وأسباب التحدي لعالم الفضائيات والتكنولوجيا، واستثمار مبارك لها ومساهمة في تهذيب النفوس، واكرام وتعاهد للقرآن.

وربما كان ورود ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾^(٢) في الآية الكريمة اعلاه دعوة لتخصيص هذا اليوم وخطاباً انحلالياً لكل المؤمنين، لذا اعرض بين أيديكم هذا الاقتراح ليكون يوم القرآن عيداً يتجلى فيه الإرتقاء الى عالم الملكوت، والسعي النوعي لبلوغ اشرف المقامات. ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

حرر في الثامن والعشرين من جمادى الثاني ١٤٢٤.
النجف الأشرف

(١) سورة آل عمران ١٥٥.

(٢) سورة الأعراف ٤١.

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك
١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.

٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.

٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.

٤- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .

٥- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام .

٦- سيادة القاضي رئيس هيئة الإشراف القضائي.

٧- سيادة رئيس مؤسسة الشهداء

٨- الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب.

٩- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.

١٠- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية

السعودية

١١- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.

١٢- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.

١٣- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.

١٤- سعادة أ.د رئيس جامعة البصرة / العراق

١٥- سعادة أ.د رئيس جامعة القادسية / العراق

١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.

١٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية

الهاشمية.

١٨- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية

الجزائرية.

٢٩ / ٥
٢٠٠٨ / ٩ / ٢٠

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم. نتضرع إلى الله العلي القدير أن يهتمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

مختصا

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

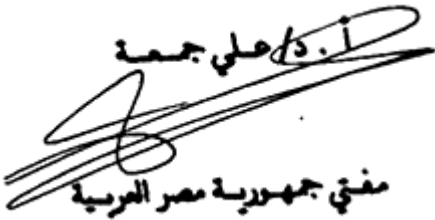
معطى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير
والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
 فإنه ليسعدني أن أقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير
 والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من الجزء الثاني والثمانين.
 وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
 عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
 شاكرين لكم، ولكم تحياتي


 مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT
ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRÉTARIAT GÉNÉRAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير
القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم
بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام
لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على
جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء
وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.
وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد القوي
مستشار الأمين العام



بسم الله الرحمن الرحيم

كو٧ ماري عيراق

داد كاي بالآي ئيتتيجادي

العدد : ٥١ / مكتب / ٢٠١٩

التاريخ: ١٢ / ٥ / ٢٠١٩



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

مكتب رئيس المحكمة

سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م/شكر وتقدير
تحية طيبة...

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٩/١٠٣٥) المؤرخ ٢٠١٩/٥/٦ .
تسلمنا ببالغ الإعزاز إهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم ((معالم
الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.
مع فائق التقدير

القاضي

مدحت المحمود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠١٩/٥ / ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد /
التاريخ / ٢٠١٩ / ٨ / ١٩



جمهورية العراق
مجلس القضاء الاعلى

رئاسة الادعاء العام

المكتب

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي

م/شكر

تحية طيبة

كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

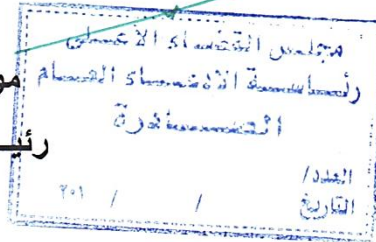
استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آمليين منكم المزيد من العطاء والتوفيق.
مع التقدير.

القاضي

موفق محمود محمد صالح

رئيس الادعاء العام

٢٠١٩/١/ ٨



بسم الله الرحمن الرحيم

العدد / ٨ / مكتب / ٢٠١٩ / ١٧٩٣
التاريخ / ١٢ / ٥ / ٢٠١٩



جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى
رئاسة هيئة الإشراف القضائي
مكتب رئيس الإشراف

الى / سماحة الشيخ (صالح الطائي) المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م / شكر وتقدير

تلقينا ببالغ الإعزاز كتابكم الموسوم ((معالم الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)).
وكانت الهدية بواسطة السيد ((عبد الله الشيخ صالح الطائي)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية .
مع فائق التقدير .

القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس هيئة الإشراف القضائي

٢٠١٨/١٢/١١



Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary



جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد: ١٥٣/ت
التاريخ: ٢٠ رمضان ١٤٣٩ هجرية
الموافق: ٢٠١٨/٦/٥ ميلادية

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.
عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت مع بالغ الشكر وعظيم التقدير والإمتنان هديتكم القيمة والمتمثلة في
الأجزاء (١٦٠-١٦١-١٦٤) من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ان ولوجكم في
هذا الميدان العلمي من التأليف في تفسير القرآن العظيم يعيد الى الأذهان ذكريات
أولئك المفسرين العظماء الكرماء الذين خلدتهم التأريخ بإنجازاتهم العلمية
الوفيرة والنادرة ، وان هذا المؤلف الكبير هو من المؤلفات النادرة حقاً في هذا
الزمن الشحيح في علماء التفسير بحيث اعاد الأمل الى نفوس العلماء وطلاب
العلم ، بان ميدان التأليف في هذا الفن العلمي انما هو رافد عظيم من روافد
الفكر الاسلامي الخالد والذي نفتخر ونعتز به ، وأسأل الله تعالى ان يسبغ عليكم
بوافر الصحة ونعمة العافية من اجل اكمال هذا المشروع العلمي الخالد كي نباهي
به الأجيال وكي نؤكد لكافة المسلمين ان هذا الاسلام يظل منبع للعلم والعلماء
من اجل ديمومة هذا العلم الخالد .

اكرر شكري وتقديري على كرمكم الأصيل باهدائكم هذه الاجزاء لنا ،
وأسأله تعالى ان يستمر عطائكم وتأليفكم بانجاز هذا المشروع التاريخي الخالد .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي

والتراث العلمي للدراسات العليا



بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ ربيع الأول/ ١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

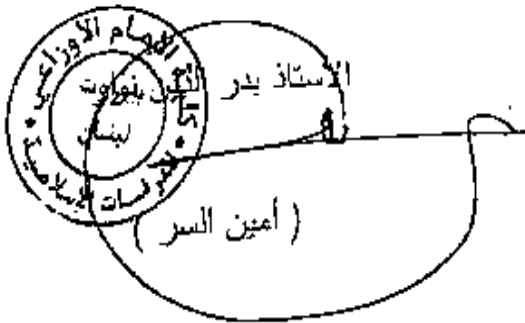
سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
أملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا
وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته.



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية العالمية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

الموقر

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب - ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم
المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى مكتبة
الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلت قدرته للجميع التوفيق
والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

النمرة: ج ك/م م/١٧/ح/٣
التاريخ: 2016/8/16

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعلنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم : ١١٤٦ / ١ / ١٧
التاريخ : ١٧ / ١ / ١٤٣٧ هـ
المرقات :
الموضوع :



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وزارة التعليم العالي
مكتب المدير
(١٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تيماني وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٧ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٧ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين
رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
مكتب رئيس الجامعة

العدد: ٢٥١٧ / ٢٠١٩
التاريخ: ٢٠١٩ / ٩ / ٢٨

إلى / الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
م/شكر على إهداء

نهديكم أطيب التحيات ،

تسلمنا مع بالغ الاعتزاز والتقدير من خلال اهداءنا نسخة من الجزء السادس
والثمانين بعد المائة التي تبين الصلة بينها وبين الآية (١٨١) في كتاب القرآن الكريم ، شاكرين
تواصلكم معنا متمنين لكم المزيد من النجاح ولبلدنا العزيز .
مع التقدير .


الاستاذ الدكتور
سعد شاهين حمادي
رئيس الجامعة وكالة
٢٠١٩/أ/٢٩



Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ref:
Date:

العدد / ١٢٩ ٢٢
التاريخ ٢٠٠٩ / ١١ / ١٥

إلى / المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة ...

تسلمنا ببإلغ السرور والاعتزاز نسخة من إهدائكم لنا كتابكم الموسوم "معالم الإيمان في تفسير القرآن" ويسرنا أن نتقدم لكم بجزيل الشكر والتقدير داعين الله عز وجل أن يوفقكم لمزيد من العطاء .

...مع التقدير

أ.د. عماد احمد عبد الصاحب الجواهري

رئيس الجامعة

٢٠٠٩ / ١١ / ١٥

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Thi- Qar
Bureau of University President



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار
مكتب رئيس الجامعة

إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد،
سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

أ.د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٢٠١٦/٦/٨

Jadara University

Office of the President



جامعة جدرا

مكتب الرئيس

Ref.

Date

الرقم: ٨١٤٠: ١١١٦٠: ٤٦٩

التاريخ: ٢٦/٥/٢٠١٢م

الموافق: ٢٦/٥/١٤٣٤هـ

سبادة الأُمّ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تأريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامنة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

رقم...498.../رج / 2014

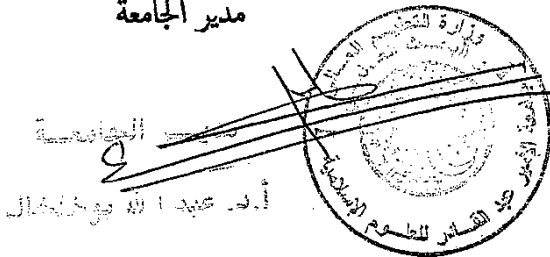
إلى السيد المحترم / مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في
تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٩٢	قانون آدم شاكر لله
٢٨	قانون الملازمة بين الإنسان والعهد	١٠٠	قانون الجامع المشترك بين النبي والرسول
٣٤	قانون الخلق الحسن حصانة من الإرهاب	١٠٤	قانون عصمة الأنبياء لطف وتنزيه عن الإرهاب
٣٦	قانون نزول الآية القرآنية برزخ دون سفك الدماء	١١٤	قانون الحوار في القرآن
٤٠	قانون الأنبياء أئمة في الشكر	١٢٢	قانون الأوتاد بين الناس
٥٠	الجزيرة قبل البعثة النبوية	١٢٨	قانون عداوة الوحي للإرهاب
٥٤	قانون بدايات البعثة قاطعة للإرهاب	١٣٣	بحث فقهي
٥٩	بحث أصولي الفور أو التراخي	١٣٨	قانون رشحات التنزيل على الشعر
٦٤	قانون المعجزة واقية من الظلم	١٤٨	الشاعر المتنبّي
٦٦	قانون الصادق الأمين	١٥٣	قانون التنزه عن الظلم
٧٢	قانون الوحي رحمة وتراحم	١٧٠	قانون السور المكية إنذار من الإرهاب

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٨٦	قانون نعمة التوحيد في القرآن مانع من الإرهاب	٢٤٤	قانون الإيثار حصن من الإرهاب
١٩٢	قانون الوصية رحمة عامة	٢٥٠	قانون الضرورات الخمس دافع للإرهاب
١٩٥	قانون التوحيد في القرآن زاجر من الإرهاب	٢٥٦	قانون كثرة وتنوع الوفود إلى النبي محمد (ص)
٢١٠	قانون الأحكام الشرعية مانع من الإرهاب	٢٧٢	قانون تخطيط المدن درء للإرهاب
٢١٠	بحث أصولي	٢٧٥	قانون مكة شعار يومي لمحاربة الإرهاب
٢١٧	قانون الهجرة إلى الحبشة فرار من الإرهاب	٢٩٤	اليوم العالمي للقرآن
٢٢٠	قانون التضاد بين التنزيل والإرهاب	٣٠١	ردود كريمة
٢٢٤	قانون أدعية القرآن ذخائر وأحراز من الإرهاب	٣١٩	الفهرس
٢٣٣	الأحكام الوضعية ورشحات التنزيل		
٢٤٠	قانون سورة المدثر ترغيب بالتقوي		

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٩٥٥ لسنة ٢٠١٩